كتب الأنساب العربية
١٠

الدكتور إحسان النص

كتاب الإكليل

للسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد الهَمْداني

المعروف بابن الحائك

٢٨٠ – بعد سنة ٣٥٠هـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المؤلف(*) :

أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني المعروف بابن الحائك . وقد أطلق المؤلف على نفسه لقب « لسان اليمن » فعرف بذلك . وقبيلة همدان تنتمي إلى كَهْلان ، أحد جذمي قحطان . وهي قبيلة ضخمة

(*) من مصادر ترجمته : مقدمة كتاب الإكليل تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع وكتابه عن المؤلف « لسان اليمن » ؛ معجم الأدباء لياقوت ٢٣٠/٧ ؛ روضات الجنّات للخوانساري ص٢٣٨ ؛ تلخيص ابن مكتوم ص٥١ ؛ طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص٥٨ ؛ طبقات ابن قاضي شهبة ٣١٩/١ ؛ ترجمة مفصلة للمؤلف في كتاب إنباه الرواة للقفطي ٢٧٩/١ وفي كتابه أخبار الحكماء ص١١٣ ؛ بغية الوعاة للسيوطي ص٢١٧ ؛ بحث للأستاذ حمد الجاسر حول الجزء العاشر من الإكليل في مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٢٥ الجزء الأول ص٦٢ .

كثيرة البطون وتتفرع إلى فرعين كبيرين هما : حاشد وبَكِيل ، وإلى بكيل ينتسب المؤلف .

وقد علّلَ القفطي سبب تلقيبه بابن الحائك فقال : « فأما تلقيبه بابن الحائك فلم يكن أبوه حائكاً ولا أحد من أهله ولا في أهله ولا في أصله حائك ، وإنما هو لقب لمن يشتهر بقول الشعر ، وكان جدّه سليمان بن عمرو المعروف بذي الدمينة شاعراً ، فسُمّي حائكاً لحوكه الشعر »[1] .

ولد المؤلف بصنعاء عام ٢٨٠هـ - حسبما حققه الأستاذ الأكوع بعد أن وقف على المقالة العاشرة من كتاب « سرائر الحكمة »[2] - وفيها انكبّ على طلب العلم ، فأخذ الفقه والأدب وعلم النسب والجغرافية والتاريخ عن جلّة من الشيوخ ، وكان شيخه في علم النسب أبا نصر البهري نسّابة حمير ، ومن شيوخه أيضاً محمد بن أحمد الأوساني الحميري . وكان إلى ذلك يتجوّل في البلاد فدخل حضرموت واتّصل بعلمائها وتعرّف معالمها وجاب بلاد الحجاز ونجد وجاور بمكة زمناً وأخذ عن مشايخها وأخذ الناس عنه . وكانت صلته قوية برجالات اليمن وملوكها وأمرائها .

استقرّ بمدينة ريدة مدة من الزمن واتصل بسلطانها أبي جعفر الضحّاك سيّد همدان في زمنه ، ثم غادرها إلى مدينة صَعْدة فأقام بها عشرين سنة ، قال : « وقد سكنت بها عشرين سنة فأطللت على أخبار خَولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن راحتي ... »[3] وقد تعرض الهمداني للسجن مرتين - حسبما حقق الأستاذ الأكوع - أولاهما بصَعدة ، سجنه

(١) إنباه الرواة للقفطي ٢٧٩/١ .

(٢) انظر : مقدمة كتاب الإكليل ٥١/١ في الحاشية .

(٣) الإكليل ٢٧٥/١ .

الناصر لدين الله أحمد بن يحيى العلوي ، ولا يعرف سبب سجنه على وجه التحقيق ، ذكر بعضهم أنه لهج بتفضيل قبيلة قحطان على عدنان وحقّر ما عظّم الله وتجاسر على انتقاص من اصطفاه الله[٤] .

واضطر الناصر إلى اطلاق سراحه لأن قبائل خولان تألّبت عليه بسببه ، ويشير الهمداني إلى سجنه واطلاق سراحه بصعدة فيقول في سياقة نسب سعد بن خولان : « فأولد عبدُ الله يحيى بن عبد الله سيّد أكيل ، وأمّه بنت عبد الله بن محمد بن عبّاد ، وهو – أي يحيى بن عبد الله – أحد من قام في فكّ الهَمْداني من سجن العلوي بصَعدة وأوجب فيه ، وكان رجل خولان ولسانها وذا رأسها[٥] . »

وبعد اطلاق سراحه انتقل الهمداني إلى صنعاء ، وهناك تعرض للسجن مرة ثانية ، سجنه ملك حمير أبو حسّان أسعد بن أبي يُعفِر الحوالي بإيعاز من الناصر أحمد العلوي . ومن الأسباب التي أوردها الأخباريون عن سبب سجنه بصنعاء أنه قال شعراً يهجو فيه الناصر ويثلبه ، فكتب هذا إلى أسعد بن أبي يعفر ، وهو بصنعاء ، أن يسجنه . فأوعز إلى أخيه أبي الفتوح أمير صنعاء فسجنه[٦] ، وقيل أيضاً إن مهاجاة وقعت بينه وبين شعراء مدينة صعدة فلما أوجعهم بهجائه دسّوا له عند الناصر فكتب إلى أسعد بن أبي يعفر يطلب إليه سجنه[٧] . والسبب الأخير هذا قد يعلل سبب سجنه بصعدة أما سجنه بصنعاء فسببه ، فيما يبدو لي ، هجاؤه الناصر لحبسه إياه بصعدة . وقد مكث الهمداني في سجن صنعاء ست سنوات من سنة ٣١٥هـ حتى سنة ٣٢١هـ .

(٤) الإكليل ٦٢/١ .
(٥) الإكليل ٣١٢/١ .
(٦) انظر مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص١٦ .
(٧) انظر مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص١٧ .

وقد تحدّث الهمداني عن سجنه في صنعاء في سياقة نسب صُحار بن خولان فقال : « حتى سجن الهمداني بيد أسعد بن أبي يعفر ، فطلبوا فيه ، فأعلمهم أنه لم يسجنه ، وأن أسعد سجنه في جرم أجرمه إليه ، فركب منهم الحسن بن محمد بن أبي العباس إلى أبي حسّان طالباً فيه ، فاعتذر وقال : إنما كتب إليّ فيه الناصر أن أسجنه له ، فهو في سجنه عندي ، فاطلبوا إليه ، فإذا أنعم ، فيكتب إليّ حتى أطلقه . فانصرف وعادوا جماعة العشيين الناصر في الطلب ، وأعلموه بما قال أسعد ، فأبعدهم وأغلظ لهم ، فأغلظوا له وتباعدوا أمرهم ، وأظهروا له الخلاف ، وقاد له الحسن بن أبي العباس بني جماعة وقاتله بصنعة كتفى ، فسأل الناصر وجوه خولان أن يصرفوه ويعلموه أنه قد فتح له الهمداني – أي أطلق سراحه – »[٨] . فكذلك نرى أن قبيلة خولان القضاعية – وهي ليست قبيلة المؤلف – كان لها فضل إطلاق سراحه من سجنه في صعدة وصنعاء ، وكان الهمداني مدّاحاً لرؤسائها وأشرافها . وقد انتقم الهمداني من أبي حسان أسعد بن أبي يعفر بهجائه بقصيدة مطوّلة سمّاها « قصيدة الجار » وقد أوردها المحقق في الإكليل[٩] .

يذكر القفطي أن الهمداني كان رجلاً محسّداً في أهل بلده وارتفع له صيت عظيم وصحب أهل زمانه من العلماء وراسلهم وكاتبهم ، ومن العلماء الذين كان يكاتبهم ويعاشرهم أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، وأبو عمر النحوي صاحب ثعلب ، وأبو عبد الله الحسين بن خالويه . وممن كان يكرمه من ملوك اليمن ويرعى حقّه إسماعيل بن إبراهيم التُبّعي الحميريّ »[١٠] .

---

(٨) الإكليل ٤٢٦/١ .

(٩) انظر : الإكليل ٦٣/١ .

(١٠) انباه الرواة ٢٨٠/١ – ٢٨١ .

ويصفه القفطي ويثني على علمه وسعة اطلاعه فيقول : « نادرة زمانه ، وفاضل أوانه ، الكبير القدر ، الرفيع الذكر ، صاحب الكتب الجليلة ، والمؤلّفات الجميلة . لو قال قائل : إنه لم تخرج اليمن مثله لم يَزِلّ ، لأن المنجّم من أهلها لاحظ له في الطب ، والطبيب لا يدَ له في الفقه ، والفقيه لا يدَ له في علم العربيةِ وأيام العرب وأنسابها وأشعارها ، وهو قد جمع هذه الأنواع كلّها وزاد عليها »[١١] .

ووصفه الخزرجي[١٢] بقوله : هو الأوحد في عصره ، الفاضل على من سبقه ، المبرّز على من لحقه ، لم يولد في اليمن مثله علماً وفهماً ، ولساناً وشعراً ، ورواية وفكراً ، واحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب والشعر والأيام والأنساب والسير والمناقب والمثالب ، مع علوم العجم من النجوم والمساحة والهندسة والفلك »[١٣] .

عرف الهمداني بعصبيته الغالية للقحطانية وقد جرّت عليه هذه العصبية عداوة النزارية ، وقيل إنه عرّض بالرسول عليه السلام أثناء تعرضه للعدنانية وأنه سجن بسبب ذلك . وهو أمر مستبعد ، وربما كان في الأمر دسيسة من قِبل شعراء صعدة الذين هاجاهم الهمداني . وبدافع هذه العصبية قال قصيدة طويلة سمّاها « الدامغة » يفاخر فيها بالقحطانية ويعارض قصيدة الكميت التي فخر فيها بالعدنانية والتي أوّلها :

ألا حُيّيتِ عنا يا مَدينا وهل بأسٌ نَقُول مُسَلّمينا

---

(١١) إنباه الرواة ١/٢٧٩ .

(١٢) الخزرجي هو علي بن الحسن الخزرجي الزبيدي (ت ٨١٢هـ) من أعلام المؤرخين اليمنيين . من كتبه : « طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن » و« العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولةالرسولية » و« العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن » .

(١٣) بغية الوعاة للسيوطي ١/٤٩٨ .

ومطلع قصيدة الهمداني :

ألا يـا دارُ لولا تنطـقـينـا فـإنـا سـائـلوك فخبِّرينـا

كما أنه وقف الجزء الثالث من كتاب الإكليل على ذكر مفاخر قحطان .

لا تعرف سنة وفاة الهَمْداني ومكانها على وجه التحقيق ، فقد ذكر القاضي صاعد في « طبقات الأمم » ما نصّه : « وجدت بخط أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله بن الناصر عبد الرحمن الأموي أن أبا محمّد الهمداني توفي بسجن صنعاء في سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة »[١٤] . وقد تابع صاعداً في هذه الرواية طائفة من الباحثين القدامى والمحدثين . وأغفل آخرون ذكر سنة وفاته . على أن القفطي الذي أورد خبر صاعد ذكر ما يناقض هذا الخبر وهو قوله : « وسار في آخر زمانه إلى رَيْدة من البَون الأسفل من أرض هَمْدان ، وبها قبره وبقية أهله »[١٥] ، فهذا الخبر يناقض خبر صاعد أنه توفي في السجن بصنعاء ، لأنه سار في آخر حياته إلى ريدة ، ومن هنا يستدل على أنه توفي بريدة ودفن فيها . وقد استبعد الشيخ حمد الجاسر أن يموت الهمداني في صنعاء ثم ينقل جثمانه إلى ريدة وهي تبعد عنها مسافة ٢٠ ميلاً ، أي ما يقارب من مسيرة يوم للإبل ، إذ ليس من عادة العرب نقل موتاهم إلاّ في حالة الحرب[١٦] ، وهو يرجح لهذا السبب ولأسباب أخرى أن يكون الهمداني قد عاش مدة من الزمن بعد خروجه من السجن . وإلى هذا الرأي ذهب كذلك الأستاذ الأكوع محقق الإكليل واستند إلى خبر

(١٤) طبقات الأمم ص٥٩ ؛ إنباه الرواة ١/٢٨٤ .

(١٥) إنباه الرواة ١/٢٨٠ .

(١٦) مجلة المجمع المجلد ٢٥ ص٦٨ .

مرويّ في الجزء الثاني من الإكليل هذا نصه : « قال أبو محمد عبد الله بن سليمان الحلملي : رويت عن محمد هذا – أراد به محمد بن أحمد الأوساني شيخ الهمداني – سنة ست وخمسين وثلاثمئة ، وهو من عمره في ثمانين ، وكتبت عنه . وقتل في سنة ستين وثلاثمئة ، رحمه الله »(١٧) ، فإيراد الهمداني هذا الخبر في كتابه يدل على أنه عاش إلى سنة ستين وثلاثمئة على الأقل .

مؤلفاته :

للهمداني مؤلفات كثيرة ولكن أكثرها مفقود ومنها كتاب « المسالك والممالك باليمن » و« السير والأخبار » و« اليعسوب » . وقد ذكر القفطي أنه « في فقه الصيد وحلاله وحرامه والأثر الوارد فيه وكيفية الصيد وعمل العرب فيه وغريب ذلك ونحوه والشعر فيه ، وهو كتاب جيد جداً مفيد للمتأدبين »(١٨) ، وكتاب « القوى » في الطب ، وكتاب « الجواهر العتيقة » ، وكتاب « الزيج » .

ومنها القصيدة النونية « الدامغة » في فضائل قحطان ، وقد شرحها ولده ، وهي التي أحدثت له العداوة من النزارية ، وله ديوان شعر في ستة أجزاء .

من مؤلفاته التي انتهت إلينا كتاب « الإكليل » الذي سأتحدث عنه فيما يأتي ، وكتاب « صفة جزيرة العرب » وهو من أجود كتبه ، وصف فيه معالم جزيرة العرب ، ولا سيما القسم الجنوبي منها ، وصفاً يعتمد على المشاهدة لا على السماع والنظر في المؤلفات فحسب . إذ كانت له جولات شملت جميع هذه البقاع . والكتاب مطبوع بمصر بتحقيق المؤرخ محمد بن

---

(١٧) الإكليل ٢/٣٣٢ .

(١٨) إنباه الرواة ١/٢٨٢ .

عبد الله بن بليهد النجدي . ومنها كتاب « سرائر الحكمة » في علم النجوم ، ويذكر الأستاذ الأكوع أنه وقف على المقالة العاشرة منه واستخلص منها زمن ولادة الهمداني[١٩] .

الكتاب :

كتاب « الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير » هو أعظم كتب الهمداني ، ومما يؤسف له أن بعض أجزائه العشرة مفقود ، ووصلنا منه فقط الأجزاء الأول والثاني والثامن والعاشر ؛ وقد طبعت[٢٠] .

وقد تحدّث القفطي عن هذا الكتاب وعن موضوعات أجزائه العشرة فقال : « وكتابه في معارف اليمن وعجائبه وعجائب أهله المسمّى بالإكليل ، وهو عشرة أجزاء ، الجزء الأول في المبتدأ ونسب مالك بن حمير ، والجزء الثاني في أنساب ولد الهميسع من ولد حمير ونوادر من أخبارهم ، والجزء الثالث في فضائل اليمن ومناقب قحطان ، والجزء الرابع في سيرة حمير الأولى ، والجزء الخامس في سيرة حمير الوسطى ، والجزء السادس في سيرة حمير الأخيرة إلى الإسلام ، والجزء السابع في ذكر السيرة القديمة والأخبار الباطلة المستحيلة ، والجزء الثامن في القبوريات وعجائب ما وجد في قبور اليمن ، وشعر علقمة بن ذي جَدَن وأسعد تُبّع ، والجزء التاسع في كلام حمير وحكمهم وتجاربهم المرويّة بلسانهم والموضوع للرطانة عندهم ، والجزء العاشر في معارف هَمْدان وأنسابها ونتف من أخبارها .

(١٩) انظر مقدمة الجزء الأول من الإكليل ص٧٥ .

(٢٠) حقق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الجزأين الأول والثاني ونشرهما ، وحقق الجزء الثامن ونشره الأب أنستاس الكرملي ببغداد سنة ١٩٣١م ، ثم أعاد تحقيقه ونشره الأستاذ نبيه أمين فارس سنة ١٩٤٠م في برنستن ، وحقق الجزء العاشر ونشره بالقاهرة الأستاذ محب الدين الخطيب سنة ١٣٦٨هـ .

وهو كتاب جليل جميل ، عزيز الوجود ، لم أر منه إلا أجزاء متفرقة وصلت إليّ من اليمن وهي : الأول والرابع يعوزه يسير ، والسادس ، والعاشر والثامن . وهي على تفرقها تقرب من نصف التصنيف ، ووصلت في جملة كتب الوالد المخلّفة عنه ، حصّلها عند مقامه هناك . وقيل إن هذا الكتاب يتعذر وجوده تاماً لأن المثالب المذكورة فيه في بعض قبائل اليمن ...... وأعدم أهل كل قبيلة ما وجدوه من الكتاب وتتبعوا إعدام النسخ منه ، فحصل نقصه لهذا السبب[٢١] . وفي الجملة الأخيرة خلل فخبر (لأن) غير مذكور ، ولعل مرد الخلل إلى الناسخ .

ونستخلص من نص القفطي كذلك أن بعض أجزاء الكتاب كانت مفقودة منذ زمنه (القرن السابع الهجري) وأن سبب ذلك تعريض المؤلف ببعض قبائل اليمن . وفي ظني أن الجزء الثالث فقد بسبب تعريض المؤلف بالعدنانية فيه وتطاوله عليهم بسبب عصبيته القحطانية .

ومما تقدم يتبين لنا أن كتاب الإكليل ليس كتاباً في الأنساب فحسب وإنما يشتمل على موضوعات أخرى ، وسوف أقصر حديثي على الأجزاء الحاوية للأنساب وهي الأول والثاني والعاشر .

ففي الجزأين الأول والثاني تناول المؤلف الأنساب الحميرية ، وفي الجزء العاشر ذكر أنساب كهلان بن سبأ – الجذم الثاني من قحطان – وأنساب همدان خاصة .

وكان الجزآن الأول والثاني مفقودين إلى أن عثر عليهما الأستاذ محمد بن علي الأكوع لدى أحد أصدقائه فحققهما ونشرهما وأضاف إلى الكتاب حواشي وافية . وقد سرد في مقدمة الجزء الأول تفصيل عثوره على

---

(٢١) إنباه الرواة ١/٢٨٢ .

هذين الجزأين ، وكان قد عثر على مخطوطة في برلين تشتمل على هذين الجزأين ولكنها نسخة رديئة فيها بياض في مواضع كثيرة ، فنشر الجزء الأول اعتماداً عليها ، وبعد عثوره على الجزأين في اليمن أعاد نشر الجزء الأول فصحح ما وقع فيه من أغلاط في الطبعة الأولى نبهه إليها الأستاذ الشيخ حمد الجاسر في مقالات نشرها في مجلة العرب وكذلك نبهه الشيخ محمد بن علي الأشول إلى بعض الأخطاء فتداركها في هذه الطبعة ، ثم نشر الجزء الثاني سنة ١٩٦٦م .

على أن النسخة التي عثر عليها الأستاذ الأكوع لدى القاضي محمد بن عبد الله العمري ليست في الواقع عين كتاب الإكليل ، وإنما هي قسم من كتاب ألّفه الأمير اليمني محمد بن نشوان بن سعيد الحميري ، وأبوه نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) هو أحد ملوك اليمن ومؤلف مشهور له كتاب « شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم » ومؤلفات أخرى ، وابنه الأمير محمد من أعيان علماء اليمن وشعرائها ، صنّف جملة من الكتب منها كتاب اختصر فيه كتاب أبيه شمس العلوم وسمّاه « ضياء الحلوم مختصر شمس العلوم » ، وكان على مخلاف خولان صعدة ثم قامت بينه وبين الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة حرب شارك فيها أنصارهما وانتهت بالموادعة بينهما ، ولا تعرف سنة وفاة محمد هذا .

ومما يدل دلالة صريحة على أن الكتاب لمحمد بن نشوان ما جاء في مقدمته، بعد البسملة والحمدلة وهو قوله: « قال محمد بن نشوان بن سعيد الحميري : الحمد لله موجد الأشياء بعد العدم ، والمنفرد بأوصاف الوحدانية والقدم ... سألت أكرمك الله بأنواع كرامته ، وأعاذك من صرعة الباطل وندامته ، أن أوضح شيئاً من أنساب حمير وأخبارها ، وما حفظ من سيرها وآثارها ، فأجبتك إلى ما سألت ، وأشفعتك منه بما طلبت ، مؤتمّاً بما ذكره

الشيخ الفاضل المؤتمن لسان اليمن ، وفائق من كان فيه من الزمن ، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني ، رحمه الله ، مما صحّحه من علمه الجليل ، وحققه في كتابه المعروف بالإكليل ...» .

وبعد أن يثني على الهمداني وعلمه الغزير يقول : « فأثبتُّ في النسب ما أتى به ذاكراً لما ذكره في كتابه ، غير أني اختصرت شيئاً ممّا ذكره في النسب ، ليس هو من جملته بمحتسب »[٢٢] .

وفي الكتاب أكثر من إشارة دالة على أن مؤلف الجزأين الأول والثاني اللذين عثر عليهما المحقق في اليمن ليسا عين كتاب الإكليل وإنما هما من تأليف محمد بن نشوان ، ومن ذلك مثلاً ما نجده في ص٢٩٨ من الجزء الأول وهو : « وهم الذين ذكرهم الهمداني في برية القسي » ، فهو يتحدث عن الهمداني بصيغة الغائب . وكتاب محمد بن نشوان هو اختصار لما ذكره الحسن بن أحمد الهمداني من أنساب حمير ، وقد أضاف إليه إضافات يسيرة . على أن تصريح محمد بن نشوان بأنه نقل ما في الإكليل بنصه لم يكد يغير فيه إلاّ أشياء يسيرة يأذن بأن ينظر إلى هذين الجزأين على أنهما صورة لكتاب الإكليل للهمداني ، وهذا ما فعله محقق الجزأين . وقد ألف محمد بن نشوان كتابه تلبية لطلب صديق له طلب إليه بيان أنساب حمير[٢٣] .

تحدث الهمداني في الجزء الأول عن أنساب حمير ولكنه بدأ أولاً بذكر مبدأ الخلق وتناسل ولد آدم حتى بلغ أبناء نوح ومن تناسل منهم ، ثم ذكر نسب هود عليه السلام واختلاف أقوال النسابين في نسبه واختلافهم

---

(٢٢) الكتاب ١/٨١ .

(٢٣) الكتاب ١/٨٠ .

كذلك في نسب قحطان وهل هو من نسل إسماعيل أو لا ، حتى انتهى إلى نسب حمير .

وفي ذكره لأنساب حمير وقف أولاً عند نسب قبيلة قضاعة ، وهي حميرية عند جمهور النسابين ، ففصّل القول في نسبها وعدّد قبائلها وبطونها ، ووقف وقفة مطوّلة عند قبيلة خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وبذلك انتهى الجزء الأول . .

وفي الجزء الثاني استمرّ المؤلف في سرد الأنساب الحميرية ، وذكر الخلاف بين النسّابين في نسب « الصَّدِف » . وهل هم من حمير أو من حضرموت أو من كندة ، ثم أخذ في سرد نسب من تناسل من الهميسع بن حمير ، فلما فرغ من الهميسع انتقل إلى مالك بن حمير الفرع الثاني من حمير وأخذ في سرد نسب قضاعة بن مالك بن حمير على وجه الإيجاز ، ولكنه حينا بلغ قبيلة خولان وقف عندها وقفة طويلة وقال في ذلك : « قد ذكرنا قبائل قضاعة ذكراً مجملاً لشهرتها عند الناس ووقوف العامة عليها واستعمالهم لها ، وعمران قلوبهم بها وأسماعهم ، سوى خولان فإننا رأينا أن نشبع القول فيها لتلحق في التشجير والتعريف بباقي إخوتها من قضاعة ، ونحرص أن نأتي من ذلك بما يعرفه أهل نجد وبعض أهل الحجاز وكافة أهل اليمن ونجران . ومن يبلغه رحلتهم ويبلغهم رحلته . ولو كانت صعدة في القديم من البلدان التي رحل إليها أصحاب الحديث – أي الحديث النبوي – لانتشرت أخبارها كما انتشرت أخبار صنعاء ، فهذه الآن بطونها على ما روى خولان وحمير بصعدة ، وقد سكنت بها عشرين سنة فأطللت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن راحتي ، وقرأت بها سجلّ محمد بن أبان الخنفريّ المتوارث من الجاهلية »[٢٤] .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٢٤) الكتاب ١/٢٧٤ .

فهذا النص يطلعنا على أحد الدوافع التي حملت الهمداني على العناية بنسب خولان فقبيلة خولان كانت بصعدة ، ولذلك لم تعرف كما عرفت القبائل التي نزلت صنعاء . على أن هناك سبباً آخر وراء عناية الهمداني بأنساب خولان ، وهو تلك الرعاية التي أحاطته بها قبيلة خولان ورؤساؤها ابان أقامته بمدينة صعدة ، ونهوضها لمؤازرته حين سجنه الإمام العلوي حتى اضطر إلى اطلاقه .

ومما يلفت النظر هنا أن الهمداني ذكر قبيلة خولان المنحدرة من جذم قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ ، وخولان هذه لا ذكر لها في جمهرة ابن الكلبي وكتب من تابعه من النسّابين ، أمّا خولان الأخرى المعروفة بَفكل فهي تنتسب إلى كهلان بن سبأ .

وفي سياق سرده لأنساب خولان يستطرد الهمداني إلى ذكر نسب قبيلة عَنْز بن وائل لصلتها ببعض رجال خولان ، ثم يعود إلى خولان فيتمّ سرد أنسابها . وقد استغرق ذكر نسب خولان وحدها ستين ومئتي صفحة من الجزء الأول .

والجزء الثاني وقفه المؤلف على نسب الهميسع بن حمير . ومن المحقق أن كتاب الإكليل هو أوسع مصدر لهذا النسب ، وقد استغرق نسب الهميسع الجانب الأكبر من هذا الجزء ، ولما فرغ منه أورد مشجّرة لهذا النسب ، ثم الحق بنسب حمير أبواباً تتصل بالأسماء الحميرية : ما اتفق من أسمائها في الحروف وما اختلف ، وكذلك ما اتفق في أسمائها مع أسماء قبائل أخرى ، ونحو ذلك . وبذلك تم الجزء الثاني من الكتاب .

وفي الجزء العاشر – وهو الأخير – من الكتاب ينصرف الهمداني إلى ذكر أنساب كهلان بن سبأ ، وهو الجذم الثاني من قحطان ، فيذكر أولاً

تفرّع كهلان فروعاً ثلاثة : عريباً ، ومالكاً ، وغالباً ، ثم يسرد الأنساب المتفرعة من هؤلاء . ومنها قبيلة خولان العالية (فَكُل)[٢٥] التي تنتسب إلى عمرو بن مالك بن الحارث بن مُرّة بن أُدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن كهلان .

ونسب كهلان في هذا الجزء غاية في الاختصار ، باستثناء هَمْدان ، فالمؤلف اكتفى بذكر قبائلها في صفحات قليلة ، ولم يعن بتفصيل أنسابها ، على خلاف ما صنع في ذكر الأنساب الحميرية . أمّا همدان فقد فصّل القول في أنسابها تفصيلاً لا مزيد عليه . ولا غرابة في ذلك فهي قبيلته . ويكاد يكون الجزء العاشر وقفاً على أنساب همدان .

نهج المؤلف في ذكر الأنساب :

جرى الهمداني على النهج الذي سلكه جُلّ النسّابين في التفريع من الأصول بأسلوب الجملة الفعلية التي يبدؤها بلفظ (أولدَ) أو (وَلَدَ) .

ولكن المؤلف لم يقتصر على ذكر الأنساب وإنما أضاف إليها أشعاراً وأخباراً واستطرادات كثيرة حتى لتكاد هذه الإضافات تملأ من الصفحات أكثر مما ملأته الأنساب . وجل الأشعار التي أوردها هي لشعراء يمانين وقلة منها لشعراء عدنانيين ، والمؤلف نفسه كان شاعراً والكتاب يشتمل على طائفة كبيرة من أشعاره .

مصادر الكتاب وقيمته : .

للكتاب في طبعته التي انتهت إلينا مقدمتان متداخلتان ، أولاهما

(٢٥) خولان هذه غير خولان القضاعية التي ذكرها الهمداني في الجزء الأول ، وكانت منازل خولان العالية في مخلاف يقع جنوبي صنعاء ، أما خولان قضاعة فكانت منازلها في صعدة وما حولها ، وهي التي نزل المؤلف فيها .

محمد بن نشوان الحميري ، وقد ذكر فيها أنه أخذ ما في كتاب الإكليل من أنساب حمير وأثبته في كتابه ، وتليها مباشرة مقدمة الهمداني لكتاب الإكليل ، وقد ذكر فيها مصادره في الأنساب الحميرية ، فقد أخذ جُلّ هذه الأنساب عن نسّابة حمير أبي نصر اليهري محمد بن عبد الله بن سعيد الحميري ، كما أخذ عن شيخ آخر هو محمد بن أحمد الأوساني ، واستمدّ كذلك من سجلّ كان يحتفظ به الصعديّون من قبيلة خولان القضاعية . وهو سجل محمد بن أبان الخنفري المتوارث من الجاهلية . وقد ذكره المؤلف مرّات في كتابه[٢٦] . وأخذ كذلك عن علماء آخرين وعن نسّابي القبائل التي اتّصل بها . وهو يأخذ على النسّابين الكلبيين (مثل محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام) أنهم استقصوا أنساب القبائل الحميرية التي اتصلوا بها والتي تمتّ في نسبها إلى مالك بن حمير – ومنها قضاعة – في حين أنهم أغفلوا أنساب الهميسع بن حمير، يقول في ذلك: « لم أزل كلفاً بالبحث عن الأنساب ، والفحص على صحيحها ، والوقوف على سقيمها ، والتصفح لما أتى به النُسّاب ، فأخذنا عن ناسب كل قبيلة متقناً لأنسابه من قاربه وعاشره وساكنه وخالطه ، راجماً فيمن نأى عنه بالغيب ، يجمع من سيرهم الحقير ، ومن أنسابهم اليسير ، ومن علمهم وحكمهم النزر من الكثير . ويزلّ عنه منها الجمّ الغفير . ورأيت نُسّاب تلك النواحي – ولا سيما الكلبيين – استقصوا في أنساب ولد مالك بن حمير ، لما كان منهم بمرأى ومسمع ، وأتوا من نسب أخيه الهميسع بن حمير بمثل أثر في عفر ، لا دارس فيعفو ، ولا بيّن فيبدو ، لمّا قلت رحلتهم إلى من قطن منهم باليمن ، ولم يلقوا بنهوجهم من ذوي معرفتهم غير أعقاب من ظعن ، فنتف ذلك واختصر ذا ، وأتوا من أنسابها بعنق يختلف عنها بدنها ، وكذلك غيرهم من

(٢٦) انظر مثلاً ١/٢٧٤ .

النُّسّـاب ، حتى إن محمد بن إسحاق أتى ، فيا سمعنا عنه ، بنسب ولد الهميسع في خمسة أسطر ، فقلت : أين ممّن لم يزل بعدهم مُوجفاً (يقصد نفسه) يغور وينجد ، ويقرب ويبعد . في طلب من يعلم ذلك على كماله . مثل شيخ حمير ونابها وعلامتها وحامل سفرها ووارث ما ادّخرته ملوك حمير في خزائنها ، من مكنون علمها ، وقارىء مساندها ، والمحيط بلغاتها ، أبي نصر محمد بن عبد الله بن سعيد ... ويشهر بصنعاء بأبي نصر الحنبصي ... فما أخذته عنه ما أثبتّه في كتابي هذا من أنساب بني الهميسع بن حمير وعدّة الأذواء ، وبعض ما يتبع ذلك من أمثال حمير وحكمها ، إلا ما أخذته عن رجال حمير وكهلان من سجلّ خولان القديم بصعدة ، وعن علماء صنعاء وصعدة ونجران والجوف وخيوان ، وما خبّرني به الآباء والأسلاف »(٢٧) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكتاب الإكليل قيمة كبيرة في بيان أنساب حمير وهمدان ، فليس بين أيدينا مصدر عنهما أوفى مما ذكره الهمداني في كتابه . وابن الكلبي لم يعن في كتابه إلا بأنساب مالك بن حمير ، أما نسب الهميسع بن حمير فهو غاية في الإيجاز ، وقد علل الهمداني جهله به بعدم ارتحاله إلى اليمن واتصاله بنسّابيها ، وقد أتيح للهمداني من مصادر الأنساب الحميرية ما لم يتح لسواه من علماء النسب .

إلى ذلك نجد في الأجزاء التي تحدثت عنها أخباراً عن اليمن وملوكها وأحداثها وأشعاراً لشعراء اليمن الذين استقرّوا فيها ولم يرتحلوا إلى مواطن أخرى ، وأشعاراً لغيرهم . فهو إذن مرجع في الأنساب والتاريخ والأدب لا نظير له في مصنفات اليمنيين .

---

(٢٧) الكتاب ٨٣/١ .

تحقيق الكتاب يفتقر إلى مزيد من العناية ، فقد وقع المحقق في أخطاء كثيرة لا موضع لتعدادها هنا ، وكذلك لم يخل الجزء العاشر الذي حققه الأستاذ محي الدين الخطيب من بعض الأخطاء ، وقد نبه الأستاذ حمد الجاسر إلى طائفة منها في مقالته في مجلة المجمع[٢٨] ، والإنصاف يقتضينا أن نشيد بما بذله المحققان من جهد كبير في التحقيق ، فليس من اليسير تحقيق كتب علماء اليمن لغرابة ما فيها من أسماء أعلام الأشخاص والأماكن وصعوبة التثبت من ضبطها ، بالقياس إلى قبائل شمالي الجزيرة وبلاد الشام . ونرجو أن يسعف الدهر بالعثور على سائر أجزاء الكتاب المفقودة فهو على الجملة موسوعة عظيمة الفائدة عن اليمن وقبائلها وأخبارها ولغاتها وشعرائها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٨) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٢٥ الجزء الأول سنة ١٩٥٠م ص٦٢ وما بعدها .

علم العربية في المراحل القرآنية(*)

الدكتور عوض القوزي

بلغت اللغة العربية درجة النضج اللغوي قبل نزول القرآن الكريم ، وأدرك أهلها ما تتميز به لغتهم من حيث الشمول والقدرة على احتواء المعاني ، وتفاضل المتكلمين بها في الفصاحة ، وعن طريق اتصال العرب في الحج والأسواق عرفت العربية البلغاء والشعراء وتمايز العرب في لهجاتها ، كما عرفت أيضاً علو شأن لغة قريش ، وسيطرتها في الساحة اللغوية والأدبية ، واعجاب العرب من غير قريش بما وصلت إليه قريش من فصاحة اللسان وهيمنة اللغة .

وجاء القرآن الكريم ليؤكد هذه الحقيقة فكان في عمومه بلغة قريش ، فقد روي : عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه أوصى أن يكتب القرآن بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم[1] ، ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[2] ، أفحم البلغاء وتحداهم ببيانه فما اسطاعوا أن يأتوا بعشر سور مثله[3] ، بل لقد عجزوا أن يأتوا بسورة من مثله[4] . ونزولُ القرآن بهذا الإعجاز أضاف إلى

---

(١) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ١٣/١ .

(٢) سورة الشعراء الآية/١٩٥ .

(٣) قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ، وادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ سورة هود ، الآية/١٣ .

(٤) قال تعالى : ﴿ وإِنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ سورة البقرة ، الآية/٢٣ ، وقال جل

العربية رصيداً تقوّي به بلاغتها ، وتحتكم إليه فصحاؤها . تلقّاه الصحابة ، رضوان الله عليهم ، مشافهة من رسول الله ، ﷺ ، وكان بعضهم يكتب آياته ، ولكن أكثرهم كان يعتمد على الحفظ دون الكتابة . ثم لما لحق الرسول عليه السلام بالرفيق الأعلى ، ولحق به خلق كثير من حفظة الكتاب العزيز ، خاصة بعد معركة اليمامة(٥) ، خاف المسلمون أن يُقضى على القرآن بالقضاء على حفظته في حروب الفتح . فهرعوا إلى أبي بكر ، يعرضون الأمر عليه ، ويلتمسون الحل لديه ، وكان في مقدمتهم عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يشرح لخليفة رسول الله ، أن القتل قد استحرّ بالقُرَّاء يوم اليمامة ، ويخشى أن يستحرَّ القتلُ فيهم في المواطن كلها ، فيذهب كثير من القرآن ، واقترح أن يُجمع القرآن بمحال ، وتَرَدَّدَ أبو بكر ، رضي الله عنه ، وهاب الإقدام على عمل لم يفعله رسول الله ، ﷺ ، وأخذ عمر يراجعه ويقنعه بجدوى جمع القرآن ، حتى شرح الله صدره لما كان قد شرح له صدر عمر ، فوكل أبو بكر تلك المهمة إلى زيد بن ثابت وقال له : إنك رجل شاب عاقلٌ لا نتّهمك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ، ﷺ ، فتتبع القرآن واجمعه ، قال زيد : فوالله لنقل جبل من الجبال ما كان أثقلَ عليّ من الذي أمرني به من جمع القرآن(٦) . ولنا أن نسأل : لماذا هرع المسلمون إلى أبي بكر يطلبون منه جمع القرآن ؟ لِمَ لَمْ يتطوع أحدهم أو بعضهم

= ذكره : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ ، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، سورة يونس ، الآية/٣٨ .

(٥) بعد وفاة النبي ﷺ ارتد بعض قبائل العرب عن الإسلام ، فقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكانت أقسى المعارك ضراوة على المسلمين تلك التي خاضوها مع المرتدين في اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة ، انظر معجم البلدان ، (جـ٥ ، ص٤٤٢ ، يمامة) .

(٦) انظر الفهرست : ٢٤ .

بذلك ؟ ، الجواب أن القرآن وإن كان الله قد حفظه(٧) فإن مسؤولية رعايته في الأرض نيطت بمن يتولى أمر المسلمين ، وأن عليه مسؤوليته ، وأُطر المسلمين إلى أحكامه . ونظامُ الإسلام جعل للحاكم الطاعة وعليه الرعاية لما يصلح أمر المسلمين ، ومن إصلاح حالهم المحافظة على كتاب الله نوراً يهديهم . لذلك ما كان أحد ليجرؤ على عمل يتصل بالقرآن غير أبي بكر ، ولو كان ذلك في مقدور أي أحد لكان عمر جديراً بالإقدام عليه وتنفيذه ، ولأنه عمل يتصل بالأمة كلها ، كان خليفة المسلمين هو المسؤول عنه . وجُمع القرآنُ من الرقاع ، واللخاف ، والعُسُب ، وصدور الرجال ، وبقيت صحفه عند أبي بكر حياته ، وانتقلت إلى عمر بن الخطاب حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة ابنة عمر ، رضي الله عنهما . وخلال هذه المدة أخذ المسلمون في نشر الدعوة الإسلامية شرقاً وشمالاً وغرباً ، وكان الفاتحون يقرؤون كتاب الله كل بالحروف التي بلغتهم ، وطبيعي أن تظهر بينهم اختلافات في القراءة ، لكن تلك الاختلافات أخذت تشتد عندما اجتمع في غزو أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق ، واستمع بعضهم إلى بعض وهم يتلون القرآن ، فلاحظوا اختلافاً ، وتنازعوا حتى كاد بعضهم يكفّر بعضاً(٨) ، ثم إن حذيفة بن اليمان ، قدم على عثمان بن عفان ، فقال له : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، وأبلغه خلاف الناس في القراءة ، ففزع عثمان لذلك فزعاً شديداً ثم أرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ،

---

(٧) قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ سورة الحجر/٩ . وقال سبحانه : ﴿ بل هو قُرْآنٌ مَجِيدٌ ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ سورة البروج/٢١ ـ ٢٢ .

(٨) انظر السبعة لابن مجاهد/١١ (م) .

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر رضي الله عنه ، زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، حتى إذا نسخ المصحف ، ردّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق مصحفاً ، وأمر بكل ما سوى ذلك من القرآن أن يحرق(٩) . إن جمع الناس على مصحف واحد ليس بالأمر اليسير ، ولقد كان من جلائل الأعمال ، ولولا إرادة الله المتمثلة في حفظ كتابه ، ثم لولا سلطة الخلافة ، لما استطاع عثمان جمع الأمصار على مصحف واحد ، لا سيما وقد غبروا على قراءة ما يخالفه مدة ليست بالقليلة ، فضلاً عن أنهم تلقوه من ثقات إنْ في الشام أو في العراق . وهذه الخطوة في خدمة القرآن ما كانت لتقوم بها قوة غير قوة الولاية لأمور المسلمين ، وهي لا تقل في خطرها عن سابقتها التي تمثلت في جمعه في الصحائف بعد أن كان مبعثراً في صدور الرجال .

وما إن يُقْضى على مشكلة حتى تقوم أخرى ، ويكون على ولي أمر المسلمين مواجهتها بما يلائمها من الحلول ، فما إن عولجت قضية اختلاف القراءة حتى ظهرت قضية هي من الخطر بمكان ، وأعني بها قضية اللحن في قراءة القرآن . هذه القضية نشأت وكبرت بتزايد الداخلين في دين الإسلام من الأمم الأخرى غير العربية ، فكانوا يقرؤون القرآن لا يقيمون حروفه لصعوبة ذلك عليهم ، وكان عليهم أن يقرؤوه كما تعلموه وكما أنزل ، فكان طبيعياً أن يدفعهم الحرص على قراءة القرآن إلى التماس كل ما من شأنه تذليل تلك الصعوبة . يضاف إلى ذلك أن الحياة الجديدة أخذت تجذبهم إلى تعلم العربية باعتبار أنها لغة الدين الذي ارتضوه ، ولما لم يكن أمامهم من وسيلة لحذق هذا اللسان غير المشافهة ، رأيت اللحن يسري في كل ناحية ،

(٩) انظر المصدر السابق/١١ ، والفهرست/٢٤ ـ ٢٥ .

وأدركوا فضل العرب على من سواهم ، وشرعوا في طلب العربية بكل سبيل يؤدي إلى فهم الكتاب العزيز ، وإقامة حروفه ، وفهم معانيه وأسراره ، وأدركوا أن الوصول إلى ذلك لا يتحقق إلا عن طريق حذق العربية ، فقد حدَّث التاريخي بإسناد رفعه إلى سلمة بن قتيبة قال : كنت عند ابن هبيرة الأكبر ، قال : فجرى الحديث حتى ذكر العربية ، فقال : والله ما استوى رجلان دينهما واحد ، وحسبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، قال : فقلت : أصلح الله الأمير ، هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيته ، أرأيت الآخرة ما باله فضِّل فيها ؟ ، قال : إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل الله ، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قال : قلت : صدق الأمير وبرّ(١٠) .

ولم يقف أمر اللحن عند الأعاجم ومن في حكمهم ، بل تعدى إلى الناشئة العربية ، وأصبح يشكل ظاهرة تدفع إلى التندر تارة ، وإلى التخوّف على مستقبل الفصاحة العربية تارة أخرى .

وأخذ اللحن ينتشر حتى بين سراة القوم فرأوه هجنة على الشريف ، ونظروا إليه فكان في أنظارهم أقبح من آثار الجدري في الوجه(١١) ، وهو في الكتاب أقبح منه في الخطاب ، ولذلك عندما تلقى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، كتاباً من الحصين بن أبي الحر(١٢) ، فلحن في حرف منه ، كتب عمر إليه أن قنّع كاتبك سوطاً(١٣) ، وكان عبد الملك بن مروان

---

(١٠) إرشاد الأريب ٨٣/١ - ٨٤ .

(١١) انظر البيان والتبيين ٢١٦/٢ ، العقد الفريد ٤٧٨/٢ .

(١٢) قيل إن الذي بعث بالكتاب إليه هو أبو موسى الأشعري ، انظر أدب الكتاب/١٢٩ .

(١٣) البيان والتبيين ٢١٦/٢ - ٢١٧ .

يقول : اللحن أقبح من التفتيق في الثوب النفيس[١٤] ، وتحرج بعضهم من مساءلة شيخه ، وما كان له من سبب غير أن لحنه يمنعه[١٥] . ويصل الحال ببعضهم إلى أن يتقزز من سماع اللحن ، فعمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، يقول : أكاد أضرس إذا سمعت اللحن[١٦] ، وكان ابن عمر يضرب ولده على اللحن كما كان يضربهم على تعليم القرآن[١٧] وكان سراة القوم لا يتركون تفقد أبنائهم ومتابعة تلقينهم الفصاحة والأدب فهذا معاوية ، رضي الله عنه ، يكتب إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه ، فلما قدم عليه كلّمه ، فوجده يلحن ، فردّه إلى زياد ، وكتب إليه كتاباً يلومه فيه ويقول : أمثل عبيد الله يضيّع ؟[١٨] ، ويقف عبد الملك بن مروان على لحن ابنه الوليد بن عبد الملك ، فيلوم نفسه في ذلك قائلاً : أضرَّ بنا في الوليد حُبُّنا له ، فلم نلزمه البادية[١٩] ، بل إنهم ليعدون سريان اللحن إلى ألسنة الأبناء نتيجة لتفريط الآباء وإهمالهم ، فهذا أبو جعفر المنصور وهو من هو في الشرف والمجد ، عندما سمعه الأعرابي يلحن قال لآخر كان يجلس إلى جانبه : ما كان أهون هذا القرشي على أهله[٢٠] ، ولم يعدّوا اللحن في الرجل السري نقصاً فحسب ، بل تجاوزوا بذلك إلى أنهم أصبحوا لا يرون للاحن

(١٤) عيون الأخبار ١٧٣/٢ .

(١٥) انظر البيان والتبيين ٢١٩/٢ .

(١٦) انظر الأضداد/٢٤٥ .

(١٧) انظر : ارشاد الأريب ٨٩/١ ، والأضداد/٢٤٤ .

(١٨) المحكم في نقط المصاحف/٣ ، إيضاح الوقف والابتداء ٣٩/١ – ٤٠ ، روى الجاحظ أنه كانت في عبيد الله لكْنة ، لأنه كان نشأ بالأساورة (وهم قوم من العجم بالبصرة) مع أمه مرجانة . انظر البيان والتبيين ٢١٠/٢ .

(١٩) انظر العقد الفريد ٣٠٩/٢ . وكان الوليد بن عبد الملك لحاناً .

(٢٠) انظر : إرشاد الأريب ٨٥/١ .

حرمة[٢١] ، وإن كان إماماً أُخَر[٢٢] ، وأن الرجل - وإن بهر الآخرين بمظهره - فإنه إذا لحن يخف في أعينهم[٢٣] ، ولا أدل على ذلك من تقدير الأعرابي لأبي جعفر المنصور ، وعندما سمعه يكثر من اللحن قال : أشهد لقد وليتَ هذا الأمر بقضاء وقدر[٢٤] ، ويرى بعضهم أن اللحن لو كان من الذنوب لعدّ من الكبائر[٢٥] ، وقد يعدّون استماع اللحن مؤدياً إلى تردّي الحال الصحية لمريض لا يطيق سماعه[٢٦] ، بل يصل الأمر ببعضهم إلى أن يستغفر الله إذا وقع في اللحن[٢٧] .

هذا إذا كان اللحن في الكلام العادي فما بالك به وقد وقع في القرآن الكريم ، إنه بلا شك أمر يستوجب استنهاض الهمم ويدعو إلى الاستنكار ، وهاك بعض المواقف التي استنكر فيها الأعراب لحناً سمع في بعض حروف القرآن الكريم ، روى ابن قتيبة قال : « سمع أعرابي إماماً يقرأ ﴿ وَلاَ تُنْكِحُوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾[٢٨] بفتح تاء تَنْكحُوا ، فقال : سبحان الله ، هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده ؟ فقيل له : إنه لحن ، والقراءة ﴿ ولا تُنْكِحُوا ﴾ فقال : قبحه الله ، لا تجعلوه بعدها إماماً فإنه يحل ما حرم الله »[٢٩] ثم قصة ذلك الأعرابي الذي قدم في زمان عمر بن الخطاب

(٢١) انظر إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ٤٨/١ .

(٢٢) العقد الفريد ٣٠٨/٢ .

(٢٣) إرشاد الأريب ٨٣/١ .

(٢٤) انظر : المصدر نفسه ٨٥/١ ، وانظر : عيون الأخبار ١٧٥/٢ .

(٢٥) أدب الكاتب/١٣٢ .

(٢٦) انظر : المصدر السابق/١٣٢ .

(٢٧) انظر : المصدر نفسه/١٢٩ ، إيضاح الوقف والابتداء ٣٣/١ .

(٢٨) سورة البقرة ، الآية ٢٢١ .

(٢٩) عيون الأخبار ١٧٥/٢ .

يطلب أن يقرئه بعضهم شيئاً مما أنزل على محمد ، فأقرأه رجل « براءة » فقال « أن الله بريء من المشركين ورسولِه » بالجر ، فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسوله ؟! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر مقالة الأعرابي ، فدعاه وبيّن له صواب القراءة ، فما كان من الأعرابي إلا أن قال : وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منه[٣٠] .

وتدور الخواطر في أذهان المفكرين من الأمة ، كل يريد أن يصنع شيئاً يقيم به اللسان الذي فارق سبيل العرب في أصواتها وإعرابها ، على غرار ما نرى من أبي الأسود عندما سمع اللحن في كلام بعض الموالي فقال : « هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ، ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة ، فلو علمناهم الكلام »[٣١] .

وبالمقابل ترتفع الدعوة إلى تعلم الإعراب ، وهو سبيل العرب في الإبانة عن أغراضها ، يقول مالك بن أنس : « الإعراب حَلْيُ اللسان فلا تمنعوا ألسنتكم حليها »[٣٢] ، ويأتي الحث على التماس الإعراب في قراءة القرآن على وجه الخصوص ، فيقول عمر ، رضي الله عنه ، مثلاً : « تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه »[٣٣] ، ويروى عن ابن مسعود أنه قال : « جرِّدوا

(٣٠) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ٣٨/١ ـ ٣٩ ، وفي رواية أن الأعرابي لما سمع اللحن في القراءة قال : والله ما أنزل الله هذا على نبيه محمد ، فبلغ الأمر عمر ، رضي الله عنه ، ولم ينكر الأعرابي مقولته المبنية على ما سمع من لحن القارئ ، فقال عمر : صدق الأعرابي ، إنما هي « ورَسُولُه » انظر إيضاح الوقف والابتداء ٣٧/١ ـ ٣٩ ، وانظر أيضاً تفسير القرطبي ٢٤/١ .

(٣١) انظر أخبار النحويين البصريين/١٨ .

(٣٢) انظر : المصدر نفسه/٢٣ .

(٣٣) إيضاح الوقف والابتداء ٣٥/١ .

القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه ، فإنه عربي ، والله يحب أن يُعْرَب »[٣٤] وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « أعربُوا القرآن »[٣٥] .

وتتواتر الآثار عن صحابة رسول الله ، ﷺ ، في الحث على إعراب القرآن ، وما يترتب على إعرابه من الثواب[٣٦] ، ويرقى ذلك إلى عهد رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، فعن أبيّ بن كعب ، رضي الله عنه ، أنه كان يقرئ رجلاً فارسياً ، فكان إذا قرأ عليه ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴾[٣٧] قال : « طَعَامُ اليَتِيمِ » فمر به النبي ، ﷺ ، فقال : « طَعَامُ الظَّالِمِ » ففصح به لسانه ، فقال النبي ، ﷺ ، لأبي بن كعب : قوّم لسانه وعلّمه ، فإنك مأجور ، وإن الذي أنزله لم يلحن فيه ، ولا الذي نزل به ، ولا الذي أنزل عليه ، وإنه قرآن عربي »[٣٨] .

إن الفصاحة مطلب عظيم ، والعرب تتوخى مواطنها بين البدو الخلّص ذوي السليقة السليمة ، فتلحق أبناءها وهم في طور الاكتساب وطراوة اللسان بتلك القبائل التي تميزت بالإعراب والبيان ، وكان الموسرون من قريش يبعثون أولادهم إلى البادية لهذا الغرض ، ولا أدل على ذلك من

(٣٤) المصدر نفسه ١٦/١ ، تفسير القرطبي ٢٣/١ وفيه « جوّدوا القرآن ... » وأظن الرواية الأولى أصح ، لأن المعنى يفضي إلى تجريد القرآن مما كان بعض الصحابة يثبت في مصحفه من تفسير لغريبه ، أو نحو ذلك .

(٣٥) تفسير القرطبي ٢٣/١ .

(٣٦) انظر : المصدر السابق ٢٣/١ ، إيضاح الوقف والابتداء ١٦/١ ، ميزان الاعتدال ٥٤١/٤ .

(٣٧) سورة الدخان الآية/٤٣ .

(٣٨) مقدمتان في علوم القرآن/٢٢٩ ــ ٢٣٠ ، وانظر حديثاً آخر في إيضاح الوقف والابتداء ١٦/١ .

إيفاد محمد بن عبد الله ، ﷺ ، وهو صغير إلى بني سعد واسترضاعه حليمة السعدية ، وهناك بدأ نشأته الطيبة ، واكتسب الفصاحة ، ونجا مما قد يصيب ناشئة مكة من فساد السليقة نظراً لما يلابسهم من الرقيق والخدم(٣٩) . وكان عليه السلام يفخر بذلك الاسترضاع ، فيقول لأصحابه : « أنا أعْرَبُكم ، أنَا قرشي ، واسترُضِعْتُ في بني سعد بن بكر »(٤٠) ، وقد مرّ بنا تأسف عبد الملك بن مروان على فساد سليقة ابنه الوليد لعدم إلزامه البادية .

ولما كانت العربية هي المروءة الظاهرة التي ترفع الوضيع إلى مراتب الأشراف(٤١) ، وأن الفصاحة إحدى المروءتين(٤٢) ، وأن تعلُّم النحو جمال للوضيع(٤٣) . كان الإقبال على التحلي بحليتها كبيراً ، والتنافس على بابها شديداً ، وكان على مفكري الأمة وقادتها أن يستجيبوا لرغبات الرعية ، ويحافظوا على ما تقيم به ألسنتها عند قراءة كتاب ربها .

لقد انطلق علم النحو من منطلق قرآني ، والذي وضع أول لبنة فيه ما كان ليخطر بباله أنه يؤسس لعلم سيصبح له خطره وشأنه في الثقافة العربية الإسلامية ، ولم يدر بخلده وهو يضع تلك الإشارات على أواخر الكلمات القرآنية أنه قد أعرب المصحف – على ما تعارفت عليه الأجيال من بعده – . نظر مؤسسو النحو إلى الإعراب بمعناه الواسع المتضمن للإبانة ، أو قل طريق العرب في التعبير ، فحرصوا على تمكين إخوانهم

---

(٣٩) انظر سيرة النبي ، ﷺ ، ١٧٢/١ – ١٧٨ ، حياة محمد/٧١ .

(٤٠) سيرة النبي ، ﷺ ، ١٧٨/١ .

(٤١) انظر إيضاح الوقف والابتداء ٤٥/١ – ٤٦ .

(٤٢) انظر المصدر السابق ٤٧/١ .

(٤٣) انظر البيان والتبيين ٢١٩/٢ .

المستعربين من تلك الآلة وبالأخص عند قراءة كتاب الله الكريم ، لم ينظروا إلى إكساب غير العربي فصاحة العربي وبلاغته ، ولكنهم أخذوا على عاتقهم وضع علامات يهتدي بها غير العربي فينطق الحرف صحيحاً كما ينطقه العرب ، ليحموا الناس من الوقوع في شيء من اللحن في كتاب الله ، أو قل ليحموا كتاب الله من لحن اللاحنين .

وسواءٌ اتفقت الروايات أو اختلفت فيمن وضع تلك اللبنة الطيبة وأسس للدراسة النحوية ، فإنه لا خلاف في أن نقط الإعراب كان أول خطوة في هذا الميدان(٤٤) .

وهذا العمل وإن بدا بسيطاً في نظر المتأخرين ، فلقد كان جليلاً لم ينهض به إلا رجل كيّس ، وهبه الله الفطنة ، ويسّر له من ولاة الأمر من يشد أزره ويعينه على مهمة إعراب القرآن الصعبة . ولئن كانت فكرة الإعراب هذه هاجس المسلمين الغيورين على كتاب الله ، لا سيما وقد تفشى اللحن ، وسمعوه في بعض حروف القرآن ، إنّ أحداً لن يجرؤ على عمل شيء في كلام الله تحرجاً من أن يزيدوا في الحروف أو ينقصوا ، يضاف إلى ذلك أن مثل هذا الموقف لا يستطيعه فرد ، ولكن مسؤوليته تتعلق بوليّ أمر المسلمين . ثم لما شرح الله لها الصدور ، قيض الله لها أن تكون ، يستوي في ذلك إن كانت هذه الخطوة بتأييد من الخليفة عمر(٤٥) ، أو كانت بتوجيه

(٤٤) الآراء في هذه القضية ثلاثة :
الأول : يرى أن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، هو أول من صنع شيئاً .
الثاني : يرى أن أبا الأسود هو صاحب الخطوة الأولى دون غيره .
الثالث : يتردد بين أبي الأسود ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر .
انظر : مراتب النحويين/٣٢ ، الفهرست/٣٩ ، أخبار النحويين البصريين/١٣ ، ١٥ ، إنباه الرواة ٤/١ ـ ٥ ، نزهة الألباء/٤ .

(٤٥) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ٣٩/١ .

من علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٤٦] ، أو كانت بأمر من زياد[٤٧] أو من عبيد الله بن زياد[٤٨] المهم أن مرحلة نقط الإعراب هذه ما كانت لتقوم لولا أنه كان للحاكم يد في تأييدها .

غَبَرَ الناس على ذلك بضع سنين ، وقد استبشروا بالتغلب على مشكلة اللحن في كتاب الله . لكن ذلك لم يدم طويلاً حيث ظهرت مشكلة أخرى ، تستدعي بذل جهد جديد ومواجهة جديدة ، تلك هي قضية التصحيف ، وتبدو هذه القضية أكثر خطراً من سابقتها لأنه قد يقع في التصحيف العربيُّ الصليب ، وقد يرتكبه في القرآن من تسعفه سليقته بالمرادف اللفظي الذي يوافق التنزيل في المعنى وفي الرسم ففي مثل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيْلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا .. ﴾[٤٩] فيقرؤها « فَتَثَبَّتُوا » ، وفي قوله تعالى ﴿ مَا تُنَزِّلُ المَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾[٥٠] تقرأ (تُنْزَّل) ، أو (تَنَزَّل) ولئن كانت هذه الحروف قد قرأت بها القَرَأَةُ ، إن بعض التصحيف يذهب بعيداً عن الروايات المتواترة في وجوه القراءات ، وهذا لا يقره مسلم ، حتى ولو كان موافقاً للرسم والمعنى ، لأن القراءة سنة ،

---

(٤٦) انظر نزهة الألباء/٤ .

(٤٧) انظر أخبار النحويين البصريين/١٦ .

(٤٨) المصدر السابق/١٧ .

(٤٩) سورة النساء الآية/٩٤ .

(٥٠) سورة الحجر ، الآية/٨ . وهناك حروف كثيرة وقعت في القرآن الكريم تحتمل هجاءين وقراءتين منها ﴿ هنالك تَبْلُو (تَتْلُو) كل نفس ما أسلفت ﴾ الحجرات/٦ ، وقوله تعالى : ﴿ تقاسموا بالله لنبيِّتنَّه (لنُبَيِّتُنَّه) ﴾ النمل/٤٩ ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تَجَسَّسُوا (تَحَسَّسُوا) ﴾ الحجرات/١٢ ، وقوله تعالى : ﴿ والعنهم لعناً كَبِيْراً (كَثِيْراً) ﴾ الأحزاب/٦٨ ، وقوله تعالى : ﴿ فمن خاف من موصٍ جَنَفاً (حَيْفاً) ﴾ البقرة/١٨٢ ، وغير ذلك في القرآن الكريم كثير .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « اتَّبِعُوا وَلاَ تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُم » ، وعن علي رضي الله عنه « أَنَّ رسولَ الله ﷺ يأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَؤُوا القُرْآنَ كَمَا عُلِّمتم »(٥١) . قال أبو عمرو بن العلاء : « لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا : كذا ، وحرف كذا : كذا »(٥٢) .

إن مما يدعو إلى التصحيف في العربية تشابه بعض الحروف الهجائية شكلاً ، وهذا ما يجعل قراءة بعضها مُشْكِلاً ، خاصة وأن الوجه الملفوظ قد يصل إلى المعنى نفسه وإن اختلف القصد ، ولعل في ما يلي من الأمثلة ما يكشف عن خطر التصحيف ، وكان في مثله دافع للمهتمين بالعربية إلى التماس مخرج يجنبهم مزالق التصحيف .

يروى أن امرأة جاءت إلى الفرزدق تستنجد به قائلة : إن ابني مع تميم بن زيد القيني بالسند ، وقد اشتقت إليه ، فإن رأيت أن تكتب إليه في أن يقفله إليّ ، فكتب إلى تميم :

تَمِيمَ بْنَ زَيْدٍ لاَ تَكُونَنَّ حَاجَتِي ... بِظَهْرٍ فَلاَ يَخْفَى عَلَيَّ جَوَابُهَا

أَتَتْنِي فَعَاذَتْ يَا تَمِيمُ بِغَالِبٍ ... وَبِالْحُفْرَةِ السَّافِي عَلَيْهِ تُرَابُهَا

فَهَبْ لِي (خُنَيْساً) وَاتَّخِذْ فِيهِ مِنَّةً ... أَهَبْهُ لأُمٍّ لاَ يَسُوغُ شَرَابُهَا

فلما ورد الشعر إلى تميم أشكل عليه الاسم ، لفقدان النقط على الحروف ، فقال : أقفلوا كل من اسمه خنيس ، أو حبيش ، أو حنيش ، أو حشيش ، أو خشيش ، فعُدّوا فكانوا ثمانين رجلاً(٥٣) .

---

(٥١) انظر السبعة/٤٦ ، ٤٧ .

(٥٢) المصدر السابق/٤٨ ، وانظر ما روي عن الحجاج بن يوسف من كتابة بعض الحروف في مصحف عثمان . كتاب المصاحف/٤٩ – ٥٠ .

(٥٣) الأضداد/٢٥٦ .

ويروى أن أبا نواس تهكم برجل فقال :

رَأى الصَّيفَ مَكتُوباً فَظَنَّ بأنَّهُ لِتَصْحِيفِهِ (ضَيْفٌ) فَقَامَ يُوَاثِبُهُ(٥٤)

حقاً لقد رُصدت مثل هذه الأمثلة بعد معرفة الإعجام ونقط الإعراب ، وما سبق مرحلة الإعجام كان بلا شك أكثر وأوسع ، ولعله لما وقع في قراءة القرآن أو أحاديث رسول الله ﷺ ، هُرِعُوا لصنع شيء تقيم به العامة لسانها . قال الحسن : « أهلكتكم العجمة ، يقرأ أحدهم الآية فيُعنى بوجوهها حتى يفتري على الله »(٥٥) ، ولعلنا نتصورهم سمعوا قارئاً يقرأ :

« وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَبِشْراً »(٥٦) ، أو يقرأ : « جَعَلَ السَّفِينَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ »(٥٧) ، أو يقرأ : « وَمَا عَلَّمْتُم مِنَ الْحَوَارِجِ مُكَلِّبِينَ »(٥٨) أو يقرأ : « ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ زَيْتَ فِيهِ »(٥٩) ، فما تراهم يفعلون إزاء مثل هذا ؟! ما تراهم صانعين إزاء فقيه يقرأ قوله : « وَلاَ يَكُونُ النَّذْرُ إلاَّ فِي قَرْيَةٍ » وهو يعني « قُرْبَة » ؟ أو آخر يحدث بقول الشافعي فيقول : « وَيُسْتَحَبُّ فِي الْمُؤذِنِ أنْ يَكُونَ صَبِيّاً » ، فقيل له : ما العلة في ذلك ؟ قال : ليكون قادراً على الصعود في درج المئذنة ، وإنما هو « صَيِّتاً » ، من الصوت »(٦٠) .

---

(٥٤) انظر : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف/٢٠ . وهناك أمثلة مشابهة لهذا كثيرة .

(٥٥) مقدمة ابن عطية/٢٦١ .

(٥٦) سورة نوح ، الآية/٢٣ .

(٥٧) سورة يوسف ، الآية/٧٠ .

(٥٨) سورة المائدة ، الآية/٤٨ .

(٥٩) البقرة ، الآية/٢ .

(٦٠) انظر تصحيح التصحيف/١٦ .

ليس ثمة من علاج غير صنع علامات يفرّق بها بين تلك الحروف المتشابهة . وقد روي لذلك أن السبب في نقط المصاحف أن الناس غبروا يقرؤون في مصاحف عثمان رحمةُ الله عليه نيّفاً وأربعين سنة ، إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج إلى كُتّابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات(٦١) .

وليس يهمنا في هذا المقام ذكر من قام بهذه المهمة الصعبة من العلماء ، بقدر ما يهمنا أن هذه الخطوة لم تكن لتقوم لولا اهتمام ولي الأمر بشأن القرآن الكريم ، والحرص على حمايته من تحريف التصحيف . على أن بعضهم يرتفع بتاريخ النقط هذا إلى عهد الصحابة رضوان الله عليهم(٦٢) ، لكن يبدو أن هذا كان خاصاً ببعضهم ولم يكن عليه الإجماع .

وكما كان أمر جمع القرآن في مكان صعباً ، وكتْبه في مصحف أصعب ، كما لم يكن نقطه بالإعراب أقل منهما خطورة ، كذلك فإن نقط الإعجام ليس أقلّ خطراً من الجميع ، وما أثر عن المسلمين من خلاف في واحد من الأمور السابقة بقدر ما أثر عنهم من الخلاف في الإعجام ، وينطلق اختلافهم هذا من الخوف من زيادة حرف في القرآن أو نقص آخر منه ؛ ولذلك كانوا يحبون أن يُجرّد القرآن ، وألا يخلط بشيء ، فالحسن البصري وابن سيرين كانا يكرهان أن ينقط المصحف بالنحو(٦٣) ، وروي أن مالك بن أنس كان قد سئل : هل ينقط المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتبة الأولى »(٦٤) ، ويصل الأمر إلى حد

---

(٦١) انظر شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف/١٣ .

(٦٢) انظر المحكم في نقط المصاحف/٢ ـ ٣ .

(٦٣) انظر المحكم في نقط المصاحف ١٠ ، وغيرهم كثير ، انظر المصاحف/١٤١ .

(٦٤) انظر الإتقان ، ٢/١٦٧ .

الحرج واستفتاء بعضهم فيه ، فيروى أن مالكاً سئل عن نقط القرآن فقال : أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقط ، ولا يزاد في المصاحف ما لم يكن فيها ، أمّا المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان ، وألواحهم فلا أرى بذلك بأساً »[٦٥] وأخذ الذين يُرغّبون الناس فيه بالحث عليه وقالوا : العَجْمُ نورُ الكِتَاب[٦٦] وهم يسمون النقط (العربية) ، ويرونه عملاً مستقلاً عن القرآن ، وهذا الليث يقول : لا أرى بأساً أن ينقط المصحف بالعربية[٦٧] .

وليميزوا بين نقط الإعراب ونقط الإعجام اختاروا لونين مختلفين من الحبر ليضعوا كل نقط بلون يخالف لون الآخر ، ومضوا على ذلك زمناً حتى جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) الذي كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس ، مع زهد في الدنيا وانقطاع إلى العلم[٦٨] ، نظر الخليل إلى الحروف ، فأدرك أنها تختلف بين مشدّد ومخفف ، وأن النقط لم يعالج هذه الجزئية فهدي إلى أن يجعل على الحرف المشدد سنينات ثلاث ، هكذا (ـ) ، مأخوذة من صدر كلمة (شديد) ، وعبّر عن الحرف الخفيف بوضع حرف الخاء صغيراً عليه (خ) وهو مأخوذ من أول كلمة (خفيف)[٦٩] ، ويبدو أن هذا دفعه إلى التفكير في صنع علامات للإعراب يفرق بها بين نقط الإعجام ونقط الإعراب ، ويهون على النساخ متاعب الحصول على الألوان المختلفة للحبر ، ويتقدم بالعلم خطوات أوسع وأرحب .

(٦٥) انظر المصاحف/١٤٢ ـ ١٤٣ ، المحكم في نقط المصاحف/١١ .
(٦٦) المحكم في نقط المصاحف/١٣ .
(٦٧) المصدر السابق/١٣ .
(٦٨) أخبار النحويين البصريين/٣٨ .
(٦٩) انظر المحكم في نقط المصاحف/٧ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقد روى أبو الحسن بن كيسان عن أبي العباس المبرد أن الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل ، وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالضمة بعض الواو ، والفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء(٧٠) ، قال أبو الفتح : « كان متقدمو النحويين يسمّون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا على طريق مستقيمة »(٧١) .

ويظهر أن عمل الخليل هذا كان ذاتياً دون أن يكون وراءه أمر من سلطان أو مساندة من والٍ ، وقد تقبلته النفوس ، لأنه انطلق من رجل عُرف بذكائه وفطنته وسعة علمه بالعربية وأسرارها ، يضاف إلى ذلك ما اتصف به من زهد وورع أكسبه ثقة الناس جميعاً ، فتقبلوا عمله دون تردد ، اقتناعاً برجاحة عقله ، بالإضافة إلى ما لمسوا في عمله هذا من تذليل للصعوبات التي يعجز النقط عن معالجتها . ثم إنه لم يضف جديداً إلى ما استقر ، ولكنه أجرى تعديلاً لما هو قائم ، منتقلاً به من مرحلة لا تخلو من اللبس والاضطراب ، ليبلغ مرحلة من النضج والتطور ، معالجاً لقضايا لم يكن نقط أبي الأسود ليصنع فيها شيئاً .

الخطوات المارّ ذكرها كانت بمثابة اللبنات الأولى في علم العربية لكن لم يسمها أحدٌ بما عرف بعد بالنحو ، وبالرغم من عظم أمرها في الدرس النحوي فإنّ النحو تجاوز تلك الحدود ، إذ أخذ ينمو بسرعة أذهلت الناظرين في مجال تطور العلوم ، ودعت بعض الغربيين إلى الشك في نشأته ، ودفعت الظنون بعضهم إلى أن ينسبوا الخطوات الأولى فيه إن لم يكن كله

(٧٠) انظر المصدر السابق/٧ ، سر صناعة الإعراب ١٧/١ .

(٧١) انظر سر صناعة الإعراب ١٧/١ ، وانظر نتائج الفكر/٨٤ .

إلى غير العرب[٧٢] ، في حين لم يعدم من ردّ ذلك الزعم ، مثبتاً أن النحو العربي « أثر رائع من آثار العقل العربي ... ويحق للعرب أن يفخروا به »[٧٣] .

ولم تقف الجهود عند هذا الحد في مجال خدمة القرآن الكريم ، فهم يدرسون ألفاظه ، ويبينون غريبه ، ويفسرون معانيه ، ومنهم من استعان بالشعر في توضيح معاني بعض ألفاظه ، لأن الشعر ديوان العرب ، كما أن الفقهاء اهتموا باستخراج الأحكام الشرعية منه ، وبتأييد ما جاء فيه بشيء من سنة الرسول ، ﷺ .

وباختصار لقد اشتغلوا بالقرآن تعلماً ودرساً . ونتج عن اهتمامهم هذا تلك العلوم الجليلة ، من تفسير ، وقراءات ، ونحو ، ومن النحو انبثقت علوم مختلفة أهمها علم التجويد ، وعلم الأصوات ، ودراسة اللهجات ، والبلاغة وغيرها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلم النحو لم ينفصل عن القرآن إلا بعد مرور زمن ليس بالقصير ، تخلله عناية العلماء بجمع اللغة ، ومشافهة الأعراب في أماكن الفصاحة ، ورصد الظواهر اللغوية لاستخراج القواعد المبنية على الاطراد والانسجام ، ثم معرفة كثير من خصائص اللهجات العربية المختلفة ، وهكذا بدأ علم العربية يتصل بروافد أخرى غير القرآن الكريم ، إذ اتجه العلماء إلى الشعر والموروث اللغوي عند القبائل الموثوق بفصاحتها ، المشهود بخلوها من شوائب العجمة ومخالطة الأمم الأخرى . وفي هذا الخضم الكبير من اهتمام العرب والمستعربين

(٧٢) انظر الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية/٩٠ .

(٧٣) انظر تاريخ الفلسفة في الإسلام/٥٧ ، وانظر أيضاً مقدمة ابن خلدون/٥٤٥ .

بجمع اللغة من مصادرها الصافية وسلائق القبائل العربية أخذ علم النحو يتشكل ، وأخذت مصطلحاته تظهر ، وقواعده ترسم ، ليصبح علماً له كيانه وقوانينه ورجاله ، وبدأت الكتب تؤلف في علم شب عن طوق نقط الإعراب والإعجام أو حركات أواخر الكلم ، ليشكل ذاتاً مستقلة شمخت فوق تلك البذرة التي وضعها أبو الأسود الدؤلي ، وأصبحت دوحة عظيمة يتفاخر الناس بمعرفتها ، ويتسابقون إلى كنفها ، إدراكاً منهم بفضيلة من تحلى بحليتها ، ولذلك قال بعضهم :

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الأَلْكَنِ ... وَالمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ العُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا عِنْدِي مُقِيمُ الأَلْسُنِ(٧٤)

بل إنهم أخذوا يتفاخرون بالفصاحة وسلامة ألسنتهم من اللحن ، يقول بعضهم مفاخراً :

إِمَّا تَرَيْنِي وَأَثْوَابِي مُقَارِبَةٌ ... لَيْسَتْ بِخَزٍّ وَلَا مِنْ نَسْجِ كَتَّانِ
فَإِنَّ فِي المَجْدِ هِمَّاتِي وَفِي لُغَتِي ... عُلْوِيَّةٌ ، وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَّانِ(٧٥)

أخذ الناس – عربُهم وعجمُهم – في تعلم النحو ، وحرصوا على تقويم الألسنة بتعلم قوانينه إدراكاً منهم بأن تعلمه جمال للوضيع ، وتركه هجنة على الشريف(٧٦) ، ورحم الله الكسائي إذ قال في فضل النحو ، والفرق بين صاحب النحو ومن لا نحو عنده :

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعْ ... وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنْتَفَعْ
وَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الفَتَى ... مَرَّ فِي المَنْطِقِ مَرّاً فَاتَّسَعْ

(٧٤) انظر عيون الأخبار ، ١٧٢/٢ – ١٧٣ .
(٧٥) المصدر السابق ١٧٥/٢ ، إرشاد الأريب ٨٥/١ .
(٧٦) انظر العقد الفريد ٤٧٨/٢ ، البيان والتبيين ٢١٩/٢ .

وَاتَّقَـاهُ كُلُّ مَنْ جَـالَسَـهُ مِنْ جَلِيسٍ نَـاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعْ
وَإِذَا لَمْ يَعْـرِفِ النَّحْـوَ الْفَتَى خَـافَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنـاً فَانْقَمَعْ
يَقْـرَأُ الْقُـرْآنَ لاَ يَعْـلَمُ مَـا صَـرَّفَ الإِعْـرَابُ فِيـهِ وَصَنَعْ
فَتَـرَاهُ يَخْـفِـضُ الرَّفْعَ وَإِنْ كَانَ مِنْ نَصْبٍ وَمِنْ خَفْضٍ رَفَعْ
وَإِذَا يُبْـصِـرُهُ يَقْـرَؤُهُ وَإِذَا مَـا شَـكَّ فِي حَرْفٍ رَجَعْ
نَـاظِراً فِيـهِ وَفِي إِعْـرَابِـهِ فَـإِذَا مَـا عَرَفَ الْحَقَّ صَدَعْ(٧٧)

وهاك قول الآخر في وصف النحو :

اقْتَبِسِ النَّحْـوَ فَنِعْـمَ الْمُقْتَبَسْ وَالنَّحْـوُ زَيْنٌ وَجَمَـالٌ مُلْتَمَسْ
صَـاحِبُـهُ مُكَرَّمٌ حَيْثُ جَلَسْ مَنْ فَـاتَـهُ فَقَـدْ تَعَمَّى وَانْتَكَسْ
كَأَنَّ مَـا فِيـهِ مِنَ الْعِيِّ خَرَسْ شَتَّانَ مَا بَيْنَ الْحِمَارِ وَالْفَرَسْ(٧٨)

وأخذ طلاب العربية يتسابقون إلى علمائها ، ويشدّون الرحال إليهم ، ما كان لأحد طلبة إلا تعلّم هذا العلم الذي أصبح طلبه من المروءة ، قال الزهري : « ما أحدث الناس مروءة أحبَّ إليّ من تعلم النحو »(٧٩) ، وارتفع شأن أهل هذا العلم لعلو شأنه ، وأصبحت مجالس الولاة لا تنتظم إلاّ بهم ، وإذا أنشد الشاعر قصيدة كان لا يخشى إلا من النحوي ، وموقفُ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي مع الفرزدق أشهر من أن يذكر . بل إن بعض النحاة فضل النحو على الفقه ، وما ذاك إلا لما في النحو من توسيع للنظر والفكر ، وما يتمتع به النحوي من القدرة على القياس والاستنتاج(٨٠) ، وبهذه النظرة استطاعوا أن يتبوأوا مكانة مرموقة في

(٧٧) انظر الورقة/٢٥ ، تاريخ بغداد ٤١٢/١١ .
(٧٨) إرشاد الأريب ٧٨/١ .
(٧٩) المصدر السابق ٧٨/١ .
(٨٠) المصدر نفسه ١٥/١ .

بلاط الولاة ودواوين الوزراء ، فقد أثر أن أبا يوسف القاضي أستاذ محمد بن الحسن الشيباني ، وأحمد بن حنبل وغيرهما ، أثر أنه دخل يوماً على الرشيد والكسائي النحوي يمازحه ، فقال أبو يوسف : هذا الكوفي قد استفرغك ، وغلب عليك ، فقال : يا أبا يوسف ، إنه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي ، فأقبل الكسائي على أبي يوسف وقال : يا أبا يوسف ، هل لك في مسألة ؟ قال : نحو أو فقه ؟! قال : بل فقه ، فضحك الرشيد حتى فحص برجله ، ثم قال : تُلقي على أبي يوسف فقهاً ؟! قال : نعم ... »[٨١] ، بل إن الولاة أخذوا في التنافس على فضلاء النحاة واستقطابهم إلى كنفهم رغبة منهم في أن يُحَلُّوا مجالسهم بالأدب ، وأن يقوموا على تأديب أبنائهم وتعليمهم ، فذللوا لهم الصعاب ، وهونوا عليهم مؤونة طلب الرزق ، وخصُّوهم بالاهتمام والرعاية ؛ ليتفرغوا للكتابة والتأليف . وأخذت كتب النحو تنتشر شرقاً وغرباً ، وبانتشارها كثر العلماء حتى أصبحت لهم مذاهبهم المختلفة ومدارسهم المتخصصة ، وكان لكتاب سيبويه في النحو النصيب الوافر من اهتمام الناس في كل زمان ومكان ، حتى إنهم أطلقوا عليه اسم « قرآن النحو » ؛ إذ حظي هذا الكتاب بإقبال الطلاب عليه درساً وحفظاً وشرحاً وتعليقاً واستدراكاً ، ولا يزال هذا الكتاب إلى يوم الناس هذا هو الإمام في كتب النحو ، كما أن صاحبه إمام النحاة .

بقيت كلمة أخيرة أود أن أختم بها المقام وهي أن اهتمام النحاة بتجويد قواعدهم وأقيستهم ، وتشددهم في بعض الأحكام ، وتجويزهم بعض الروايات الشعرية دون بعض ، وتوجيههم لبعض المأثور الشعري ولو بدا متكلفاً ، هذا الموقف جعل بعض الناس يُحجم عن النحو والنحاة ،

---

(٨١) انظر طبقات النحويين واللغويين/١٢٧ .

ويرغب عن النحو ، بل أدى الموقف إلى التهكّم بالنحاة وبصناعتهم ، قال بعضهم :

مَاذَا لقيتُ مِنَ المُستعربينَ ومِنْ ... قِيَاسِ نَحْوِهِمُ هَذا الَّذي ابْتَدَعُوا
إنْ قُلْتُ قَافِيَةً بِكْراً يَكونُ بِهَا ... بَيْتٌ خِلافُ الَّذي قَاسُوهُ أو ذَرَعُوا
قَالُوا : لَحَنْتَ ، وَهذَا لَيسَ مُنتصباً ... وَذَاكَ خَفْضٌ وهذَا لَيسَ يَرْتَفِعُ
وَحَرَّضُوا بَيْنَ عَبدِ اللهِ مِنْ حَمَقٍ ... وَبَيْنَ زَيْدٍ فَطَالَ الضَّرْبُ وَالوَجَعُ
كَمْ بَيْنَ قَومٍ قَدِ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ ... وَبَيْنَ قَوْمٍ عَلى إعْرَابِهِمْ طُبِعُوا(٨٢)

لقد كان خروج النحو إلى مرحلة متطورة من التجريد وراء التبرم بالنحو وأهله ، فليس طلاب العربية على مستوى واحد من تقبل أحكام النحويين التي أخذت تتعقد بتتابع السنين ، لا سيما وقد لابس النحو المنطق والفلسفة ، وغاص في فقه اللغة واكتنه أسرارها ، فمن تجشم بالصبر وثابر على ملازمة أصحاب الصناعة فربما يحصل له مراده من هذا الفن ، لكن من ضاق صدره ، وكلّ ذهنه عن تقبل تلك الأسرار والنُّظُم اللغوية فإنه لا يلبث أن يعزّي نفسه ويردد قول الخليل بن أحمد :

إذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيئاً فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إلى مَا تَسْتَطِيعُ

حقاً لقد حصل مثلُ هذا الموقف مع أحد تلاميذ المازني في النحو ، وكان قد قرأ من النحو أبواباً ، حتى إذا جاء عند قول الخليل وأصحابه : إن ما بعد الواو والفاء يكون منصوباً بإضمار (أنْ) ، ساء فهم الرجل لهذه القاعدة ، ولم يستطع تجاوزها ولا تمثلها ، فكتب إلى أستاذه المازني يشكو صعوبة هذا الباب ، وأن إضمار (أنْ) في هذا الباب قد اعتاص عليه والتاث أمره :

تَفَكَّرتُ في النَّحوِ حتّى مَلِلْتُ ... وَأتْعَبْتُ نَفْسِي بِهِ والبَدَنْ

(٨٢) الكوكب الدري/٥٩ .

وأتعَبت بكـراً[٨٣] وَأصحَـابَـهُ بِطُـولِ المَسَـائِلِ فِي كُلِّ فَنْ
فَمِـنْ عِـلْمِـهِ ظَـاهِـرٌ بَيِّنٌ وَمِنْ عِـلْمِـهِ غَـامِضٌ قَدْ بَطَنْ
فَكُـنتُ بِظَـاهِـرِهِ عَـالِمـاً وَكُنْتُ بِبَـاطِنِـهِ ذَا فِطَـنْ
خَـلاَ أَنَّ بَـابـاً عَـلَيْـهِ العَفَـا ءُ ، لِلْفَـاءِ يَـا لَيْتَـهُ لَمْ يَكُـنْ
وَلِلْوَاوِ بَـابٌ إلى جَنْبِـهِ مِنَ المَـقْتِ أَحْسَبُـهُ قَـدْ لُعِنْ
إذَا قُـلْتُ هَـاتُوا لِمَـاذَا يُقَـا لُ « لَسْتُ بـآتِيْـكَ أَوْ تَـأْتِيَنْ »
أُجِيْبُـوا ، لِمَـا قِيْـلَ هَذَا كَذَا عَلَى النَّصْبِ ، قَالُوا لإضْمَارِ (أَنْ)
وَمَـا إنْ رَأَيْتُ لَهَـا مَوْضِعـاً فَـأُعْـرِفَ مَـا قِيْـلَ إلاَّ بِظَنْ
فَقَدْ خِفْتُ يَا بَكْرُ مِنْ طُوْلِ مَا أُفَكِّـرُ فِي أَمْرِ (أَنْ) أَنْ أُجَنْ

قال القالي : قال أبو العباس : فبلغ ذلك المازني فقال : والله ما أحسب أنه سألني قط ، فكيف أتعبني ؟![٨٤] . ويبدو أن تلك الشكوى منذ أن انطلقت في تلك القرون لم تجد استجابة من النحاة ليتخلصوا من بعض القواعد العويصة التي تنفر طلاب العربية من تعلم النحو والإقبال عليه ، حتى إذا بلغتنا تلقفناها نرددها دونما فهم لحقيقتها ، ولم نتعب الذهن ولا البدن لمعرفة ما إذا كانت الصعوبة حقيقية أو غير حقيقية ، ولم نبذل من الجهود ما يستحق الذكر في تعلم هذا العلم الجليل الذي يرق بعضهم بتعلمه إلى أن يجعله واجباً . وَقَفَتْ جهودُنا عند حدّ التذمر والشكوى من صعوبة النحو والصرف ، وواقعنا يؤكد أننا لم نبذل في تعلمهما ما يتناسب مع فضلهما ، فهل آن الأوان لنبذ الشكوى واكتناه أغوار هذا الفن ، والرجوع إلى منابعه الأصيلة في كتب التراث ، وعدم التعويل على الحواشي والمذكرات والمختصرات ؟

(٨٣) بكر بن بقية هو أبو عثمان المازني أستاذه .

(٨٤) أمالي القالي ١٨٦/٣ ، وانظر عيون الأخبار ١٧١/٢ ــ ١٧٢ ، إنباه الرواة ٥/٢ ــ ٦ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المراجع

• البحث في أصول الإعراب وتاريخ النحو العربي مدين لعدد غير قليل من الباحثين المعاصرين ولعل أبرز الأعمال التي كان لها فضل السبق في هذا الميدان هي :

(١) تاريخ النحو وأصوله : للدكتور عبد الحميد السيد طلب .

(٢) تطور الدرس النحوي : للدكتور حسن عون .

(٣) الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي : للدكتور عبد العال سالم مكرم.

(٤) في النحو العربي : للدكتور مهدي المخزومي .

(٥) المدارس النحوية : للدكتور شوقي ضيف .

(٦) المدارس النحوية : للدكتور إبراهيم السامرائي .

(٧) مدرسة البصرة : للدكتور عبد الرحمن السيد .

(٨) مدرسة الكوفة : للدكتور مهدي المخزومي .

(٩) من تاريخ النحو : للأستاذ سعيد الأفغاني .

(١٠) نشأة النحو : للأستاذ محمد الطنطاوي .

أما المراجع المباشرة في هذا الموضوع فهي :

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر :

ـ الشيخ أحمد بن عبد الغني الشهير بالبناء ، صححه وعلق عليه علي محمد الضباع ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .

(٢) أخبار النحويين البصريين :

ـ أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، اعتنى بنشره وتهذيبه فرتس كرنكو ، نشر معهد المباحث الشرقية بالجزائر (خزانة الكتب العربية) ١٩٣٦م .

(٣) أدب الكتاب :

- تأليف أبي بكر محمد بن يحيى الصولي . تحقيق محمد بهجة الأثري ، وراجعه محمد شكري الألوسي ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١هـ .
(٤) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) :
- ياقوت الحموي ، الطبعة الأخيرة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .
(٥) الأضداد :
- تأليف محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
(٦) أمالي القالي :
- أبو علي إسماعيل بن القاسم ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، بلا تاريخ .
(٧) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل :
- تأليف أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، دمشق ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م .
(٨) البيان في غريب إعراب القرآن :
- أبو البركات الأنباري ، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
(٩) إنباه الرواة على أنباه النحاة :
- علي بن يوسف القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .
(١٠) البيان والتبيين :
- الجاحظ عمرو بن بحر ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
(١١) تاريخ بغداد أو مدينة السلام :
- للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .
(١٢) الجامع لأحكام القرآن :
- لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧م .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٣) حجة القراءات :
– للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق وتعليق سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(١٤) الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية :
– تعريب مصطفى بدر ، دار الفكر العربي .

(١٥) ذيل الأمالي والنوادر :
– أبو علي القالي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، لبنان (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) ١٩٢٦م .

(١٦) الرسالة :
– للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م . المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .

(١٧) السبعة في القراءات :
– لابن مجاهد ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثانية (منقحة) ، دار المعارف بمصر ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(١٨) سر صناعة الإعراب : .
– أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١٩) سيرة النبي ﷺ :
– لأبي محمد عبد الملك بن هشام ، راجع أصولها محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م .

(٢٠) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف :
– تأليف أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ، تحقيق عبد العزيز أحمد مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

(٢١) طبقات النحويين واللغويين :
– أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٢) العقد الفريد :
– تأليف الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق الدكتور/ مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٢٣) عيون الأخبار :
– تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، شرحه وطبعه الدكتور يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٢٤) الفهرست :
– ابن النديم ، نشره غوستاف فلوغل ، ليبزغ ١٩٨٧م .

(٢٥) المحكم في نقط المصاحف :
– أبو عمرو الداني ، عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

(٢٦) معجم البلدان :
– للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ، نشر دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بلا تاريخ .

(٢٧) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع :
– تأليف عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، حققه وضبطه مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢٨) مقدمة ابن خلدون (المقدمة) :
– عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، الطبعة الثالثة ، بولاق ١٣٢٠هـ/١٩٠٠م .

(٢٩) مقدمتان في علوم القرآن : (مقدمة كتاب المباني – ومقدمة ابن عطية) :
– نشرهما آرثر جفري ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م . مطبعة دار الصاوي بالقاهرة .

(٣٠) نتائج الفكر في النحو :
– أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ، تحقيق الدكتور/محمد إبراهيم البنا ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منشورات دار الاعتصام ، دار النصر للطباعة الإسلامية ، القاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٣١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء :

ـ أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

(٣٢) النشر في القراءات العشر :

ـ الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ، الشهير بابن الجزري ، أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شرح أبيات الداني الأربعة
في أصول ظاءات القرآن
لمؤلف مجهول

تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن

نال حرفا الضاد والظاء نصيباً وافراً من اهتمام العلماء ، وسبب ذلك صعوبة النطق بهما على مَنْ دخل الإسلام من الأمم المختلفة فضلاً عن قسم من القبائل العربية .

قال الصاحب بن عبّاد[1] ، المتوفّى سنة ٣٨٥هـ : (إذ كانا حرفين قد اعتاص معرفتهما على عامة الكُتّاب ، لتقارب أجناسهما في المسامع ، وإشكال أصل تأسيس كلّ واحد منهما ، والتباس حقيقة كتابتهما ...) .

وقال ابن مكّيّ الصقليّ[2] ، المتوفّى سنة ٥٠١هـ : (فأمّا العامّةُ ، وأكثر الخاصة ، فلا يفرّقون بينهما في كتاب ولا قرآن ..) .

وقال ابن الجَزَري[3] المتوفّى سنة ٨٣٣هـ : (والضاد انفرد بالاستطالة ، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله ، فإنّ ألسنة الناس فيه مختلفة ، وقلّ مَنْ يحسنه ، فمنهم مَنْ يخرجه ظاء ، ومنهم من يمزجه

(١) الفرق بين الضاد والظاء ٣ .

(٢) تثقيف اللسان ٩١ .

(٣) النشر في القراءات العشر ١/٣١٠ .

بالذال ، ومنهم من يجعله لاماً مفخّمة ، ومنهم مَنْ يُشمّه الزاي ، وكلُّ ذلك لا يجوز) .

والضاد حرف مجهور ، وهو أحد الحروف المستعلية ، وهو للعرب خاصة . ولا يوجد في كلام العجم إلاّ في القليل(٤) .

أمّا الظاء فهو حرف مجهور ، وهو عربيّ خُصَّ به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم(٥) .

إن ما ورد في القرآن الكريم من الظاء ثلاثة وخمسون وثمان مئة ، ترجع إلى واحد وعشرين أصلاً .

أمّا الضاد فقد جاء في أربعة وثمانين وست مئة وألف موضع ، ترجع إلى واحد وثمانين أصلاً(٦) .

وقد كثرت المؤلفات فيهما ، وقد استقصينا ذلك في مقدمتي كتابي الصقليّ(٧) وابن مالك(٨) فلا موجب لذكرها .

وأفرد قسم من الباحثين مصنّفات مستقلة لذكر ظاءات القرآن الكريم ، ليُعلم أنّ ما عداها إنّما هو بالضاد .

ومن هذه المصنّفات منظومات شعرية تشتمل على أصول الكلمات الظائية في القرآن الكريم فقط ، وقد اختلفت في عدد أبياتها وأصولها(٩) .

(٤) ينظر : الكتاب ٤٠٦/٢ ، وسر صناعة الإعراب ٢١٣/١ ، والرعاية ١٨٤ .

(٥) ينظر : سر صناعة الإعراب ٢٢٧/١ ، والرعاية ٢٢٠ ، واللسان والتاج (حرف الظاء) .

(٦) منظومات أصول الظاءات القرآنية ٦٣٦ .

(٧) في معرفة الضاد والظاء ٩ - ١٠ .

(٨) الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ٦ - ١٢ .

(٩) تُنظر في : منظومات أصول الظاءات القرآنية ٦٣٧ - ٦٤٢ .

واتسمت هذه المنظومات بالإيجاز ، لذا فقد قام ناظموها أو غيرهم بشرحها ، وبيان مُبهمها ، وذكر الآيات المتعلقة بها .

ومن هذه المنظومات منظومة أبي عمرو الداني المتوفَّى سنة ٤٤٤هـ ، وتقع في أربعة أبيات هي[١٠] :

ظَفِرَتْ شُواظُ بحظِّها من ظُلمنا ... فكَظَمْتُ غيظَ عظيمِ ما ظَنَّتْ بنا
وظَعَنْتُ أنظرُ في الظهيرة ظُلّةً ... وظَللْتُ أنتظرُ الظِّلالَ لحِفْظنا
وظَمِئْتُ في الظَّلْما ففي عظمي لظىً ... ظَهرَ الظِّهارُ لأجلِ غِلظةِ وَعْظِنا
أَنْظَـرْتُ لفظي كي تيقّظ فَظّـهُ ... وحَظرْتُ ظهرَ ظهيرِها من ظُفُرِنا

وقد شرحها بإيجاز الناظم نفسه[١١] . وشرحها ابن الجَزَريّ في كتابه : (التمهيد في علم التجويد)[١٢] .

وثمة شرح لمؤلف مجهول وقفنا عليه ضمن مجموع رقمه ٢٥٤٧ ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ويقع في (ق ٥٢ ب - ٥٤ أ) ، في كلّ صفحة خمسة وعشرون سطراً ، كُتِب بخطٍّ مغربي يعود إلى القرن العاشر تقديراً ، وعلى المجموع تملك باسم عبد الجليل بن سعد القاضي بالمحاكم الأهلية[١٣] . وقد وافاني به مشكوراً أخي الدكتور صالح بن حسين العائد حفظه الله تعالى .

(١٠) ذكرها الجعبري في كتابه : الإرصاد في شرح المرصاد ق ١ ب ، وابن الجزري في كتابه : التمهيد في علم التجويد ٢١٠ .

(١١) نشر هذا الشرح الدكتور محسن جمال الدين ، رحمه الله ، ببغداد عام ١٩٧٠ بعنوان : (أبو عمرو الداني ورسالته في الظاءات القرآنية) .

(١٢) التمهيد ٢١٠ - ٢١٩ .

(١٣) فهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٠٥/١ .

وقد بذلت جهداً كبيراً لمعرفة هذا الشارح المجهول ، ولكنني لم أوفق في ذلك ، وعسى أنْ يقف أحد الباحثين عليه فيفيد العلم وأهله .

وتكمن أهمية هذا الشرح في انفراده بشرح ظاءات القرآن الكريم ، وبلغ عدد الآيات التي ذكرها الشارح اثنتين وأربعين ومئة آية ، وترك الباقي مشيراً إليه بقوله : وشبهه ، أو : وما أشبهه ، أو : وما أشبه ذلك .

وعرض المؤلف عند حديثه عن ظاءات القرآن الكريم لنظائر الظاء من الضاد في ثمانية مواضع هي : (حظ وحض ، غيظ وغيض ، ظنّ وضنّ ، نظر ونضر ، ظلّ وضلّ ، العظة والعضة ، فظّ وفضّ ، حظر وحضر) .

فكلّ لفظة من هذه الألفاظ إذا جاءت بالظاء يكون لها معنى وإذا جاءت بالضاد فيكون لها معنى آخر . وهذا ما يُسمّى بالنظائر ، وقد أفرد ابن مالك الطائي كتابه (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد) في هذا الموضوع .

وقد استعمل الشارح مصطلح (مرفوع) لحرف الظاء ، قال : (الظلم وما تصرّف منه مرفوع حيث وقع ...) . وقال : (الكظم وما تصرّف منه مرفوع حيث وقع ...) . وقال : (النظر المرفوع على خمسة معان ...) .

واستعمل مصطلح (مسقوط) لحرف الضاد ، قال : (فأمّا قوله تعالى : ﴿ وقيّضْنا ﴾ فهو مسقوط ، لأنّ معناه : يسّرنا) . وقال : (وأمّا في هود : ﴿ وغيض الماء ﴾ ، وفي الرعد : ﴿ وما تغيض الأرحام ﴾ فهما مسقوطان ، لأنّهما بمعنى النقصان) . وقال : (فأمّا قوله تعالى في التكوير : ﴿ بضنين ﴾ فهو مسقوط ، لأنّ معناه : بخيل ، وهو في جميع

المصاحف بالضاد المسقوطة ، وقُرئ في السبع بالظاء المرفوع ، بمعنى : بمتّهم . فاعلم ذلك) .

واستعمل مصطلح (ساقط) لحرف الضاد أيضاً في موضع واحد ، قال : (فأمّا قوله في الحجر : ﴿ عضين ﴾ فهو ساقط ، لأنه من العضة ، وهو القطعة من الشيء ، يعني : أنّهم جعلوا القرآن قِطعاً ، يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض) .

وجاءت ظاءات القرآن في المنظومة والشرح في اثنين وثلاثين أصلاً ، وعدد هذه الأصول غير متساوٍ عند الناظمين ، وسبب هذا التفاوت أنّهم ينظرون إلى معنى اللفظ لا إلى مادته وجذره .

فعدد الأصول في منظومة المهدويّ[١٤] ، المتوفّى سنة ٤٤٠هـ هو تسعة وعشرون أصلاً .

وعدد الأصول في منظومة السرقوسيّ[١٥] ، المتوفّى نحو سنة ٥٩١هـ ، هو واحد وعشرون أصلاً .

فالداني ذكر من مادة (ظهر) خمسة ألفاظ ، هي : ظَهَرَ ، والظهار ، والظهيرة ، والظّهر ، والظهير .

والمهدويّ ذكر أربعة ألفاظ ، هي : الظهور ، والظّهر ، والمظاهرة ، والظهيرة .

أمّا السرقوسيّ فقد ذكر هذه المادة مرّةً واحدةً ، وسار على منهج اللغويين في ردّ مشتقات الكلمة إلى أصل واحد ، فجعل ظاءات القرآن في منظومته في واحد وعشرين أصلاً .

---

(١٤) على هذه المنظومة شرح انتهينا من تحقيقه ودفعناه إلى المطبعة .

(١٥) ظاءات القرآن ٢٦٣ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورأينا إتماماً للفائدة أنْ نذكر في مقدمة هذا الشرح عدد المواضع التي جاءت فيها الألفاظ الظائية في القرآن الكريم ، والتي ترجع إلى احدى وعشرين مادة لغوية .

وهذه الألفاظ الظائية هي :

١ – مادة (حظر) : وقعت في موضعين .

٢ – مادة (حظظ) : وقعت في سبعة مواضع .

٣ – مادة (حفظ) : وقعت في أربعة وأربعين موضعاً .

٤ – مادة (شوظ) : وقعت في موضع واحد .

٥ – مادة (ظعن) : وقعت في موضع واحد .

٦ – مادة (ظفر) : وقعت في موضعين .

٧ – مادة (ظلل) : وقعت في ثلاثة وثلاثين موضعاً .

٨ – مادة (ظلم) : وقعت في خمسة عشر وثلاث مئة موضع .

٩ – مادة (ظمأ) : وقعت في ثلاثة مواضع .

١٠ – مادة (ظنن) : وقعت في تسعة وستين موضعاً .

١١ – مادة (ظهر) : وقعت في تسعة وخمسين موضعاً .

١٢ – مادة (عظم) : وقعت في ثمانية وعشرين ومئة موضع .

١٣ – مادة (غلظ) : وقعت في ثلاثة عشر موضعاً .

١٤ – مادة (غيظ) : وقعت في أحد عشر موضعاً .

١٥ – مادة (فظظ) : وقعت في موضع واحد .

١٦ – مادة (كظم) : وقعت في ستة مواضع .

١٧ – مادة (لظى) : وقعت في موضعين .

١٨ – مادة (لفظ) : وقعت في موضع واحد .

١٩ – مادة (نظر) : وقعت في تسعة وعشرين ومئة موضع .

٢٠ – مادة (وعظ) : وقعت في خمسة وعشرين موضعاً .

٢١ – مادة (يقظ) : وقعت في موضع واحد .

فهذه إحدى وعشرون مادة يرجع إليها ثلاث وخمسون وثمانمئة لفظة ظائية ، خلافاً لما ذكره أبو عمرو الداني في مقدمة منظومته إذ عدّها ثمانمئة واثنين وأربعين ظاء[١٦] .

وثمة أمر لا بُدَّ أنْ نشير إليه وهو ما جاء في الصفحة الأولى من المخطوط ، إذ جاء فيها : (قال الشيخ الإمام العالم الفقيه **أبو محمد** عثمان الداني المُقرئ) . ولم نعرف من أبنائه إلَّا واحداً اسمه (أحمد) ذكره ابن الجَزري[١٧] من بين تلامذة الداني ، كما لم نعرف سبب كنيته بأبي عمرو . فلعلّ ما جاء في المخطوط وهم من الناسخ ، والله أعلم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأخيراً أسأل الله تعالى أنْ يلهمنا السَّداد والصواب ، ويجنّبنا المزالق والعثرات ، إنّه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

---

(١٦) وذهب علي النوري الصفاقسي في كتابه (تنبيه الغافلين) ص٦٥ إلى أنها ثمانمئة وثلاثة وأربعون . وهو وهم أيضاً .

(١٧) غاية النهاية ١/٥٠٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على
قال الشيخ الإمام الأستاذ الفقيه
أبو محمد عثمان الداني المقرئ رحمه الله
الحمد لله اعلم أني اطلعت على كتاب القرآن العظيم فوجدتها
ثمانمائة واثنين وأربعين كلمة ووجدت أصولها التي تفرع
منها بأصولها اثنين وثلاثين أصلا فنظمت تلك الأصول
في أربعة أبيات وضمنت على كتابة منها
تسهيلا للتالين وتقريبا على المتعلمين والحافظين وهي

الصفحة الأولى

الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم
صلّى الله على سيِّدنا محمد وسلّم

قال الشيخ الإمام العالم الفقيه أبو محمد عثمان الداني المُقرئ ، رحمه الله :

الحمدُ لله . اعْلمْ أنّي اطّلعتُ على ظاءاتِ القرآنِ العظيم فوجدتُها ثمانمئة واثنين وأربعين ظاءً ، ووجدتُ أصولها التي تفرعُ منها اثنين وثلاثين أصلاً ، فنظمتُ تلكَ الأصول في أربعة أبيات ، وضمَّنتُ على كلِّ بيتٍ منها ثماني كلم ، تسهيلاً للطالبين ، وتقريباً على المتحفظين والحافظين ، وهي :

ظَفِرَتْ شواظُ بحَظِّها مِن ظُلْمِنا فكَظَمْتُ غيظَ عظيمِ ما ظَنَّتْ بنا

قال الشّارحُ :

اعلمْ ، أرْشَدَكَ اللهُ ، أنّ أبا عَمْرو ، رحمه الله تعالى ، لم يعطه الوزنُ أنْ يأتي بكلم الظاء الواردة في القرآن على نحو ما جاءتْ فيه ، لأنّ النظم لا يتأتّى فيه ما يتأتّى في النثر ، وإنّما أتى في هذه الأبيات بكلم يُقاسُ على لفظها ومعناها ، لا على وزنها .

(ظَفِرَتْ) : يريد قوله تعالى في الفتح[1] : ﴿ مِن بَعْدِ أنْ أظْفَرَكُم عليهم ﴾ ، لا غير .

(١) آية ٢٤ . ينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٤٦ ، وظاءات القرآن ٢٦٣ . وظَفِر : فاز ، والظافر : الغالب .

(شُواظ) : في سورة الرحمن[٢] : ﴿ يُرْسَلُ عليكما شُواظٌ من نارٍ ونُحاسٌ ﴾ ، لا غير .

(بحظّها) : يعني الذي في آل عمران[٣] : ﴿ حَظّاً في الآخرةِ ﴾ ، ﴿ فَنَسُوا حظّاً ﴾[٤] ، ﴿ حَظٌّ عظيم ﴾[٥] ، « حَظّ الأُنْثَيَيْن »[٦] ، وما أشْبَهه[٧] .

وأمّا قوله تعالى في الحاقّة[٨] ، وأرأيت[٩] : ﴿ ولا يَحُضُّ ﴾ ، وفي الفجر[١٠] : ﴿ ولا تحضّون ﴾ ، فهو مسقوط ، لأنه بمعنى : الحثّ على الخير .

(من ظُلْمِنا) : الظلم وما تصرّف منه مرفوع حيث وقع ، نحو : ﴿ لا تَظْلِمون ولا تُظْلَمون ﴾[١١] ، و﴿ بظلّامٍ للعبيد ﴾[١٢] ، و﴿ لَظَلومٌ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٢) آية ٣٥ . ينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٤٦ ، وظاءات القرآن ٢٧٢ . والشواظ : اللهب . والنحاس : الدخان . (ينظر : تفسير القرطبي ١٧١/١٧) .

(٣) آية ١٧٦ . والحظّ : النصيب .

(٤) المائدة ١٤ .

(٥) القصص ٧٩ ، فصلت ٣٥ .

(٦) النساء ١١ و١٧٦ .

(٧) جاءت مادة (حظظ) في القرآن الكريم في سبعة مواضع .

(٨) آية ٣٤ .

(٩) آية ٣ . وهي سورة الماعون في المصحف الشريف .

(١٠) آية ٨ . وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر . أمّا الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي فقرؤوا : ولا تُحاضّون . (السبعة ٦٨٥ ، المبسوط في القراءات العشر ٤٧٠ ـ ٤٧١) .

(١١) البقرة ٢٧٩ .

(١٢) آل عمران ١٨٢ ، الأنفال ٥١ ، الحج ١٠ ، فصلت ٤٦ ، ق ٢٩ .

كفّارٌ ﴾(١٣) ، وشبهه(١٤) .

(فكَظَمْتُ) : الكَظْمُ وما تصرّف منه مرفوع حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ الكاظِمينَ ﴾(١٥) ، ﴿ فهو كَظيمٌ ﴾(١٦) ، ﴿ وهو مكْظومٌ ﴾(١٧) ، وما أشبهه(١٨) .

(غَيْظ)(١٩) : يعني الذي بمعنى الغَضَب والحَرَج ، نحو : ﴿ تَمَيَّزُ من الغَيْظِ ﴾(٢٠) ، ﴿ لِيَغيظَ بهم ﴾(٢١) ، ﴿ ما يَغيظُ ﴾(٢٢) ، ﴿ لنا لغائظون ﴾(٢٣) ، ﴿ لها تَغَيُّظا ﴾(٢٤) ، وما أشبهه(٢٥) .

وأمّا في هود(٢٦) : ﴿ وغِيضَ الماءُ ﴾ ، وفي الرعد(٢٧) :

---

(١٣) إبراهيم ٣٤ .

(١٤) جاءت مادة (ظلم) وما تصرّف منها في ثلاثة مئة وخمسة عشر موضعاً ، منها ستة وعشرون موضعاً في الظلام وما تصرّف منه .

(١٥) آل عمران ١٣٤ . والكظم : الحبس .

(١٦) يوسف ٨٤ .

(١٧) القلم ٤٨ .

(١٨) وقعت مادة (كظم) في القرآن الكريم في ستة مواضع .

(١٩) في الأصل : فغيظها .

(٢٠) الملك ٨ .

(٢١) الفتح ٢٩ .

(٢٢) الحج ١٥ .

(٢٣) الشعراء ٥٥ .

(٢٤) الفرقان ١٢ .

(٢٥) وقعت مادة (غيظ) وما تصرّف منها في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً .

(٢٦) آية ٤٤ .

(٢٧) آية ٨ .

﴿ وما تَغِيضُ الأرحامُ ﴾ فهما مسقوطان ، لأنهما بمعنى النقصان[٢٨] .

(عظِيم) ، والعَظَمة ، وما اشتقّ من ذلك مرفوع ، [١٥٣أ] حيث وقع ، نحو : ﴿ نَبَأٌ عظيمٌ ﴾[٢٩] ، و﴿ العَلِيُّ العظيم ﴾[٣٠] ، و﴿ أَعْظَمُ درجةً ﴾[٣١] ، و﴿ أَعْظَمَ أجراً ﴾[٣٢] ، و﴿ عَرْش عظيم ﴾[٣٣] ، و﴿ أجرٌ عظيم ﴾[٣٤] ، وشبهه[٣٥] .

(ما ظَنَنْتُ بنا) : الظنّ المرفوع يكون بمعنى اليقين ، وبمعنى الشكّ ، فاليقين : ﴿ الذين يظنّونَ أنَّهم ﴾[٣٦] ، ﴿ وظَنّوا أنْ لا مَلْجَأَ ﴾[٣٧] ، و﴿ إنّي ظَنَنْتُ ﴾[٣٨] ، وشبهه[٣٩] .

والذي بمعنى الشكّ نحو : ﴿ إنْ نظُنُّ إلاّ ظَنّاً ﴾[٤٠] ، ﴿ وتَظُنُّون

---

(٢٨) ينظر في الغيظ والغيض : الفرق بين الحروف الخمسة ١٦٦ ، وزينة الفضلاء ٩٧ ، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد ٤٨ .

(٢٩) ص٦٧ .

(٣٠) البقرة ٢٥٥ ، والشورى ٤ .

(٣١) التوبة ٢٠ ، والحديد ١٠ .

(٣٢) المزمل ٢٠ .

(٣٣) النمل ٢٣ .

(٣٤) آل عمران ١٧٢ ، ومواضع أُخر (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ١٣) .

(٣٥) وقعت هذه المادة في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين ومئة موضع .

(٣٦) البقرة ٤٦ و٢٤٩ .

(٣٧) التوبة ١١٨ .

(٣٨) الحاقّة ٢٠ .

(٣٩) وقعت مادة (ظنّ) في القرآن الكريم في تسعة وستين موضعاً .

(٤٠) الجاثية ٣٢ .

بالله الظُّنونا ﴾[٤١] ، و﴿ ظنُّوا كما ظَنَنْتُم ﴾[٤٢] ، وشبهه[٤٣] .

فأمّا قوله تعالى في التكوير[٤٤] : ﴿بضَنين﴾ فهو مسقوط ، لأنّ معناه : بخيل ، وهو في جميع المصاحف بالضاد المسقوطة ، وقُرِئ في السبع بالظاء المرفوع[٤٥] ، بمعنى : بُمتَّهم . فاعلم ذلك[٤٦] .

• • •

وظَعَنْتُ أَنْظُرُ في الظَّهـيرةِ ظُلَّةً وظَـلِلْتُ أَنْتَظِرُ الظِّلالَ لِحِفْظِنـا

(وظَعَنْتُ) : يريد قوله تعالى : ﴿ يومَ ظَعْنِكُمْ ﴾[٤٧] ، لا غير .

(أَنْظُرُ) : النظر المرفوع على خمسة معانٍ :

منهـا المعـاينـة ، نحو ﴿ وانظرْ إلى إلهك ﴾[٤٨] و﴿ أَرِني أَنْظُرْ إليك ﴾[٤٩] ، و﴿ إلى ربِّها ناظِرة ﴾[٥٠] ، وشبهه .

---

(٤١) الأحزاب ١٠ .

(٤٢) الجنّ ٧ .

(٤٣) ينظر : الأضداد لقطرب ٧١ ، وللأصمعي ٣٤ ، ولابن الأنباري ١٤ ، وللتوزي ٢٥ ، ولأبي الطيب اللغوي ٤٦٦ .

(٤٤) آية ٢٤ .

(٤٥) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ، وقرأ باقي السبعة بالضاد . (ينظر : السبعة في القراءات ٦٧٣ ، والإقناع ٨٠٥) .

(٤٦) ينظر في الظنّ والضنّ : الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء ٣٤ ، والفرق بين الحروف الخمسة ١٥١ ، والاعتماد ٣٨ .

(٤٧) النحل ٨٠ .

(٤٨) طه ٩٧ .

(٤٩) الأعراف ١٤٣ .

(٥٠) القيامة ٢٣ .

ومنها التفكّر والاعتبار ، نحو : ﴿ أفَلا ينظرون ﴾(٥١) ، ﴿ أَوَلَمْ ينظروا في مَلَكُوتِ ﴾(٥٢) ، ﴿ فلينْظُرِ الإنسانُ ﴾(٥٣) ، وشبهه .

ومنها التعطّف ، نحو : ﴿ ولا يَنْظُرُ إليهم ﴾(٥٤) ، أي : لا يتعطّف عليهم .

ومنها الانتظار ، نحو : ﴿ هل ينظرونَ إلاّ تأويله ﴾(٥٥) ، و﴿ ما ينظرون إلاّ صيحةً واحدةً ﴾(٥٦) ، و﴿ غيرَ ناظِرِينَ إناه ﴾(٥٧) ، وشبهه .

ومنها الاستماع ، < نحو >(٥٨) : ﴿ وقُولُوا انْظُرْنا واسْمَعُوا ﴾(٥٩) ، ﴿ واسْمَعْ وانْظُرْنا ﴾(٦٠) ، وما أشبه ذلك .

فأمّا قولُهُ في القيامة(٦١) : ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضِرةٌ ﴾ ، وفي الإنسان(٦٢) : ﴿ لقّاهم نَضْرَةً وسروراً ﴾ ، وفي المطففين(٦٣) : ﴿ نَضْرَةَ

(٥١) الغاشية ١٧ .
(٥٢) الأعراف ١٨٥ .
(٥٣) الطارق ٥ .
(٥٤) آل عمران ٧٧ .
(٥٥) الأعراف ٥٣ .
(٥٦) يس ٤٩ .
(٥٧) الأحزاب ٥٣ .
(٥٨) يقتضيها السياق .
(٥٩) البقرة ١٠٤ .
(٦٠) النساء ٤٦ . وينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٣٠ ـ ٣٢ .
(٦١) آية ٢٢ .
(٦٢) آية ١١ .
(٦٣) آية ٢٤ . وينظر : التمهيد في علم التجويد ٢١٤ ، ولطائف الإشارات ٢٣٤/١ .

النَّعِيمِ ﴾ فهو مسقوط لأنه بمعنى التَّنعيم .

(في الظَّهيرة) : يريد به حَرْفَيْن : في النور[٦٤] : ﴿ ثيابكم من الظهيرة ﴾ ، والرُّوم[٦٥] : ﴿ وعَشِياً وحينَ تُظْهِرون ﴾ ، لا غير .

(ظُلَّة) : الظُّلَّة مرفوعة حيثُ وَقَعَتْ ، نحو : ﴿ كأنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾[٦٦] ، و﴿ عذابُ يومِ الظُّلَّةِ ﴾[٦٧] ، و﴿ في ظُلَلٍ من الغَمامِ ﴾[٦٨] ، وما أشبهه .

(وظَلِلْتُ) : يريد ظَلَّ الذي بمعنى صار ، وهي مرفوعة : وجملتُها تسعة مواضع :

أولها في الحجر[٦٩] : ﴿ فظَلُّوا فيه يعرجون ﴾ ،

وفي النحل[٧٠] : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً ﴾ ،

وفي طه[٧١] : ﴿ ظَلْتَ عليه عاكفاً ﴾ ،

وفي الشعراء[٧٢] : ﴿ فَظَلَّتْ أعْناقُهُم ﴾ ،

وفيها[٧٣] : ﴿ فنَظَلّ لها عاكِفين ﴾ ،

---

(٦٤) آية ٥٨ .

(٦٥) آية ١٨ .

(٦٦) الأعراف ١٧١ .

(٦٧) الشعراء ١٨٩ .

(٦٨) البقرة ٢١٠ .

(٦٩) آية ١٤ .

(٧٠) آية ٥٨ .

(٧١) آية ٩٧ .

(٧٢) آية ٤ .

(٧٣) الشعراء ٧١ .

وفي الروم(٧٤) : ﴿ لظَلُّوا من بَعْدِهِ ﴾ ،

وفي الشورى(٧٥) : ﴿ فَيَظْلَلْنَ رواكِدَ على ظهرِهِ ﴾ ،

وفي الزخرف(٧٦) : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ ﴾ ،

وفي الواقعة(٧٧) : ﴿ فظَلْتُم تَفكَّهون ﴾ ، لا غير(٧٨) .

وما سوى ذلك فهو مسقوط ، نحو : ﴿ ضَلَلْنا في الأرض ﴾(٧٩) ، ﴿ ضلالٍ بعيدٍ ﴾(٨٠) ، و﴿ ضلالٍ مُبينٍ ﴾(٨١) ، و﴿ ضالّين ﴾(٨٢) ، و﴿ ضالاً فهدى ﴾(٨٣) ، معناه : الحيرة ، والحَيدة عن الطريق الجادة .

(أَنْتَظِرُ) : الانتظار وما تصرّف منه كلُّهُ مرفوعٌ [٥٣ب] حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ ﴾(٨٤) ، ﴿ وانتَظِرْ إنَّهم مُنتظِرون ﴾(٨٥) ، ﴿ فانتظِروا إنّي معكم من المنتظرين ﴾(٨٦) ، وما أشبه ذلك .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٧٤) آية ٥١ .

(٧٥) آية ٣٣ .

(٧٦) آية ١٧ .

(٧٧) آية ٦٥ .

(٧٨) ينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٣٣ – ٣٤ ، وظاءات القرآن ٢٦٨ .

(٧٩) السجدة ١٠ .

(٨٠) إبراهيم ٣ ، والشورى ١٨ ، وق ٢٧ .

(٨١) آل عمران ١٦٤ ، ومواضع أُخَر . (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٤٢٣) .

(٨٢) المؤمنون ١٠٦ ، والصافات ٦٩ .

(٨٣) الضحى ٧ .

(٨٤) يونس ١٠٢ .

(٨٥) السجدة ٣٠ .

(٨٦) الأعراف ٧١ . وفي الأصل : وانتظروا .

(الظِّلال) : المفرد والمجموع وما تصرَّف منه مرفوعٌ حيثُ وقع ، نحو : ﴿ في ظِلالٍ وعيونٍ ﴾(٨٧) ، ﴿ وظِلالهم بالغُدُوِّ ﴾(٨٨) ، ﴿ وظَلَّلنا عليهم ﴾(٨٩) ، و﴿ لا ظليلٍ ﴾(٩٠) ، ﴿ وظِلٍّ من يحموم ﴾(٩١) ، و﴿ ظِلاً ظليلاً ﴾(٩٢) ، وشبهه .

(لِحَفِظْنا)(٩٣) : الحِفظُ وما تصرَّف منه مرفوع حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ بما حَفِظَ الله ﴾(٩٤) ، ﴿ ويَحْفَظْنَ فُروجَهُنَّ ﴾(٩٥) ، ﴿ لكلِّ أوّابٍ حفيظٍ ﴾(٩٦) ، ﴿ في لوحٍ محفوظٍ ﴾(٩٧) ، ﴿ فاللهُ خَيْرٌ حِفْظاً ﴾(٩٨) .

• • •

وظَمِئْتُ في الظَّلْما ففي عَظْمي لَظَى ظَهَرَ الظِّهارُ لأَجْلِ غِلْظَةِ وَعْظِنا

(وظمئت) : الظمأ مرفوع حيث وقع ، معناه : العطش ، نحو : ﴿ ظَمَأٌ ولا نَصَبٌ ﴾(٩٩) ، ﴿ لا تَظْمَؤُا فيها ولا تَضْحَى ﴾(١٠٠) ،

(٨٧) المرسلات ٤١ .
(٨٨) الرعد ١٥ .
(٨٩) الأعراف ١٦٠ .
(٩٠) المرسلات ٣١ .
(٩١) الواقعة ٤٣ . وفي الأصل : وظل من تدعون . وهو وهم .
(٩٢) النساء ٥٧ .
(٩٣) في الأصل : بحفظنا ، في النظم والشرح . ووقعت مادة (حفظ) في القرآن الكريم في أربعة وأربعين موضعاً .
(٩٤) النساء ٣٤ .
(٩٥) النور ٣١ . وفي الأصل : وليحفظن ، وهو وهم .
(٩٦) ق ٣٢ .
(٩٧) البروج ٢٢ .
(٩٨) يوسف ٦٤ . وهي قراءة . وفي المصحف الشريف : حافِظاً . (ينظر : السبعة ٣٥٠ ، وحجة القراءات ٣٦٢ ، وارشاد المبتدي ٣٨٢) .
(٩٩) التوبة ١٢٠ . وفي الأصل : لا ظمأ . وهو وهم .
(١٠٠) طه ١١٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

﴿ يَحْسَبُهُ الظمآنُ ماءً ﴾(١٠١) ، وما أشبهه(١٠٢) .

(في الظلما) : الظلامُ وما تصرّف منه مرفوعٌ حيثُ وَقَعَ ، < نحو >(١٠٣) : ﴿ في ظُلُماتٍ ثلاثٍ ﴾(١٠٤) ، ﴿ ولا الظُلماتُ ﴾(١٠٥) ، ﴿ وجَعَلَ الظلماتِ ﴾(١٠٦) ، ﴿ وإذا أظْلَمَ عليهم ﴾(١٠٧) ، ﴿ فإذا هُم مُظلِمون ﴾(١٠٨) ، و﴿ من الليلِ مُظْلِما ﴾(١٠٩) ، وشبهه(١١٠) .

(ففي عَظْمي) : العَظْمُ : واحدُ العظامِ ، مرفوع حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ أوْ ما اختلطَ بعَظْمٍ ﴾(١١١) ، ﴿ وَهَنَ العَظْمُ مني ﴾(١١٢) ، ﴿ والمضغةَ عِظاماً ﴾(١١٣) .

(لَظًى) : يريد حرفين ، في سأل سائل(١١٤) : ﴿ إنّها لَظَى ﴾ ،

---

(١٠١) النور ٣٩ .

(١٠٢) ليس في القرآن الكريم إلّا المواضع الثلاثة التي ذكرها الشارح .

(١٠٣) يقتضيها السياق .

(١٠٤) الزمر ٦ .

(١٠٥) فاطر ٢٠ .

(١٠٦) الأنعام ١ .

(١٠٧) البقرة ٢٠ .

(١٠٨) يس ٣٧

(١٠٩) يونس ٢٧ .

(١١٠) تنظر الحاشية رقم ١٤ .

(١١١) الأنعام ١٤٦ . وفي الأصل : وما اختلط . وهو وهم .

(١١٢) مريم ٤ .

(١١٣) المؤمنون ١٤ . ووقع العظم والعظام في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعاً .

(١١٤) آية ١٥ . وهي سورة المعارج في المصحف الشريف .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الليل[١١٥] : ﴿ ناراً تَلَظَّى ﴾ ، لا غير .

(ظَهَرَ) : الإظهار والظهور ، وما تصرّف منه ، مرفوعٌ حيثُ وَقَع ، نحو : ﴿ عليها يَظْهَرونَ ﴾[١١٦] ، ﴿ الظاهِرُ والباطِنُ ﴾[١١٧] ، ﴿ ليُظْهِرَهُ على الدينِ كلِّه ﴾[١١٨] ، و﴿ ظاهِرِينَ ﴾[١١٩] ، وما أشبهه .

(الظِّهار) : مأخوذ من الظهر ، وهو في ثلاثة مواضع ، في الأحزاب[١٢٠] : ﴿ اللائي تَظَّهَّرونَ ﴾ ، وفي المجادلة[١٢١] : ﴿ الذينَ يُظاهِرونَ منكم من نسائهم ﴾ ، لا غير .

(لأُجلِ غِلْظَة) : الغِلْظة وما تصرّف منها ، مرفوعٌ حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ عذابٍ غليظٍ ﴾[١٢٢] ، و﴿ واغْلُظْ عليهم ﴾[١٢٣] ، و﴿ فيكم غِلْظَةً ﴾[١٢٤] ، ﴿ فاسْتَغْلَظَ ﴾[١٢٥] ، وما أشبهه[١٢٦] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١١٥) آية ١٤ .

(١١٦) الزخرف ٣٣ .

(١١٧) الحديد ٣ .

(١١٨) التوبة ٣٣ .

(١١٩) غافر ٢٩ .

(١٢٠) آية ٤ . وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو . وثمة قراءات أُخَر . (ينظر : السبعة ٥١٩ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١٩٤/٢) .

(١٢١) آية ٢ . والموضع الثالث في المجادلة ٣ : « والذين يظاهرون من نسائهم » . وينظر في قراءات هاتين الآيتين : السبعة ٦٢٨ ، والتيسير ٢٠٨ – ٢٠٩ .

(١٢٢) هود ٥٨ ، ولقمان ٢٤ ، وفصّلت ٥٠ .

(١٢٣) التوبة ٧٣ .

(١٢٤) التوبة ١٢٣ .

(١٢٥) الفتح ٢٩ .

(١٢٦) وقعت (غلظ) وما تصرّف منها في ثلاثة عشر موضعاً .

(وَعْظِنا) : الوَعْظُ والمَوْعِظَةُ وما تصرّف منه مرفوعٌ حيث وَقَع . ومعناه : ذكر الخير(١٢٧) ، وانشراح الصدر ، ولين القلب ، نحو : ﴿ وعِظْهُمْ ﴾(١٢٨) ، ﴿ فعِظُوهُنَّ ﴾(١٢٩) ، ﴿ يُوعَظُ بِهِ ﴾(١٣٠) ، و﴿ لِمَ تَعِظُونَ قوماً ﴾(١٣١) ، و﴿ أَوَعَظْتَ أَمْ لم تكنْ مِن الواعظين ﴾(١٣٢) ، وشبهه(١٣٣) .

فأمّا قولُهُ في الحجر(١٣٤) : ﴿ عِضِين ﴾ فهو ساقط ، لأنّه من العِضَة ، وهو القطعةُ من الشيء ، يعني : أنّهم جعلوا القرآن قِطَعاً ، يؤمنونَ ببعضٍ ويكفرونَ ببعض(١٣٥) . انتهى .

* * *

أنظـرْت لَفْظِي كي تَيَقَّظَ فَظَّـهُ وحَظَرْتُ ظَهْرَ ظَهِيرِها مِن ظُفْرِنا

قوله : (أنظرت)(١٣٦) : الإنظار(١٣٧) والنَّظِرَة ، وما تصرّف منها

---

(١٢٧) في الأصل : ومعناه تذكر وانشراح . وما أثبتناه من الطاعات في القرآن الكريم ٢٧ .

(١٢٨) النساء ٦٣ .

(١٢٩) النساء ٣٤ . وفي الأصل : فعظوهم . وهو وَهْمٌ .

(١٣٠) البقرة ٢٣٢ .

(١٣١) الأعراف ١٦٤ .

(١٣٢) الشعراء ١٣٦ .

(١٣٣) وقعت مادة (وعظ) ومشتقاتها في القرآن الكريم في خمسة وعشرين موضعاً .

(١٣٤) آية ٩١ .

(١٣٥) ينظر : تفسير الطبري ١٤/٦٤ ، والمحرر الوجيز ١٠/١٥١ ، وتفسير القرطبي ١٠/٥٨ .

(١٣٦) في الأصل : انتظرت ، في النظم والشرح . والصواب ما أثبتنا .

(١٣٧) في الأصل : الانتظار . والصواب ما أثبتنا .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرفوع أبداً حيثُ وَقَعَ ، ومعناه : التأخير والإمهال ، نحو ﴿قالَ ربِّ فأنْظِرْني إلى يوم يُبعثون﴾(١٣٨) ، ﴿قالَ فإنَّكَ من المُنْظَرين﴾(١٣٩) ، ﴿فنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾(١٤٠) .

(لَفَظِي) : يريد قوله تعالى : ﴿ما يَلْفِظُ من قَوْلٍ﴾(١٤١) لا غير .

(كي تَيَقَّظَ) : يريد [١٥٤أ] في ضدّ النوم : ﴿وتَحْسَبُهُم أيقاظاً وهُمْ رُقُودٌ﴾(١٤٢) ، لا غير .

فأمّا قوله تعالى : ﴿وقَيَّضْنا﴾(١٤٣) فهو مسقوط ، لأنّ معناه : يَسَّرْنا .

(فَظّه) : يريد قوله تعالى : ﴿ولو كُنْتَ فَظّاً غليظَ القلبِ﴾(١٤٤) لا غير . ومعناه : الفَظَاظة(١٤٥) والغِلْظَة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فأمّا قوله : ﴿لانْفَضُّوا من حَوْلِكَ﴾(١٤٦) ، و﴿ حتى

---

(١٣٨) الحجر ٣٦ . وفي الأصل : أنظرني . وأثبتنا ما في المصحف الشريف .

(١٣٩) الحجر ٣٧ .

(١٤٠) البقرة ٢٨٠ .

(١٤١) ق ١٨ .

(١٤٢) الكهف ١٨ .

(١٤٣) فصلت ٢٥ .

(١٤٤) آل عمران ١٥٩ .

(١٤٥) في الأصل : الفضاضة ، بالضاد . وهو وَهْمٌ . وينظر : حصر حرف الظاء ١٨٢ .

(١٤٦) آل عمران ١٥٩ .

ينفضُّوا ﴾(١٤٧) ، ﴿ انْفَضُّوا إليها ﴾(١٤٨) ، فليس من الغِلْظة ، معناه : التفريق ، يعني : لافترقوا . والأول هو الرجل المتحدد في موته المتغلّظ في مخاصمته(١٤٩) .

(وحَظَرْت)(١٥٠) : يريد بها الحَظْر الذي هو مرفوع معناه : المنع ، وهما موضعان : في سبحان(١٥١) : ﴿وما كانَ عطاءُ رَبِّكَ مَحْظوراً ﴾ ، وفي سورة القمر(١٥٢) : ﴿ فكانوا كهشيمِ المُحْتَظِر ﴾ ، لا غير .

فأمّا الحضور الذي هو ضدّ الغيبة فهو مسقوطٌ . حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ مُحْضَرُونَ ﴾(١٥٣) ، و﴿ كلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴾(١٥٤) ، ﴿ حتى إذا حَضَـرَ أَحَدَهُـم المـوتُ ﴾(١٥٥) ، ﴿ فـلمّـا حَضَـرُوه ﴾(١٥٦) ، وما أشبهه(١٥٧) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١٤٧) المنافقون ٧ .

(١٤٨) الجمعة ١١ .

(١٤٩) ينظر في الفظ والفض : الفرق بين الحروف الخمسة ١٥٥ ، وزينة الفضلاء ٩٨ ، وظاءات القرآن ٢٦٩ ، والاعتاد ٤٩ . [والعبارة الأخيرة بحاجة إلى تحرير/المجلة] .

(١٥٠) في الأصل : وحضرت ، بالضاد ، وهو سهو .

(١٥١) آية ٢٠ . وهي سورة الإسراء في المصحف الشريف .

(١٥٢) آية ٣١ .

(١٥٣) الروم ١٦ ، ومواضع أُخَر . (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٠٦) .

(١٥٤) القمر ٢٨ .

(١٥٥) النساء ١٨ .

(١٥٦) الأحقاف ٢٩ .

(١٥٧) ينظر في حضر وحظر : الفرق بين الضاد والظاء ٩ ، زينة الفضلاء ١٠٠ ، الاعتاد ٢٩ .

(ظَهْر) : الظَّهْرُ من الإنسان وغيره مرفوعٌ حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ على ظَهْرِها ﴾[١٥٨] ، و﴿ على ظَهْرِه ﴾[١٥٩] ، ﴿ وراءَكُم ظِهْرِيّاً ﴾[١٦٠] و﴿ على ظُهورِهم ﴾[١٦١] ، و﴿ حُرِّمَتْ ظُهورُها ﴾[١٦٢] .

(ظَهيرها) : التظاهُرُ والمظاهرة وما تصرَّف منها ، مرفوع حيثُ وَقَعَ ، معناه : التعاون ، < نحو : ﴿ تَظَاهَرُونَ>[١٦٣] عليهم ﴾[١٦٤] ، و﴿ ساحِرانِ تظاهرا ﴾[١٦٥] ، و﴿ على رَبِّهِ ظَهيراً ﴾[١٦٦] ، ﴿ ولم يُظاهِروا عليكم أحداً ﴾[١٦٧] ، ﴿ إنَّهُم إنْ يظهروا عليكم ﴾[١٦٨] ، و﴿ الذينَ ظاهَروهم ﴾[١٦٩] .

(من ظُفُرِنا) : يريد في سورة الأنعام[١٧٠] : ﴿ كلَّ ذي ظُفُرٍ ﴾ ، لا غير . انتهى .

كمل بحمد الله وحسن عونه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١٥٨) فاطر ٤٥ .

(١٥٩) الشورى ٣٣ .

(١٦٠) هود ٩٢ .

(١٦١) الأنعام ٣١ .

(١٦٢) الأنعام ١٣٨ .

(١٦٣) يقتضيها السياق .

(١٦٤) البقرة ٨٥ .

(١٦٥) القصص ٤٨ .

(١٦٦) الفرقان ٥٥ .

(١٦٧) التوبة ٤ .

(١٦٨) الكهف ٢٠ .

(١٦٩) الأحزاب ٢٦ . وقد وقعت مادة (ظهر) بمشتقاتها في القرآن الكريم في تسعة وخمسين موضعاً .

(١٧٠) آية ١٤٦ .

ثَبَت المصادر والمراجع

ـ المصحف الشريف

(أ)

ـ أبو عمرو الداني الأندلسي ورسالته في الظاءات القرآنية : د. محسن جمال الدين ، بغداد ١٩٧٠ .

ـ إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر : القلانسي ، محمد بن الحسين ، ت ٥٢١هـ ، تح عمر حمدان الكبيسي ، مكة المكرمة ١٩٨٤ .

ـ الإرصاد في شرح المرصاد الفارق بين الظاء والضاد : الجعبري ، إبراهيم بن عمر ، ت ٧٣٢هـ ، مخطوطة رقمها ١٠٢٠٧/١ في خزانة المتحف العراقي .

ـ الأضداد : الأصمعي ، عبد الملك بن قريب ، ت ٢١٦هـ ، تح هفنر (نشر في كتاب : ثلاثة كتب في الأضداد) ، بيروت ١٩١٢ .

ـ الأضداد : ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم ، ت ٣٢٨هـ ، تح أبي الفضل ، الكويت ١٩٦٠ .

ـ الأضداد : التوزي ، عبد الله بن محمد ، ت ٢٣٣هـ ، تح د. محمد حسين آل ياسين ، بيروت ١٩٨٣ .

ـ الأضداد : قطرب ، محمد بن المستنير ، ت بعد ٢١٠هـ ، تح د. حنا حداد ، الرياض ١٩٨٤ .

ـ الأضداد في كلام العرب : أبو الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي ، ت ٣٥١هـ ، تح د. عزة حسن ، دمشق ١٩٦٣ .

ـ الاعتماد في نظائر الظاء والضاد : ابن مالك الطائي ، محمد ، ت ٦٧٢هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٤ .

ـ الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء : أبو عبد الله الداني ، محمد بن أحمد بن سعود ، ت بعد سنة ٤٧٠هـ ، تح د. علي حسين البواب ، الرياض ١٩٨٧ .

ـ الاقناع في القراءات السبع : ابن الباذش ، أحمد بن علي ، ت ٥٤٠هـ ، تح د. عبد المجيد قطامش ، دمشق ١٤٠٣هـ .

(ت)

- تاج العروس : الزَّبيدي ، محمد مرتضى ، ت ١٢٠٥هـ ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ .

- تثقيف اللســـان : ابن مكي الصقلي ، عمر بن خلف ، ت ٥٠١هـ ، تح د. عبد العزيز مطر ، القاهرة ١٩٦٦ .

- تفسـير الطبري (جامع البيان) : الطبري ، محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤ .

- تفسـير القرطبي (الجامع لأحكـام القرآن) : القرطبي ، محمد بن أحمد ، ت ٦٧١هـ ، القاهرة ١٩٦٧ .

- التمهيد في علم التجويد : ابن الجزري ، محمد بن محمد ، ت ٨٣٣هـ ، تح د. علي حسين البواب ، الرياض ١٩٨٥ .

- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين : الصفاقسي ، علي بن محمد النوري ، ت ١١١٨هـ ، تح محمد الشاذلي النيفر ، تونس ١٩٧٤ .

- التيسير في القراءات السبع : أبو عمرو الداني ، عثمان بن سعيد ، ت ٤٤٤هـ ، تح أوتو برتزل ، استانبول ١٩٣٠ .

(ح)

- حجـة القراءات : أبو زرعة ، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، ق ٤هـ ، تح سعيد الأفغاني ، منشورات جامعة بنغازي ١٩٧٤ .

- حصر حرف الظـاء : الخولاني ، أبو الحسن علي بن محمد المقرئ ، ت بعد ٤٨٥هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن (نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي م٤١ ج٢) ، بغداد ١٩٩٠ .

(ر)

- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : القيسي ، مكي بن أبي طالب ، ت ٤٣٧هـ ، تح د. أحمد حسن فرحات ، عمّان ١٩٨٤ .

(ز)

– زينة الفضلاء في الفرق بينْ الضاد والظاء : الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ، ت ٥٧٧هـ ، تح د. رمضان عبد التواب ، بيروت ١٩٧١ .

(س)

– السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى ، ت ٣٢٤هـ ، تح د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .

– سر صناعة الإعراب : ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، ت ٣٩٢هـ ، تح د. حسن هنداوي ، دمشق ١٩٨٥ .

(ظ)

– الظاءات في القرآن الكريم : أبو عمرو الداني ، تح د. علي حسين البواب ، الرياض ١٩٨٥ .

– ظاءات القرآن : السرقوسيّ ، سليمان بن أبي القاسم ، ت نحو ٥٩١هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن (مجلة المجمع العلمي العراقي م٤٠ ج١) ، بغداد ١٩٨٩ .

(غ)

– غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجَزَري ، تح برجستراسر وبرتزل ، القاهرة ١٩٣٢ – ١٩٣٥ .

(ف)

– الفرق بين الحروف الخمسة : ابن السيد البطليوسي ، عبد الله بن محمد ، ت ٥٢١هـ ، تح عبد الله الناصير ، دمشق ١٩٨٤ .

– الفرق بين الضاد والظاء : الصاحب بن عبّاد ، ت ٣٨٥هـ ، تح الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد ١٩٥٨ .

– فهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : الرياض ١٩٨٢ .

(ك)

– الكتاب : سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، ت ١٨٠هـ ، بولاق ١٣١٦ – ١٣١٧هـ .

– الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : القيسي ، مكي بن أبي طالب ، تح د. محيي الدين رمضان ، دمشق ١٩٧٤ .

(ل)

– لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ت ٧١١هـ ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ .

– لطائف الإشارات لفنون القراءات : القسطلاني ، شهاب الدين أحمد بن محمد ، ت ٩٢٣هـ ، تح الشيخ عامر السيد عثمان ود. عبد الصبور شاهين ، القاهرة ١٩٧٢ .

(م)

– المبسوط في القراءات العشر : ابن مهران الأصبهاني ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، ت ٣٨١هـ ، تح سبيع حمزة حاكمي دمشق ١٩٨٦ .

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية عبد الحق ، ت ٥٤١هـ ، المغرب ١٩٧٥ – ١٩٩١ .

– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي دار مطابع الشعب ، مصر .

– معرفة الضاد والظاء : الصقلي ، أبو الحسن علي بن أبي الفرج القيسي ، ت ؟ ، تح د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٥ .

– منظومات أصول الظاءات القرآنية : د. طه محسن ، (مجلة معهد المخطوطات م٣٠ ج٢) ، الكويت ١٩٨٦ .

(ن)

– النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، تح د. محمد سالم محيسن ، القاهرة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية

في
دراسات المستشرقين الألمان

الدكتور موسى ربابعة

مقدمة :

حظي الشعر الجاهلي بدراسات المستشرقين الألمان منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وقد أظهرت هذه الدراسات اهتمامات المستشرقين بتحقيق النصوص ونشرها أو ترجمتها ، هذا بالإضافة إلى اهتمامهم بلغة الشعر الجاهلي واتخاذه مادة مهمة للتعرف على حياة العرب في جوانبها المختلفة .

ولكن دراسة القصيدة الجاهلية على أنها فن شعري قائم بذاته لم تلق من عنايتهم شيئاً كثيراً في وقت مبكر ، وقد حاولت دراسات عدة أن تقف عند القصيدة الجاهلية منطلقة في ذلك من زوايا نظر مختلفة . وليس هناك من شك في أن أسباباً معينة حالت دون النظر إلى القصيدة الجاهلية نظرة متكاملة ، وأول هذه الأسباب قضية النحل التي شغلت المستشرقين منذ وقت مبكر ، وجعلتهم يشكون في صحة هذا الشعر ، وذلك مثل الدراسات التي قام بها نولدكه ومرغليوث . أما السبب الثاني فهو متعلق برؤية المستشرقين ، وهي رؤية تقوم على أن الشعر العربي لا يتناسب مع

الذوق الأوروبي[١] . وأما السبب الثالث فهو أن نظرة المستشرقين إلى القصيدة الجاهلية كانت تفترض أن القصيدة الجاهلية مفككة وغير مترابطة تجمع موضوعات لا رابط بينها ، وكان الذي بلور مثل هذا التصور للشعر العربي بصورة عامة هو المستشرق تاديوسيز كوفاليسكي Tadeusz Kowalski الذي اتهم الشعر العربي بالتفكك والتجزؤ[٢] .

إن هذه الأسباب مجتمعة كانت كفيلة بأن تصرف نظر المستشرقين عن معاينة النص على أنه بناء متكامل ، ولذلك جاءت دراساتهم للقصيدة الجاهلية دراسة تهتم ببعض الأجزاء دون أن تدرس العلاقات القائمة بين أجزاء القصيدة وتنامي هذا العلاقة وتفاعلها ، مثال ذلك ما فعلت اليزه لشتنشتيتر في دراستها عن النسيب في القصيدة الجاهلية .

وقد ظلت النظرة الجزئية إلى النص الشعري الجاهلي هي الغالبة على دراسات المستشرقين الألمان لهذا الشعر حتى مطلع السبعينيات من هذا القرن ، وربما تعد ريناته يعقوبي الرائدة في هذا المجال ، إذ إنها أخذت على عاتقها دراسة شعرية القصيدة العربية الجاهلية . ومنذ أن درست يعقوبي القصيدة دراسة متكاملة احتل الشعر الجاهلي أهمية كبيرة في نظر

---

(١) Ewald Wagner: Grundzüge der Klassishen arabischen Dichtung . Band I. Die altarabische Dichtung. Wissenschaftliche Buchgesellschaft. Darmstadt.1987.p4.

وربما يكون وراء مثل هذه الرؤية إحساس بتفوق الذات الأوربية العام الذي لم يقتصر على الأدب فقط وإنما امتد ليشمل جميع أصناف المعارف الإنسانية الأخرى . حول هذه القضية انظر : ادوارد سعيد : الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤ ، ص٤٢ .

(٢) Wolfhart Heinrichs: Arabische Dichtung und grieschische Poetik Beirut. 1969.P.20 – 26

المستشرقين الذين بدؤوا ينظرون إلى القصيدة الجاهلية على أنها فن شعري (Dichtung)[٣] والمقصود بذلك أن المستشرقين أخذوا ينظرون إلى القصيدة من حيث بناؤها المتكامل ، ويعترفون بها على أنها شعر خالص ، وذلك بخلاف نظرتهم الأولية إلى هذه القصيدة التي كانت معيناً تستقى منه المعلومات التاريخية والنحوية واللغوية وغير ذلك ، ولذلك لم يحتفلوا احتفالاً كبيراً بفنية القصيدة في تلك الدراسات المبكرة .

وقد كان لا بد من هذه المقدمة المختصرة عن كيفية تناول المستشرقين للقصيدة الجاهلية ، وإن كان هذا البحث يتأسس على مناقشة آراء المستشرقين حول مقدمة القصيدة . وسيحاول هذا البحث أن يناقش الآراء التي انطلق منها المستشرقون في تفسير ظاهرة النسيب . ومن خلال النظر إلى الدراسات التي كتبت حول هذا الموضوع يمكن تقسيم دراساتهم للنسيب إلى قسمين : ١ ـ أصل النسيب

٢ ـ النسيب وبناء القصيدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أولاً : أصل النسيب :

إن أول محاولة لدراسة النسيب قام بها جورج ياكوب في دراسته عن حياة العرب قبل الإسلام Altarabisches Beduinenleben واعتقد ياكوب أن النسيب نشأ عن أغاني الحداء الحزينة[٤] وكان ياكوب قد ساق هذا الرأي دون أن يقدم أية مسوغات ، فإذا كان النسيب قد نشأ عن

---

(٣) Wolfhart Heinrichs: Die altarabische Qaside als Dichtkunst. Der Islam. 51.1974.p.118.

(٤) Georg jacob: altarabisches beduienenleben. Hildesheim. 1967.p.206.

الحداء فإن أجزاء القصيدة الأخرى نتجت عنه ، لأن هناك نظريات تقول بأن الشعر العربي نشأ عن الحداء(٥) . يبدو أن مثل هذا الظن يتعلق تعلقاً مباشراً بقضية نشأة الشعر العربي التي لا تقوم على أسس ثابتة ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل راح ياكوب يعقد مقارنات بين النسيب ونشيد الأنشاد(٦) . وحاول أن يوجد بعض نقاط الالتقاء بين الاثنين من جانب المحتوى .

وقد ارتأت اليزه لشتنشتيتر أن النسيب يمكن أن يكون موازياً لما جاء في نشيد الانشاد ، ووسعت دائرة الشواهد التي جاء بها ياكوب ، إذ إنها اعتقدت أن النسيب يظهر تراثاً سامياً قديماً ، ويبرز هذا من خلال موازنته مع نشيد الإنشاد(٧) ، ولم تقف لشتنشتيتر عند هذا الحد بل ذهبت أبعد من ذلك عندما قالت إن النسيب يمكن أن يقارن بشعر الحب المصري القديم ، إذ إن النسيب يظهر تشاركاً مع الآداب الشرقية القديمة ، وقدمت على ذلك شواهد مشتركة من النسيب ومن شعر الحب المصري القديم(٨) .

إن هذه الآراء مجتمعة لا تقوم على أرضية صلبة ؛ لأن الأمر يتعلق تعلقاً مباشراً بموضوع الحب وهو موضوع إنساني وربما تكون هذه الثقافات قد التقت في رسم صورة مثالية للمرأة بشكل عام(٩) . هذا مع أن للنسيب

(٥) د . يوسف خليف : دراسات في الشعر الجاهلي ، مكتبة غريب . القاهرة ، ١٩٨١ ، ص٣٩ – ٤٩ .

(٦) Ewald Wagner: Grundzüge der Klassischen arabischen Dichtung. Bd.I.p.84.

(٧) Ilse lichtenstädter: Das Nasib der altarabischen Qaside. Islamica.5.1932.p.91.

(٨) Ibid p.94.

(٩) Ewald Wagner: Grundzüge der Klassischen arabischen =

في مقدمة القصيدة الجاهلية خصوصية تميزه عن غيره من ألوان الغزل . إذ إن النسيب هو جزء من القصيدة الجاهلية ولم يكن قصيدة قائمة بذاتها ، ولذلك يجب أن ينظر إليه متصلاً بالقصيدة ، وتنبع أهميته من كونه يشكل افتتاحية القصيدة .

فكيف يمكن أن يفسر المرء سر افتتاح القصيدة بالنسيب دون غيره ، وهذا الأمر قاد بعض المستشرقين إلى تفسيرات جديدة ، لكن المستشرقين الألمان وقفوا من هذه التفسيرات موقفاً سلبياً ورفضوها لأنها حاولت أن تربط النسيب بشعائر دينية مثال ما فعل غويدي **Guidi** الذي قال : « إن النسيب ذو وظيفة مشابهة لدعاء الآلهة كالرابسودون الموجود في مقدمة الملحمة اليونانية »(١٠) .

ولكن هذه المقارنة لم تلق قبولاً من المستشرقين الألمان ، فقد رفض بلوخ هذا الرأي رفضاً قاطعاً وقال : « إن دعاء الآلهة في مقدمة الملحمة يتعلق بدافع خارجي ، أما النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية فإنه شعر وحسب لأنه لم يرتبط بأية أجواء طقوسية »(١١) .

وليس هناك من شك في أن رأي غويدي يكتسب أهمية في أنه أول محاولة لتفسير النسيب تفسيراً دينياً ، وعلى الرغم من أهمية هذا الرأي والآراء المشابهة فإنها لا تستند على قواعد ثابتة ، على الرغم من أن النسيب يشكل طقساً من طقوس القصيدة الجاهلية ، وقد ذهب مثل هذا المذهب داود سلوم الذي يقول : « يبدو أن الشعر الغزلي الذي يرد في أول القصيدة

= dichtung.Bd.I.P.48.

(١٠) Ibid P79.

(١١) Alfred Bloch: Qaside. Asiatische studien.2.1948.P.107 – 108.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجاهلية إنما هو بقايا للتراث الملحمي في ملاحم ما قبل التاريخ عند الساميين، حيث كان الشاعر يقدم صلاته للآلهة قبل بداية القصيدة ثم حدث تدهور وطفرة فتحولت البداية القديمة إلى غزل بالمرأة »[١٢].

ولكن مثل هذه الآراء تنقصها البراهين والأدلة – على الرغم من أهميتها – إذ إن النسيب ليس جزءاً قائماً بذاته وليس افتتاحية منبتة عن جسد القصيدة ككل، إذ لو كان الأمر على هذه الشاكلة لتساوت تفسيرات المقدمات الطللية، ولا يعني هذا تهميش المقدمة وإنما يعني أن المقدمة ذات مساس بتجربة الشاعر ورؤيته.

وقد ظنت ريناته يعقوبي « أن النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية كان في الأصل قصيدة غزلية مستقلة قائمة بذاتها Einselbstandiges Liebesgedicht تتألف من شكوى الحب ومدح جمال المرأة »[١٣]. إن هذه المقولة لا يمكن أن تؤخذ على أنها مسلمة من المسلمات لأن الأمر هنا يتعلق بالظن مما يجعل هذا الرأي غير نهائي، لأن الرحلة أو المديح أو الغزل يمكن أن يكون قصيدة قائمة بذاتها قبل أن تندمج مع القصيدة ككل.

وإن هذا الرأي لم يستطع أن يقدم مثالاً واحداً على أن النسيب كان قد وجد منعزلاً عن القصيدة بكاملها، ولكن هذا الرأي انبثق عن نظرة يعقوبي القائلة « بأن موضوعات القصيدة الجاهلية لم تكن في بداية الأمر

(١٢) د. داود سلوم: النقد العربي القديم بين الاستقرار والتأليف، مكتبة الأندلس، بغداد، ط٢، ١٩٧٠ ص٢٣٧ الهامش. وانظر رأياً مشابهاً للدكتور عادل جاسم البياتي: رمز المرأة في أدب أيام العرب، مجلة آفاق عربية العدد ١٢ آب ١٩٧٧ ص٧.

(١٣) Renate jacobi: studien Zur poetik der altarabischen Qaside. Wiesbaden.1971.b.106

مرتبطاً بعضها ببعض إلا من خلال الوزن والقافية ، وإنما جاءت الروابط بين هذه الموضوعات في مرحلة لاحقة »(١٤) .

تبدو هذه الآراء حول أصل النسيب لها أهميتها لو أنها استطاعت أن تقدم أدلة وبراهين ملموسة ، لكن هذه الآراء لا تقوم إلا على ظنون ، تحاول تارة أن تهمش دور النسيب في القصيدة وتجعله دوراً ثانوياً ، وتارة تحاول أن تعطي النسيب أهمية كبيرة من خلال ربطه بالجانب الديني . إن أغلب هذه الآراء تكشف عن سطحية النظرة وجعل النسيب أمراً ثانوياً في كثير من الأحيان ، وهذا يقود إلى دراسة وظيفة النسيب في بناء القصيدة الجاهلية .

ثانياً : النسيب وبناء القصيدة :

كانت دراسات المستشرقين للنسيب متنوعة ومختلفة ، وذلك من جانب علاقة النسيب بأجزاء القصيدة الأخرى . وقد جاءت دراسة لشتنشتيتر مفصلة ومسهبة ، لكنها لم تعمل على الكشف عن علاقة النسيب بالنص الشعري ككل . فقد عالجت المؤلفة النسيب باسهاب واستقصاء لكنها عزلته عن ارتباطه بالنص . وقد رأت أن النسيب يتكون من ثلاثة أجزاء : الوقوف على الأطلال ، ورحلة المرأة ، والخيال (الطيف) . ثم درست محتوى كل جزء من هذه الأجزاء(١٥) . مع أنها لم تلتفت إلى قضية العمر والشكوى من الزمن التي تتكرر في كثير من نسيب القصيدة الجاهلية .

وحاولت المؤلفة أن تدرس كيفية ابتداء كل جزء من هذه الأجزاء

(١٤) Ibid P.5 – 6.

(١٥) Ilse Lichtenstädter: Das Nasib der altarabischen Qaside:P.22

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الناحية الأسلوبية ، ووجدت أن الصور والتشبيهات والكنايات تتكرر في كل جزء ، وإن لكل جزء أسلوباً يفتتح به(١٦) . ولكن المؤلفة ترى أن اللحظة الجنسية تؤدي دوراً مهما في النسيب(١٧) . ولكنها لم تشر إلى ارتباط النسيب مع أجزاء القصيدة ، ولذلك جاءت دراستها وصفية ومنفصلة عن الجو العام للقصيدة .

ومع ريشتر Richter بدأ التوجه نحو نظرة عامة إلى القصيدة الجاهلية ، وذلك في مقالته Zur Entstehungsgeschichte der Altarabischen Qaside « حول قضية نشأة القصيدة العربية الجاهلية » . وأول شيء فعله ريشتر أنه لم يقتنع بما قاله ابن قتيبة عن بناء القصيدة ، فهو يرى(١٨) — كما رأى نولدكه قبله — أن شكل القصيدة عند ابن قتيبة لم يكن نهائياً ، وذلك لأن خاتمة القصيدة تكون دائماً مختلفة ، كما أن هناك أجزاء تختفي نهائياً من القصيدة مثل الرحلة ، وهو يستند في ذلك على المعلقات وما فيها من تفاوت البناء ، فهي قصائد مشهورة لكنها لم تتبع نهج ابن قتيبة(١٩) .

ينطلق ريشتر في فهمه للنسيب وللقصيدة الجاهلية من منظور أساس يقيم عليه دراسته ، وهو « أن القصيدة الجاهلية لم تبن بناء تعسفياً في

---

(١٦) Ibid P.60.

(١٧) Ibid P.78.

(١٨) Gustav Richter: zur Entstehungsgeschichte der altarabischen Qaside. Zeitschrift der deutschen morgenländishen Gesellschaft.92.1938.P.552.

(١٩) Theodor Noldeke: Beiträge Zur Kenntnis der poesie der altenaraber Hannorer 1864.P.19

موضوعاتها ، وإنما نبعت موتيفاتها (أي موضوعاتها الجزئية الأساسية) من فكرة مشتركة »[٢٠] يعني هذا الرأي أن ريشتر يحاول أن يقيم فهمه لموضوعات القصيدة المتنوعة على أنها انبثاق عن موضوع واحد داخل القصيدة يعده هو الأساس يقول : « إن النسيب هو مركز القصيدة الأكثر فاعلية فيها ؛ ولذلك فليس هناك من شك في أن موتيفات (أي الموضوعات الجزئية الأساسية) القصيدة الأخرى قد انبثقت عن النسيب »[٢١] .

وقد حاول ريشتر أن يثبت رأيه هذا من خلال اعتماده على ما كتبه هلموت ريتر Helmut Ritter عن طبيعة الشعر العربي الذي يعتمد على الوصف المسهب للأشياء التي يمتلكها الشاعر مثل المرأة والناقة والسلاح . وإن الاهتمام بمثل هذا الوصف يساعد على إبراز مجد الشاعر ومدحه لذاته ، ولذلك فإن الموضوعات التي يتحدث عنها الشاعر تتعلق بذاته تعلقاً مباشراً ، فالشاعر يريد من خلال القصيدة أن يفخر بنفسه وأفعاله وممتلكاته ، ويعني هذا أن مدح الذات عنصر رئيس تقوم عليه القصيدة ، ومعنى ذلك أن الموضوعات التي يتحدث عنها الشاعر تحمل نزعة دعائية كما في معلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة[٢٢] .

وهذا يعني أن النسيب يصبح نوعاً من الفخر بالذات ؛ لأنه يتضمن استعراضاً يقوم به الشاعر أمام محبوبته أو زوجته التي يخاطبها ، فالافتخار بالذات أمام المرأة إنما هو محاولة الشاعر لامتلاكها أو إعادة امتلاكها بعد أن رحلت ، ويقدم ريشتر أدلة على ذلك من معلقة لبيد ومعلقة عنترة ، إذ يرى

(٢٠) Gustav Richter: Zur Entstehungsgeschichte der altarabischen Qaside.P.555

(٢١) Ibid P.561.

(٢٢) Ibid P.560.

أن قول لبيد هو استعراض دعائي من الشاعر أمام المرأة :

أولَمْ تكـنْ تـدري نوارُ بـأنني وصَّـالُ عَقْـدِ حبائِلٍ جذَّامُها
ترَّاكُ أمكنـةٍ إذا لم أرْضَهَـا أو يعتلقْ بعضَ النفوسِ حِمامُها[٢٣]

ويقول إن هذه الأبيات تتعلق بذات الشاعر تعلقاً مباشراً وإنها تقوده إلى مدح الذات والافتخار بها .

إن حديث الشاعر إلى نوار في معلقة لبيد يكشف عن فخره بذاته وذلك بتضخيمه للأنا من خلال استخدامه لصيغ المبالغة « وصال ، جذام ، تراك » ، لكن هذا الحديث إلى نوار لا يمكن أن يفسر النسيب على أنه فخر بالذات ، والدليل على ذلك أن نسيب معلقة لبيد كان نسيباً قاتماً ومظلماً لا يشي إلا بالخراب والدمار ، ولذلك تمنى الشاعر الإحياء لهذه الأطلال . وكان الشاعر منبتاً عن دائرة المكان ودائرة المرأة ، وهذا ما جعله يحس أنه يقف في مواجهة عالم هش لا تتوافر فيه الطمأنينة ، ولا يعكس أي حس من أحاسيس الفخر بالذات ، بل إنه يشعر بالانطفاء والهامشية . أما عودة الشاعر إلى خطاب نوار في الأبيات السابقة فإنه مدخل إلى الخلاص من عالم الموت والقفر وإحساس بقيمة الذات من خلال سعيها إلى الاندماج مع القبيلة التي تهيئ للشاعر شيئاً من الطمأنينة التي كان يفتقدها في مقدمة القصيدة .

وخلاصة رأي ريشتر « أن الموضوعات كلها التي نجدها في القصيدة المثالية تتضح معالمها من خلال الموتيفات (أي الموضوعات الجزئية الأساسية) الدعائية للنسيب ، وذلك من خلال عودة ظهورها في

---

(٢٣) ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق د إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ ، ص٣٠٥ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

القصيدة »(٢٤) . كما أن ريشتر ذهب أبعد من ذلك وعدَّ القصيدة الجاهلية دعاية ، حتى إنه عد البكاء على الحبيبة شكلاً من أشكال الدعاية(٢٥) .

وفي ضوء هذا التصور فإن النسيب لم يكن عبارة عن مقدمة فقط ، وإنما هو مركز القصيدة الذي انبثقت منه الأغراض الأساسية الأخرى ، ولكن تفسير ريشتر للنسيب لا يخلو من بعض الهنات ، وأول هذه الهنات أن النسيب يوجد في قصائد ذات موضوعات لا تتعلق بمدح الذات أو الفخر بها ، إذ إنها ربما تكون مديحاً لشخص آخر أو عتاباً أو هجاء أو تحذيراً ، ولذلك فإن مدح الذات يختفي من هذه القصائد اختفاء تاماً ، فكيف يمكن أن يفسر نسيب معلقة زهير المدحية ومعلقة النابغة الذبياني العتابية ؟ ومن هنا فإن النسيب إذا صلح ارتباطه بالفخر بالذات فإنه يصطدم بنماذج شعرية جاهلية تخلو من هذا الموضوع بشكل مباشر ، كما أن هنـاك مقطوعات شعرية يفتخر بها الشاعر بنفسه دون أن يعتني بالنسيب ، مثال ذلك الشعر الذي كان يقوله الشعراء وقت الحرب أو شعر الرجز . فكيف يمكن أن يفسر المرء مثل هذا المقطوعات . وعلى هذا الأساس تسقط مقولة ريشتر من أن القصيدة ما هي إلا نسيب موسع .

ARCHIVE

إن النسيب لا يمكن أن يكون نوعاً من أنواع الدعاية ، لأنه يحتوي على ذكريات موجعة وحزينة وإن هذا ظاهر بشكل بارز من خلال الحديث عن الأطلال وفراق الحبيبة . وهما يكشفان عن الوجع الإنساني الذي تصبح فيه ذات الشاعر محطمة ، ولكن الفخر بالذات الذي يأتي في القصيدة

(٢٤) Gustav Richter: Zur Entstehungsgeschichte der altarabischen Qaside.P.563.

(٢٥) Ibid P.568.

يمكن أن يهدف إلى سعي الشاعر إلى حفظ الذات وإعادة توازنها أمام الخلخلة أو الهزة التي يسببها إقفار الديار وانفصال المحبوبة عنه .

ولو كانت نظرية ريشتر مقتصرة على القصائد الثنائية التي تتألف من النسيب ومدح الذات لأمكن أن يقوم رابط بين النسيب ومدح الذات ، إلا أن الشواهد التي قدمها ريشتر لم تستطع أن تبرز الترابط العميق بين النسيب ومدح الذات ، فهو لم يكن موفقاً في اختياره معلقة عنترة شاهداً على ذلك ، لأن الرحلة تفصل بين النسيب والفخر بالذات . ولكن لا يعدم المرء أمثلة من الشعر الجاهلي يجد فيها ترابطاً واضحاً بين النسيب والفخر بالذات ، مثال ذلك قول خفاف بن ندبة :

طَرقتْ أُسَيْمَاءُ الرِّحالَ ودُونَنا   من فَيْدِ غَيْقَةَ ساعِدٌ فكَثِيبُ
فالطَّوْدُ فالمَلَكاتُ أصبحَ دُونَها   فقراعُ قُدْسٍ فعَمْقُها فَحُسُوبُ
فلئِنْ صرَمْتِ الحبلَ يا ابنةَ مالكٍ   والرأيُ فيه مُخْطئٌ ومُصِيبُ
فَتعَلَّمي أنّي امرؤٌ ذو مِرَّةٍ   فيما أُلَمَّ من الخطوبِ صَليبُ
أدَعُ الدناءةَ لا أُلابِسُ أهلَها   ولدىَّ من كَيْس الزمان نَصِيبُ
ومُعَبَّد يَبْضُ القَطا بِجُنوبِهِ   ومن النَّواعِجِ رِمَّةٌ وصَليبُ
نَفَّرْتُ آمِنَ طَيْرِهِ وسِبَاعِهِ   بِبُغامِ مِجْذَام الرَّواح خَبُوب
أُجُدٍ كأنَّ الرَّحلَ فَوقَ مُقَلِّصٍ   عاري النَّواهقِ لاحَهُ التَّقريبُ
عَدَلَ النُّهاقُ لِسَانَه فكأنَّه   لما تَحَمَّط للشُّحاج نَقِيبُ
ولقد هبطتُ الغيثَ يدفعُ مَنكِبي   ....(٢٦)

(٢٦) الأصمعي : الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط ٥ . د . ت ص ٢٧ – ٢٨ . فيد وغيقة وساعد وكثيب والطود وقدس وعمق : أسماء أماكن ، مرة : قوة ، الكيس : العقل . المعبد : الطريق الممهد . النواعج : الإبل البيض . الصليب : ودك العظام ، البغام : حنين الإبل ، مجذام الرواح : =

تكشف هذه القصيدة عن أن هناك ترابطاً وثيقاً بين مقدمة القصيدة ، والفخر بالذات وهنا يمكن أن يستقيم لريتشر رأيه الذي يتأسس على أن القصيدة الجاهلية ما هي إلا قصيدة دعائية استعراضية أمام المحبوبة التي يتعلق بها الشاعر . ومثال آخر على ارتباط النسيب بالفخر بالذات قول ربيعة ابن مقروم :

ألا صَرَمَتْ مودَّتَكَ الرَّوَاعُ ... وجَدَّ البَيْنُ منها والوَدَاعُ
وقالتْ : إنَّهُ شيخٌ كبيرٌ ... فَلَجَّ بها ، ولم تَرعِ ، امْتِنَاعُ
فإمَّا أمسِ قد راجعتُ حِلْمِي ... ولاحَ عليَّ من شَيْبٍ قِنَاعُ
فقد أَصِلُ الخَلِيلَ وإن نآني ... وغِبُّ عَدَاوتي كَلأٌ جُدَاعُ
وأحفَظُ بالمَغِيبةِ أمرَ قومي ... فلا يُسْدَى لَدَيَّ ولا يُضَاعُ
ويَسْعَدُ بي الضريكُ إذا اعتراني ... ويَكْرُهُ جانِبي البَطَلُ الشُّجاعُ
ويأبَى الذَّمَّ لي أنّي كريمٌ ... وأنَّ مَحلِّيَ القَبَلُ اليَفَاعُ
وأنِّي في بَنِي بَكْرِ بْنِ سَعْدٍ ... إذا تَمَّتْ زَوَافِرُهُمْ أُطَاعُ
ومَلْمُومٍ جَوَانِبُهَا رَدَاحٍ ... تُزَجَّى بالرِّماحِ ، لها شُعَاعُ
شَهِدْتُ طِرَادَها فَصَبرْتُ فيها ... إذا ما هَلَّلَ النِّكْسُ اليَرَاعُ
وخَصْمٍ يَرْكَبُ العَوْصَاءَ طَاطٍ ... عن المُثْلَى ، غُنَاماهُ القِذَاعُ
....(٢٧)

= سريعة السير عند الرواح . المحبوب : وصف من الحبب وهو السرعة ، الأجد : القوية ، المقلص : الطويل القوائم . الناهقان : عظمان شاخصان في وجه ذي الحافر ، لاحه : غيّره ، تحمط : هدر في حدة وغضب ، الشحاج : رفع الصوت ، النقيب : العريف على القوم .

(٢٧) المفضل الضبي : المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط٦ ، د . ت ص ١٨٦ – ١٨٧ الرواع : اسم امرأة . لجّ : تمادى . غبّ عداوتي : عاقبتها . كلأ جداع : كلأ وخيم . لا يسدى : لا يهمل . =

إن هذه الشواهد يمكنها أن تسوغ نظرية ريشتر لكن المشكلة التي وقع فيها هي مشكلة التعميم ، فهو لم يتحدث عن الاتصال بين النسيب والفخر الذاتي في القصائد الثنائية في تركيبها ، وإنما عمم ذلك على قصائد الشعر الجاهلي ، دون أن يراعي اختلاف الغرض الرئيس في القصيدة ، ودون أن يلتفت إلى وضع الشاعر النفسي الحزين الذي تعكسه لوحة النسيب في القصيدة ، فالنسيب لا يمكن أن يكون ذا نبرة دعائية أو لهجة استعراضية دائماً .

أما الفرد بلوخ فقد رفض تفسير ريشتر للنسيب(٢٨) وعمد إلى تصنيف الشعر الجاهلي إلى عدة أقسام أساسية وعلى النحو التالي :

١ – شعر الرجز المصاحب للعمل مثل أغاني العمل والحرب وترقيص الأطفال ، وإن هذه الأغاني تصور الأصل القديم للشعر العربي .

٢ – شعر الرسالة : وفي هذا اللون من الشعر يتحدث الشاعر عن أحداث تعنيه أو تعني قومه ، ويكون محتوى هذا الشعر التحذير أو الرد على التهديد أو العتاب وغير ذلك من هذه الأشياء . وفي هذا النمط من الشعر تعطى معلومات للساعي عن الطريق التي يجب أن يسيرها .

٣ – شعر الرثاء : في هذا النمط من الشعر يتحدث الشاعر عن ذكريات الشباب الماضية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

= الضريك : المحتاج الضعيف . القبل : ما استقبلك من الجبل . اليفاع : الموضع المرتفع . الزوافر : الجماعات . الململوم جوانبها : يعني الكتيبة . الرداح : الكثيرة الحرارة . تزجى : تساق ، هلل : جبن ورجع . اليراع : الذي لا جرأة ولا صبر له في الحرب . العوصاء : الخطة الشديدة . الطاط : المنحرف . القذاع : السباب .

(٢٨) alfred Bloch: Qaside.P.106 – 107

٤ – أغاني الرحلة ، وحسب رأي بلوخ فإن القصائد الجاهلية كانت في أصلها عبارة عن أغاني الرحلة إذ إن إنشاد القصيدة كان لحث الإبل على السير لكي تختصر الرحلة المملة في الصحراء(٢٩) .

إن هذا التقسيم يظهر أنواع الشعر الجاهلي ، ولكن بلوخ يرى أن القصائد كانت عبارة عن أغاني الرحلة ، إذ إنها لم تستخدم مؤخراً على أنها أغان للرحلة ، ولكنها كانت هكذا في الأصل ، إذ إن موتيفات (أي الموضوعات الجزئية الأساسية) القصائد وبناءها تتضح من خلال هذا الفهم ، إذ إن معظم الشعر العربي هو شعر رسالة ، يحملها الشاعر إلى ساع يطلب منه أن يبلغها ؛ ولذلك فإن على الساعي أن يقطع مسافات واسعة ، ويرى بلوخ أن هناك عنصرين يتصلان بالرسالة وهما النسيب ورحلة الناقة ، وهنا يجد بلوخ نفسه مضطراً لكي يفسر النسيب في مقدمة القصيدة فيقول : إن النسيب ما هو إلا تسلية للساعي أو للسعاة ، ولذلك يجب عليه أن يتضمن محتوى يقيد الإنسان من الجانب النفسي بشكل تام(٣٠) وهو بذلك يقترب من تفسير ابن قتيبة للنسيب الذي رأى فيه تأثيراً نفسياً في السامع .

يبدو أن النسيب يصبح هنا تسلية وحسب ، إذ إن الشاعر يذكر أماكن كثيرة في مقدمة القصيدة لكي يدل الساعي على الطريق الشاق الذي يجب أن يقطعه ، وحتى يجعل الشاعر التكليف الصعب حلواً فلا بد إذن من تسلية للساعي وهذه التسلية قائمة في النسيب(٣١) .

---

(٢٩) Ibid.P.116 – 123

(٣٠) Ibid.P.124 – 125

(٣١) Ibid P.132

ARCHIVE

يظهر تفسير بلوخ للنسيب غير مقنع تماماً وذلك لأنه يلغي ذات الشاعر الغاء تاماً ، ولذلك يصبح النسيب أكثر صلة بالساعي منه بالشاعر ، وهذا أمر لا يمكن أن يقبل بسهولة ، فالشعراء يعانون ومعاناتهم تتجه للتخفيف عن الساعي ، فالشعراء في النسيب يصورون معاناتهم أمام التهدم المكاني والانفصال عن المرأة ، ولذلك يظهر التوتر القائم بينهم وبين العالم من حولهم . ولذلك « فإن النسيب كان تعبيراً يجسم لنا ارتداد الشاعر إلى نفسه وخلوه إليها وهو بذلك يعد الجزء الذاتي في القصيدة الذي يعبر فيه الشاعر عن موقفه من الحياة والكون من حوله »(٣٢) .

إن النسيب لا يمكن أن يكون منبتاً عن ذات الشاعر ولا يمكن جعله عنصراً ثانوياً في القصيدة ، ولذلك كيف يمكن بلوخ أن يفسر الأماكن الكثيفة في النسيب وبكاء الشاعر ووقوفه على الأطلال . فالمكان جزء أساس لا يمكن تفسيره دون أن يتعلق بتجربة الشاعر الذاتية ، ولا يتعلق بالسعاة الذين يحملون الرسائل التي يبلغهم الشعراء اياها .

إن تفسير بلوخ للنسيب جاء تفسيراً سطحياً هامشياً ، والسبب وراء ذلك أن بلوخ أراد أن يثبت رأيه في أن القصيدة العربية هي قصيدة رسالة لا بد لها من حامل يحملها ولكن قصيدة الرسالة لها بناؤها الخاص بها وليس هناك من شك في أن قصائد الشعر الجاهلي ليست قصائد رسالة في مجموعها ، إذ توجد دواوين لشعراء جاهليين دون أن تحتوي على قصيدة

---

(٣٢) د . عز الدين إسماعيل : النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي ، مجلة الشعر ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، فبراير ، ١٩٦٩ ، ص٧ . ود. يوسف خليف : دراسات في الشعر الجاهلي . ص١١٧ . ود. عبده بدوي : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة ، فصول ، المجلد الرابع العدد الثاني ، ١٩٨٤ ، ص٣٢ .

رسالة . لكن المرء يستطيع أن يسمي القصائد التي تتخذ من الصيغ التالية : « أبلغ ، أبلغا ، بلّغ ، ومن مبلغ الخ » قصائد رسالة ، إذن فليس هناك من شك في أن هذا الرأي يحصر الدراسة في وحدة موضوعية واحدة ترد في الشعر العربي القديم هي الوحدة المعلن عنها بالعلامات الأسلوبية : أبلغ ...الخ » وهو لذلك يتجنب المواجهة مع أية مشكلة قد تنشأ عن التعقيد البنائي للقصيدة »(٣٣) .

يظهر أن رأي بلوخ لا يتناسب مع بناء النص الشعري الجاهلي بشكل مطلق ، إذ إنه يتعامل مع نوع واحد من القصائد ، لكن القصائد الجاهلية متعددة البناء والتركيب فهناك قصائد تحتوي على رحلة أو مشهد صيد أو مدح أو فخر أو رثاء ولذلك فإن معظم القصائد تكشف عن بناء متفاوت لا يستقيم لرأي بلوخ .

ومن أهم الأشياء التي يصطدم بها رأي بلوخ تلك القصائد التي تحتوي على رسالة لكنها لا تحتوي على نسيب أو رحلة ، فكيف يستطيع الساعي أن يقطع الفيافي ويبلغ رسالته دون تسلية مثلاً ؟ فهناك قصائد أو مقطوعات شعرية تخلو من النسيب والرحلة مثال ذلك قول النابغة :

ألا من مبـــلغ عـــني خُـــرَيْمـــاً وزَبَّـــانَ الذي لم يـــرع صهـــري

وقوله :

أبـــلغ بني ذبيـــان أن لا أخـــالهـم بعبسٍ إذا حـــلوا الدماخَ فأظلما

وقوله :

ألا أبـــلغـــا ذبيـــان عني رســـالة فقد أصبحت عن منهج الحق جائرَهْ

(٣٣) ياروسلاف ستتكيفيتش : ابن قتيبة وما بعده القصيدة العربية الكلاسيكية والأوجه البلاغية للرسالة ، ترجمة مصطفى رياض ، مجلة فصول ، المجلد ٦ العدد (٢) ، ١٩٨٦ ، ص٧٤ .

وقوله :

من مبلغ عمرو بن هند آية ... ومن النصيحة كثرة الأعذار

وقوله :

ألا أبلغ لديك أبا حريث ... وعاقبة الملامة للمليم(٣٤)

إن هذه القصائد والمقطوعات الشعرية تخلو من النسيب الذي جعله بلوخ تسلية للساعي ، وهذا أمر يناقض ما ذهب إليه بلوخ بصورة مباشرة وواضحة ، ولذلك فإن النسيب لا يمكن أن يكون للتسلية لأنه يرتبط ارتباطاً مباشراً بالجو العام لقصيدة الرسالة ، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة لقيط بن يعمر الإيادي التي حذر فيها قومه من كسرى الذي كان ينوي القضاء عليهم فقال مفتتحاً قصيدته :

يا دارَ عمرة من محتلها الجرعا ... هاجت لي الهمَّ والأحزانَ والوجعَا

تامتْ فؤادي بذاتِ الجزع خرعبة ... مرتْ تريدُ بذات العذبة البيعَا

جرتْ لما بيننا حبل الشموس فلا ... يأساً مبيناً ترى منها ولا طمعا

فما أزالُ على شحط يؤرقني ... طيفٌ تعمد رحلي حيثما وضعا

أني بعيني ما أمّتْ حمولهم ... بطن السُّلوطح لا ينظرن من تبعا

طوراً أراهم وطوراً لا أبينهم ... إذا تواضع خدرٌ ساعة لمعا

تلتقي افتتاحية قصيدة لقيط في محتواها وموتيفاتها (أي موضوعاتها الجزئية الأساسية) مع مقدمات الشعراء الجاهليين الأخرى ، ففيها ذكر الديار وأسماء الأماكن والمرأة والطيف والظعائن . ولذلك فإن هذه الافتتاحية بما تحتويه من توتر وشعور بالاضطراب والقلق تكشف عن أن الشاعر لم

---

(٣٤) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٨٠ ، ١٠٤ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ٢١١ .

يأت بهذه الأماكن لكي يجعلها أداة لتسلية الساعي ليس غير ، وإنما تنبعث من هذه المقدمة هواجس تنبئ عن الهم والأحزان والوجع ، وإن هذه الأمور تتعلق بذات الشاعر ولا تتعلق بشخصية الساعي ، لأنها لا تتضمن إلا الشكوى والألم . والشكوى والألم عنصران مثبطان للساعي وليسا حافزين للتسلية والاندفاع لكي يبلغ الرسالة . وإن الأماكن التي يعددها الشاعر هي ميدان تجربته ، وابتعاد الشاعر عنها كفيل بايقاظ الألم والوجع في نفسه ، إن الوجع الذي تسببه الديار وانفصال المحبوبة ما هو إلا ذلك الوجع الناجم عن عدم سماع بني قومه لتحذيره إياهم من كسرى .

ومن ناحية أخرى فإن الرحلة (رحلة الشاعر) تختفي في هذه القصيدة ، فإذا كانت الرحلة قد اختفت فإن هذا يعني – حسب تفسير بلوخ – أن عنصراً من عناصر التسلية قد اختفى ، ولذلك ينطفئ تحفز الساعي لمتابعة رحلته ، ولذلك فإن هذا الأمر يكشف عن نقص نظرية بلوخ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يبدو أن هذه القصيدة تظهر ترابطاً نفسياً بين مقدمتها وغرضها الأساس ، وإن هذا الترابط يكمن في احساس الشاعر بالفاجعة الناجمة عن عدم التصالح بينه وبين المرأة والمكان ، كما أن الرسالة تشي أيضاً بعدم رضا الشاعر عن قومه الذين رفضوا الاستماع إلى صوته ، يقول بعد النسيب مباشرة :

بل أيها الراكب المزجي على عجل ... نحو الجزيرة مرتاداً ومنتجعا
أبلغ إياداً وخلل في سراتهم ... اني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا
يا لهف نفسي إن كانت أموركم ... شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعا
ألا تخافون قوماً لا أبا لكم ... أمسوا إليكم كأمثال الدبى سرعا

أبنـــاء قـــوم تـــأووكم على حنـق — لا يشـعـرون أضر الله أم نفعـا

إلى أن يقول :

هذا كتـابي إليكـم والنذير لكـم — لمن رأى رأيـه منكـم ومن سمعـا
لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل — فاستيقظوا ان خير العلم مانفعا(٣٥)

مما لا شك فيه أن صوت الشاعر في المقدمة يتناغم بشكل جلي مع صوته في رسالته التي أرسلها إلى قومه ، ولذلك يصبح النظر إلى النسيب على أنه تسلية أمراً غير مسلم به ؛ وذلك لأن موضوع القصيدة وجوها النفسي يتدخلان تدخلاً واضحاً في كيفية بناء النص ، هذا بالإضافة إلى أن مقدمة القصيدة تتمركز حول الذات المهمومة التي انتقلت من الحديث عن الهم الذاتي إلى الحديث عن الهم الجماعي المتعلق بقوم الشاعر .

مع ريناته يعقوبي تبدأ دراسة النسيب تأخذ بعداً جديداً ، ولا سيا أن المؤلفة لجأت إلى تتبع بناء القصيدة من حيث إنها قصيدة غير مرتبطة بسياقها الاجتماعي أو التاريخي ، ولذلك رفضت يعقوبي دراسة ريشتر وبلوخ ورأت أنها دراسات لا تقوم إلا على فرضيات لا يمكن قبولها بسهولة .

بدأت يعقوبي دراستها برفض تفسير ابن قتيبة للقصيدة العربية ، وذلك لأنها رأت فيه قصوراً واضحاً وإن تفسير ابن قتيبة ينطبق على نمط واحد من انماط القصيدة وهو قصائد المديح(٣٦) . لقد كانت هذه الدراسة

(٣٥) ديوان لقيط بن يعمر الإيادي . تحقيق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطية ، بغداد ، وزارة الأعلام ، ١٩٧٠ ، ص ٣٠ ــ ٥٠ . تامت : ضلت وذهبت به ، الجزع : منثنى الوادي ، خرعبة : امرأة غضة ، البيعة : كنيسة النصارى وقيل كنيسة اليهود . الشموس : الدابة الممتنعة فلا تمكن من الإسراج والإلجام ، الشحط : البعد ، بطن السلوطح : اسم موضع . خلّلْ : خصّصْ . الدبى : صغار الجراد . تأووكم : أووا إليكم .

(٣٦) Renate Jacobi: Studien Zur boetik der altabischen

قد أشارت إلى رأي يعقوبي في أصل النسيب وهو رأي ينبثق من أن القصيدة العربية كانت تتألف في البداية من موضوعات يربط بينها الوزن والقافية فقط ، ومع مرور الزمن أخذ الشعراء يبتدعون روابط بين هذه الموضوعات . (انظر ص٤)

ولأن يعقوبي انطلقت من هذا الفهم للقصيدة الجاهلية فإنها وصلت إلى مقولة أساسية في النسيب وهي « أن النسيب كان جزءاً قائماً بذاته أو قصيدة مستقلة تختص بوصف معاناة الحب ومدح جمال المرأة »[٣٧] . وهذا يعني أن ذكر ديار المحبوبة ورحليها ووصف ذلك وآثاره النفسية في الشاعر كان في البداية غرضاً قائماً بذاته . وقد ذهب الدكتور محمد مندور قريباً من هذا حينما قال : « فليس صحيحاً أن الشاعر المادح هو الذي فكر في أن يبدأ بذكر الديار والحبيبة والسفر وما إلى ذلك ليمهد لمديحه ، وإنما هي تقاليد الشعر الجاهلي التي استمرت حية مسيطرة بعد أن دخل التكسب في الشعر ، فأصبحت المدائح تتكون من جزئين منفصلين تمام الانفصال : القصيدة القديمة كما نجدها عند الشعراء الجاهليين القدماء ثم المدح ، ولا أدل على ذلك من أن نفكر فيما كان من الممكن أن تكون عليه تلك المدائح لو لم يوجد الشعر الجاهلي الذي لا مديح فيه ، ولو لم يطغ سلطانه

= Qaside.p.41

وحول هذا الموضوع انظر : د. يوسف بكار : بناء القصيدة العربية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٢ ،١٩٨٢ ، ص ٢١٤ – ٢١٥ و د. محمد حسن عبد الله : مقدمة في النقد الأدبي ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط١ ، ١٩٧٥ ، ص٥٥٠ و د. حسين الحاج حسن : أدب العرب في عصر الجاهلية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ، ١٩٨٤ ، ص٥٥ .

(٣٧) Renate Jacobi: studien Zur Poetik der altarabischen Qaside .P.106

على الشعراء اللاحقين »(٣٨) .

وعلى الرغم من رأي يعقوبي القائل بأن النسيب كان جزءاً قائماً بذاته فإنها درست النسيب دراسة مستقصية ومستفيضة . وذلك من خلال محتواه ، وقد استندت في ذلك على دراسة لشتنشتيتر ، ولكن من أهم الآراء التي جاءت في دراسة يعقوبي « أن النسيب يظهر التعارض بين الحاضر المحزن والماضي الجميل ولذلك فإنها رأت لوحة النسيب عبارة عن قصيدة ذكرى Erinnerungsgedicht »(٣٩) ؛ ولأن يعقوبي حاولت أن تتبع دور النسيب في القصيدة من غير ربطه بسياقه الاجتماعي والتاريخي فإنها لم تفد من هذه المقولة ولم تتعمق في دراسة هذا التعارض وإنما اكتفت بالاشارة إليه .

وقد حاولت يعقوبي أن تجد روابط بين النسيب والجزء الذي يليه في القصيدة ، ولكن المؤلفة عنت بالروابط حسن التخلص ، ولذلك فإن الروابط بين النسيب والرحلة تكون عند يعقوبي روابط أسلوبية محضة لا تحتوي على أية تفسيرات نفسية أو اجتماعية أو واقعية ، وإنما عمدت إلى البحث عن الروابط لتقول إن النسيب يرتبط مع الرحلة من خلال قول الشاعر « دعها ، فعزيت نفسي ، فسليت ما عندي ، فسلّ الهمّ ، فعدِّ عما ترى ... الخ » . ولذلك ترى يعقوبي أن ارتباط النسيب مع ما يليه في القصيدة كان معللاً ، ولكن ماذا تقول يعقوبي في القصائد التي تخلو من هذه الأنماط الأسلوبية ؟ أنها قالت : إن القصائد التي يخلو نسيبها من روابط

(٣٨) د . محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص٣١ .

(٣٩) Renate Jacobi: Studien Zur Poetik der altarabischen Qaside .P.14,25

أسلوبية مع الموضوع الذي يليه كانت قصائد أقدم تاريخياً ، أما القصائد التي تمتلك مثل هذه الروابط فإنها تشكل تطوراً في بناء القصيدة ، وهي بهذا الرأي تعود إلى دائرة الظن(٤٠) .

ثمة محاولتان تختلفان عما سبقهما من محاولات لتفسير النسيب في القصيدة الجاهلية ، المحاولة الأولى قدمها فالتر براونه الذي رأى أن الشعر الجاهلي يمكن أن يفسر تفسيراً وجودياً ، أما المحاولة الأخرى فقد كانت من تلميذه غوتفريد مولر في دراسته عن معلقة لبيد .

لقد اعتمد براونه في تفسيره للنسيب على منظور فلسفي وجودي ، واتخذ هذا المنظور أساساً لفهم النسيب ، وعلى الرغم من خطر تطبيق الفلسفة على الشعر تطبيقاً صارماً فإن تفسير براونه قد أثار تفسيرات جديدة للنسيب في مقدمة القصيدة عند الباحثين العرب سواء أكانوا معه أم ضده(٤١) .

يقول براونه - بعد أن رفض تفسير ابن قتيبة : « إن النسيب عبارة

(٤٠) Ibid P 49 – 53

(٤١) حول هذه القضية انظر مثلاً : د عز الدين إسماعيل : النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي ومطاع صفدي وايليا حاوي : موسوعة الشعر العربي ، مكتبة خياط للطباعة والنشر ، بيروت ،ط١ ،١٩٧٤ ، ص٤١ . ود عبده بدوي : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة ، ص٣٤ . ود حسين عطوان : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي دار المعارف بمصر ، ط١ ١٩٧٠ ، ص ٢١٦ – ٢١٩ . ويوسف اليوسف : مقالات في الشعر الجاهلي : دار الحقائق ، بيروت ، د ت : ص ١٢٥ – ١٢٩ . و د سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي : مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص١٤٣ – ١٤٤ . و د محمد النويهي : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقديمه ، الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ، د ت ، ص ١٥٢ – ١٥٤ .

عن اختبار القضاء والفناء والتناهي ، لأن المسألة متعلقة بمسألة وجود الإنسان ومصيره ونهايته »[٤٢] . وليس من شك في أن مسألة المصير من أهم المسائل الماثلة في لوحة النسيب إذ إنها تكشف دائماً عن الصراع القائم بين الحياة والموت ، ولكن المسألة هنا تتعلق بمذهب فلسفي متشعب الأبعاد والمواقف ، ولذلك فإن مثل هذا الرأي جدير بالاهتمام ولكن يجب أن ينظر إليه في إطار الشعر الجاهلي بصورة عامة . إذ إن هناك بعض النسيب الذي لا تنطبق عليه الفلسفة الوجودية ولذلك يصبح التعميم أمراً فيه كثير من التعسف .

أما غوتفريد مولر فهو المستشرق الثاني الذي ينطلق في تفسيره للقصيدة الجاهلية من منظور فلسفي ، وهذا الأمر ليس غريباً على مولر ، فأستاذه براونه عمد إلى الإفادة من الوجودية في تفسير النسيب ، ولذلك فإن مولر يعيب الباحثين السابقين لأنهم لم يعاينوا النص الشعري الجاهلي في إطاره التاريخي والاجتماعي[٤٣] .

يرى مولر في دراسته لمعلقة لبيد أن الانفصال بين الشاعر والمحبوبة ناتج عن انفصال قبيلتين نقض بينهما عهد أو ميثاق ، أو أن هذا الانفصال كان ناتجاً عن أسباب اقتصادية ، وهذا يؤدي إلى أن تنفصم عرى المحبة كما تنفصم العلاقة بين القبائل[٤٤] .

---

(٤٢) فالتر براونه : الوجودية في الجاهلية ، مجلة المعرفة السورية ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، ١٩٦٣ ، ص٦٠ .

(٤٣) Gottfried Müller: Ich bin Labid und das ist mein Ziel. Zum Problem der Selbstbehauptung in der altarabischen Qaside. Wiesbaden 1981.P.u

(٤٤) Ibid P.27

يبدو أن هذا التفسير واقعي واجتماعي وتاريخي يحاول أن يعيد النسيب إلى الأسباب التي أفرزته ، لكن مولر لم يكتف بهذا الأمر وإنما راح يفلسف النسيب من خلال القناعات التي قدمها ، وحتى يضع النسيب في اطار فلسفي فقد رأى في لوحة النسيب عدة أمور تسهل عليه الوصول إلى تفسيره الذي ارتآه .

ومن هذه الأمور التي أولاها أهمية كبيرة أن النسيب يكشف عن انعدام الثقة بين الشاعر والمكان ؛ لأن النسيب لا يقدم سوى التهدم والتبعثر ولذلك « تصف لوحة النسيب وضعاً تكون فيه الثقة بالعالم مكاناً يكون فيه الإنسان فاعلاً ثم يختفي هذا العالم فجأة . وعلى هذا الأساس تكون الخبرة التي كوّنها الشاعر مع العالم هشة وتكشف عن تفاهة العلاقات الإنسانية ، إذ إن الإنسان يصبح دون وطن ، ولذلك يصبح كل شيء مغلفاً بالسواد ويظهر العالم للشاعر عبارة عن أكوام من أشياء غير مترابطة وتغيب الحقيقة من الحاضر »(٤٥) .

يبدو أن هذا التفسير هو محاولة لتعزيز الانفصال عن المكان ، والانفصال عن المكان يشكل عالماً غريباً للشاعر تبدو فيه كل الأشياء تافهة ، لذلك يبدو المكان غير موجود فيضطر الشاعر إلى أن ينفصل عنه . ولذلك يصبح الحاضر غير آمن ويتصف بالغدر بعد أن كان الشاعر في الماضي حراً ، مرناً ، وفرحاً وغير مقيد(٤٦) .

وعلى الرغم من جمالية تفسير مولر للنسيب فإنه يعزز قضية انفصال الشاعر عن المكان ، وكأنه من السهولة بمكان أن ينفصل الإنسان عن وطنه ، وقد رأى مولر هذا الرأي لأنه اعتمد على نظرة تيليش الفلسفية

---

(٤٥) Ibid p.29

(٤٦) Ibid P.28.

الدينية التي ترى أن الإنسان يرتبط بمرحلة الوعي المبكرة بقوى النشوء وهي الأرض والدم والجماعة ، وهذه الأشياء ذات طبيعة أسطورية ، وذلك في الوقت الذي يسيطر فيه المكان على الزمان . والإنسان يظهر هنا مرتبطاً بأصله فهو لا يمتلك مستقبلاً أو هدفاً ، لكن الانفصال عن أسطورة النشوء يعني ابدال الزمان بالمكان وفقد الأمان في الجماعة واستقلالية الذات وحريتها في أعمالها المستقبلية التي تريد أن تعملها »(٤٧) .

لقد استغل مولر هذا الانفكاك عن قوى النشوء الذي يعني الانفصال عن المكان الناتج عن تحول الوعي الإنساني في لحظة من اللحظات ؛ ولذلك يظهر النسيب عند مولر انفصالاً عن الأسطورة ودخولاً في عالم جديد ، « فالنسيب يأخذ بعداً سلبياً على أنه لا شيء ، وعالم غير مشكّل أي مبعثر ، وإن التهدم يصبح قادراً على أن ينال حياة الإنسان إذا ما أصر على البقاء في هذا المكان »(٤٨) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تفسير سوزان ستيتكيفيتش للنسيب جاء ليؤكد مفهوم الانفصال أو الفراق من خلال اعتمادها على (طقوس العبور) ، ولكن إذا كانت ستيتكيفيتش قد نجحت في اثبات عنصر الانفصال عن المكان في لوحة الطلل فإنها تناقضت تناقضاً مباشراً مع مولر في تفسيرها للرحلة على أنها الطقس الهامشي(٤٩) لأن مولر يرى أن الرحلة

(٤٧) Renate Jacobi: Neue Forschungen Zur altarabischen Qaside Bibliotheca Orientalni.40.1983 P.7.

(٤٨) Gottfried Müller: Ich bin Labid und das ist mein Ziel .P.39,40, 116

(٤٩) سوزان ستيتكيفيتش : القصيدة العربية وطقوس العبور دراسة في البنية النموذجية ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الأول ، المجلد (٦٠) ، كانون الثاني ، ١٩٨٥ ، ص٦٢

هي عودة الشاعر إلى ذاته وإلى الواقع ولذلك يظهر فيها الشاعر فاعلاً(٥٠) .

إن الانفصال عن المكان – حسب تفسير مولر – مرتبط بالانفصال عن قوى النشوء التي يشكل المكان أحد عناصرها الرئيسة ، وإن هذا الانفصال يعني تغير الوعي الناتج عن رفض الشاعر البقاء في عالم متناثر ؛ ولذلك يصبح المكان هامشياً وإن الشاعر يعلق آماله على الزمان الذي يعني عودة الشاعر إلى العالم الحقيقي من خلال – الرحلة – التي يظهر فيها قادراً على ممارسة الفعل .

يبرز تفسير مولر للنسيب انفصال الشاعر عن المكان ، ولكن هل يمكن أن يكون هذا الانفصال رغبة من الشاعر في البحث عن عالم جديد ؟ إن الأمر لا يمكن أن يتعلق بمثل هذا الفهم ؛ لأن الشعراء كانوا يقيمون طقوساً من البكاء ويفجعون عندما يصطدمون بالمكان المقفر والمتهدم . ولا شك في أن هذا الرأي لا يمكن قبوله بسهولة ، لأن النسيب لا يعني الانفصال وإنما يعني الحنين إلى وطن مفقود ، لأن باعث النسيب الأول يمكن أن يكون حبيبة راحلة أو وطناً مفقوداً(٥١) .

---

(٥٠) انظر د . موسى ربابعة : اتجاهان من اتجاهات المستشرقين الألمان في ساول الشعر الجاهلي ، بحث مقبول للنشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .

(٥١) د . نوري حمودي القيسي : وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، مؤسسة دار الكتب ، جامعة الموصل ، ١٩٧٤ ، ص ٩ – ١٠ ود . عبده بدوي : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة ، ص٢٧ . ود . محمد النويهي : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقديمه ج١/١٥٢ . ود . عبد الرزاق خشروم : الغربة في الشعر الجاهلي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٢ ، ص٢٤٤ ود . محمود عبد الله الجادر : شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٢٥٦ – ٢٥٧ . ود . سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، ص١٤١ . ومطاع صفدي وايليا حاوي : موسوعة العشر العربي ، ص٤١ .

وثمة أمر آخر ينبغي الاشارة إليه في كيفية فهم مولر للنسيب إذ إنه ربط الاقفار والخلاء من الديار بمفهوم الاقفار والخلاء في التوراة ، حتى إن هذا الرأي قاد مولر إلى أن يرى الأطلال في معلقة لبيد مجدبة لكنه لم يلتفت إلى الرغبة في الإحياء المتمثلة بقول الشاعر :

رُزِقَتْ مرابيعَ النجوم وصَـابَهَا ... وَدْقُ الرَّواعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَـامُهَـا
من كلِّ سَـارِيَةٍ وغادٍ مُدْجِنٍ ... وعشيَّـةٍ متجـاوبٍ إرْزَامُهَـا
فَعَـلا فُرُوعُ الأَيْهُقَـانِ وأطفلـتْ ... بـالجلهتيـن ظبـاؤها ونَعَـامُها
والعِيـنُ سـاكنـةٌ على أطلائها ... عُوْذاً تـأَجَّلُ بـالفضـاءِ بِهَـامُها
وجلا السيولُ عن الطلول كأنها ... زُبُرٌ تُجِـدُّ مُتُـونَهـا أقلامُهـا
أو رَجْعُ واشمـةٍ أُسِفَّ نـؤورهـا ... كِفَفاً تَعَرَّضَ فوقهنَّ وِشَامُها(٥٢)

ولأن مولر محكوم في تفسيره للقصيدة من خلال فلسفة تبليش الدينية فإنه لم ير صورة الإحياء في لوحة النسيب ، فصورة الإحياء هذه لا تعزز الانفصال عن الوطن وإنما تحفز الشاعر إلى الارتباط به . ولم تكن لوحة النسيب في معلقة لبيد هي الشاهد الوحيد الدال على الحياة وإنما هناك شواهد أخرى كثيرة ، فإذا كان الشعراء قد جعلوا المطر سبباً من أسباب الدمار والهلاك للأطلال فإنهم رأوا فيه أيضاً سبباً في خصوبتها واعادة الحياة إليها(٥٣) .

ولذلك فإن تفسير أبي ديب لمشهد الاحياء ألصق بالجو العام لمعلقة لبيد وبالشعر الجاهلي بصورة عامة(٥٤) وعلى هذا الأساس يمكن فهم السبب

---

(٥٢) ديوان لبيد : ص٢٩٨ – ٢٩٩ .

(٥٣) د أنور أبو سويلم : المطر في الشعر الجاهلي ، دار عمار ، عمان ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص١٣٣ – ١٣٥ .

(٥٤) د . محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار =

الذي جعل مولر يغفل عن ذكر عنصر الإحياء بصورة أساسية في تحليله لمعلقة لبيد .

وأخيراً حاول هذا البحث أن يقدم اضاءات عن تفسيرات المستشرقين الألمان للوحة النسيب في مقدمة القصيدة . ومما لا شك فيه أن هذه التفسيرات كشفت عن تطور نظرة هؤلاء المستشرقين للنسيب بوجه خاص وللقصيدة الجاهلية بوجه عام ، فمن سطحية النظرة والقاء التفسيرات دون الاستناد على براهين وحجج إلى تفسيرات تعتمد على النظرة الكلية للنص ، والإفادة من المذاهب الفلسفية ، ووضع القصيدة في إطارها الاجتماعي والتاريخي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

= النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص١٤٣ و د . كمال أبو ديب : الرؤى المقنعة . نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٥٩ ـ ٦٠ و د . سامي سويدان : في النص الشعري العربي مقاربات منهجية . دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩ ص٢٢٠ .

المصادر والمراجع

أ ـ العربية :

١ ـ أبو ديب ، كمال : الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٨٦ .

٢ ـ أبو سويلم ، أنور : المطر في الشعر الجاهلي ، دار عمار ، عمان ، دار الجيل بيروت ، ١٩٨٦ .

٣ ـ الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب : الأصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط٥ ،د ت .

٤ ـ بكار ، يوسف : بناء القصيدة العربية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣ .

٥ ـ الجادر ، محمود عبد الله : شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ .

٦ ـ حسن ، حسين الحاج : أدب العرب في عصر الجاهلية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ .

٧ ـ خشروم ، عبد الرزاق : الغربة في الشعر الجاهلي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٢ .

٨ ـ خليف ، يوسف : دراسات في الشعر الجاهلي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨١ .

٩ ـ سعيد ، ادوارد : الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤ .

١٠ ـ سلوم ، داود : النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٧٠ .

١١ ـ سويدان ، سامي : في النص الشعري العربي ، مقاربات منهجية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٩ .

١٢ ـ شلبي ، سعد إسماعيل : الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، مكتبة غريب ، القاهرة ،١٩٧٧ .

١٣ ـ صفدي ، مطاع وايليا حاوي : موسوعة الشعر العربي ، شركة خياط للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤ .

١٤ ـ الضبي ، المفضل بن محمد بن يعلى : المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط٦ . دت .

١٥ ـ عبد الله ، محمد حسن : مقدمة في النقد الأدبي ، دار البحوث العلمية ، الكويت ط١ ، ١٩٧٥ .

١٦ ـ العشماوي ، محمد زكي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث . دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ .

١٧ ـ عطوان ، حسين : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي . دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

١٨ ـ القيسي ، نوري حمودي : وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، مؤسسة دار الكتب ، الموصل ، ١٩٧٤ .

١٩ ـ لبيد بن ربيعة : ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق د . إحسان عباس ، ١٩٦٢ .

٢٠ ـ لقيط بن يعمر الإيادي : ديوان لقيط بن يعمر الإيادي ، تحقيق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطية ، وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٠ .

٢١ ـ مندور ، محمد : النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٢٢ ـ النابغة الذبياني : ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

٢٣ ـ النويهي ، محمد : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، دت .

٢٤ ـ اليوسف ، يوسف : مقالات في الشعر الجاهلي ، دار الحقائق ، بيروت ، دت .

ب ـ الألمانية :

1- Bantel, Otto: Grundbegriffe der literatur. Hirschgraben Verlag. Frankfurt. 1962

2- Heinrichs, Wolfhart: Arabische Dichtung und griechische poetik. Beirut. 1969

3- Jacob, Georg: Altarabisches Beduienenleben. Hildesheim, 1967

4- Jacobi, Renate: Studien Zur poetik der altarabischen Qaside. Wiesbaden. 1971.

5- Müller, Gottfried: Ich bin Labid und das ist mein Ziel. Zum problem der selbstbehauptung in der Altarabischen Qaside. Wiesbaden, 1981.

6- Nöldeke, Theodor: Beiträge zur Kenntnis der poesie der altenaraber. Hannover. 1864.

7- Wagner Ewald: Grundzüge der Klassischen arabischen Dichtung Band I. Die altarabische Dichtung. Wissenschaftliche Buchgesllschaft. Darmstadt. 1987.

٢ ـ المقالات :

أ ـ بالعربية :

١ ـ إسماعيل ، عز الدين : النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي ، مجلة الشعر العدد الثاني ، السنة الأولى ، فبراير ، ١٩٦٤ .

٢ ـ بدوي ، عبده : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة . مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، ١٩٨٤ .

٣ ـ براونه ، فالتر : الوجودية في الجاهلية ، مجلة المعرفة السورية ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، ١٩٦٣ .

٤ ـ البياتي ، عادل جاسم : رمز المرأة في أدب أيام العرب ، مجلة آفاق عربية ، العدد ، ١٢آب ، ١٩٧٧ .

٥ ـ ربابعة ، موسى : اتجاهان من اتجاهات المستشرقين الألمان في تناول الشعر الجاهلي ، بحث مقبول للنشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .

٦ ـ ستتكيفيتش ، سوزان : القصيدة العربية وطقوس العبور دراسة في البنية النموذجية ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الأول ، المجلد ٦٠ ، كانون الثاني ١٩٨٥ .

٧ ـ ستتكيفيتش ، ياروسلاف : ابن قتيبة وما بعده : القصيدة العربية الكلاسيكية والأوجه البلاغية للرسالة ، ترجمة مصطفى رياض ، مجلة فصول ، المجلد (٦) العدد (٢) ، ١٩٨٦ .

ب ـ بالألمانية :

1– Bloch, Alfred: Qaside. Asiatische studien.2.1948.

2– Heinrichs, Wolfhart: Die altarabische Qaside als dichtkunst. Der Islam. Band.51.1974.

3– Jacobi, Renate: neue forschungen zur altarabischen Qaside. Bibliotheca Orientalni.40. 1983.

4– Lichtenstädter, Ilse: Das Nasib der altarabischen Qaside. Islamica.5.1932.

5– Richter, Gustav: Zur Entstehungsgeschichte der altarabischen Qaside. Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft. 92.1938.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطبيب الرائد يحيي بن ماسويه

حياته وآثاره

الدكتور سامي خلف حمارنة

إن جذور الطب العربي ومصـادره التاريخية متعددة ، منها : أولاً حصيلة المعارف الفنية والتقنية لدى أهل البلاد من العرب ، ومن الوافدين إليها ؛ وأساليب معيشتهم ، وتطور حِرَفهم فنياً ، ونموّ خبراتهم المهنية ، والتحيل في ممارستهم هذه المهن ، سواء أكانت موروثة أم مكتسبة . وثانياً الاقتباس من الحضـارات المعاصرة أو السابقة في الشرق الأقصى والهند وفارس والسريان في بلاد الهلال الخصيب والأقباط في مصر ، والنقل عن هذه الحضارات والتفاعل معها . على أن المنبع الرئيس المستمر والمتجدد ، والمصدر الأهم الأعظم أثراً بالتـأكيد ، هو حضارة اليونان والرومان ، وما تمخضت عنه ، منذ القرن الخامس ق.م ، من عطاء ظل باقياً أكثر من ألفي عام ، تجلت قيمتها في المصطلحات الطبية ، والاشتقاقات اللغوية ، وما استنبطوا من نظريات معروفة ، دامت حتى عصرنا الحاضر .

ومن الرواد الذين أسـهموا في وضع أسس الطب العربي بأقسـامه وفروعـه العـديدة ، الطبيب النطـاسـي أبو زكريا يحيي (أو يوحَنّا) بن ماسويه ، العارف بأسرار العلاج فيه ، والمتبحر فيها ، والسبّاق إلى تطويرها ، الذي ذاع صيته بين الأطباء العرب والمسلمين ، فوردت أخباره في الكثير من تآليفهم . ثم طار ذكره العطر إلى أوروبا ، بعد أن تُرجِمَت بعض كتبه

من العربية إلى اللاتينية وإلى لغات أخرى ، منذ القرن الثاني عشر ، وبذلك صار يعد من أوائل الذين ظلت الأوساط الطبية في الغرب تعرف فضله ، وتلهج بذكره قروناً عديدة[1] .

أسرة ابن ماسويه :

لا نعرف شيئاً عن هذه الأسرة سوى أن أباه كان يدعى ماسويه ، (أبا يحيى أو يوحنّا) ، وأنه كان مسيحياً نسطوري المذهب ، وأنه كان ذا نسب متواضع ، لم يختلف إلى مدرسة معروفة ، ولم ينل حظاً من العلم . لكنه عمل ، في مقتبل يفاعته ، أجيراً في دكان للصيدلة تابع لبيمارستان مدينة جنديسابور ، وكليتها الطبية ، التي كانت فريدة في نوعها في تلك المنطقة آنذاك . وكان موقع المدينة بالقرب من الأهواز في ولاية خوزستان في الجنوب الغربي من بلاد فارس ، وقد أسسها الملك الساساني شاهپور[2] .

كان ماسويه يعمل في دق الأدوية من غير تعلّم سابق ، بيد أنه تمّرس بالمران والدربة ، فخبر سبب الأمراض وتفشيها وحسن معالجتها ، فاكتسب دراية في انتقاء الصالح من الأدوية ، وطرح الرديء منها ونبذه[3] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) بيير كيك Pierre Guigues ، « الكلمات العربية في كتاب سرابيون » ، **المجلة الآسيوية** ، باريس ، ١٩٠٥ ، المقدمة بالفرنسية ، ولويس شيخو ، **علماء النصرانية في الإسلام** ، تحقيق كميل حشيمة ، جونية ، لبنان ، ١٩٨٣ ، ص١٢ ، **ودائرة المعارف الإسلامية** ، طبعة ثانية ، ليدن ج٣ : ٨٩٦ .

(٢) أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي ، **تاريخ** ، ج١ ، بيروت ، دار صادر ، ١٥٩ ، وموفق الدين أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة ، **عيون الأنباء** ، ج١ ، طبعة بولاق ، ١٢٩٩هـ ، ص١٠٩ ، ١٧١ ـ ٧٥ .

(٣) ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٧١ ـ ٥ ، وجمال الدين علي بن يوسف القفطي ، **تاريخ الحكماء** ، طبعة مكتبة المثنى عن طبعة ليزج ، ١٩٠٣ ، ص٣٢٨ ـ ٩ .

وكانت لماسويه علاقة حميمة بآل بختيشوع الذائعي الصيت ، الذين كانوا يتمتعون بمكانة رفيعة ، فهم أصحاب البيمارستان والكلية الطبيةالآنفي الذكر ، وهم الذين كانوا يتولون إدارتهما . كما كانت لماسويه ، على ما يبدو ، صلات ودية ببيت الطبيب سرابيون ، الذي أنجب ولدين اثنين ، هما داود ويوحنا ، وكانا طبيبين أيضاً . وفي ظل رعاية هؤلاء جميعاً ، وبفضل ما كان لهم من مكانة عالية في صناعة الطب ، وإدارة البيمارستان ، وفق إلى الزواج من امرأة هناك ، أنجبت له ولدين ، هما يحيى (يوحَنّا) وميخائيل ، اللذان اشتهرا فيما بعد بالصناعة الطبية ، كما سنرى[٤] .

بقي ماسويه الأب يخدم في صيدلية البيمارستان مدةً تربو على ثلاثين عاماً ، أتقن في أثنائها صناعة الأدوية وتركيب العقاقير المتنوعة ، وتحضير الوصفات الطبية لمرضى البيمارستان وزائريه في العيادة الخارجية . كما تعلم طرق المعالجات المألوفة والنافعة بذكائه وفطنته واجتهاده ، وبات قادراً على التمييز بين النافع والضار من الأعشاب ، التي كان العطارون والعشابون يجلبونها إلى دكان الصيدلة ، فلا يصف إلا النافع منها لزبائن البيمارستان .

زد على ذلك أن ماسويه أتقن صناعة الكحالة (طب العيون)

---

(٤) سرابيون أو سرافيون الطبيب من أهل باجرمي (أو باجَرْمق إقليم يقع شرقي نهر دجلة بين جبال حَمْرين بالعراق ونهر الزاب الصغير أو الأسفل من روافد دجلة وكانت كرْكوك (كَرْخاديث سلوخ) المدينة الرئيسة وكان بين سكانها طائفة كبيرة من النساطرة (أتباع نِسْطور Nestorius بطريرك القسطنطينية عام ٤٢٨ – ٤٣١ الذي خُلع من منصبه في مجمع أفَسُس المسكوني لخلافات تتصل بالعقيدة) . واشتهر وَلَدَا سَرافيون طبيبين فاضلين في العاصمة العباسية وجميع ما ألّفه يحي بن سرافيون كان بالسريانية .

انظر أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم ، **الفهرست** ، بيروت ، طبعة دار المعرفة ، ١٩٧٨ ، ص٤١١ – ٢ ، والقفطي ، **تاريخ** ، ٣٨٠ ، ٤٣١ ، وابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٧١ – ٤ .

بالممارسة والخبرة ، ودقة الملاحظة ، وخبر أساليب معالجة أمراض العيون ومفردات أدويتها الناجعة ، فكان لهذا أثر عظيم في تقدمه العملي ، ونجاحه المهني(٥) .

كان عميد آل بختيشوع ، ورئيس البيمارستان في جنديسابور ، والمشرف على كليّتها هو جرجيس بن بختيشوع ، الذي قدم في آخر أيامه إلى بغداد ، بدعوة من الخليفة أبي جعفر المنصور ، فصار طبيب الخليفة بعد أن نال الشفاء على يديه ، وبقي في هذا المنصب حوالي أربعة أعوام ، رجع بعدها ، لكبر سنّه ، إلى جنديسابور ، مسقط رأسه ، حيث توفي سنة ١٥٢هـ/٧٦٩م(٦) .

(٥) أصيبعة ، **عيون** ، المرجع أعلاه ، والقفطي ، **تاريخ** ، ٣٢٨ — ٩ .

(٦) جيورجيس (أو جورجيس أو جرجس) الطبيب الأول المعروف من هذه العائلة يعرف بالجنديسابوري ، والمدينة نفسها كانت معسكراً كحصْن أسسها شابور الأول مؤسس دولة الساسانيين بعدما هاجم انطاكية بسورية ودَحَر الجيش الروماني وأسر الأمبراطور فاليريان (مَلَكَ ٢٥٣ — ٢٦٠م وحمله إلى فارس وسامه سوء العذاب حتى الموت تَشَفّيا ، وكان هذا إيذاناً بسقوط الأمبراطورية الرومانية الغربية . وقد اعتبرت جندي سابور أعظم وأفضل من أنطاكية . انظر ادوردجيبون (Edward Gibbon 1737 – 94) ، **تداعي الأمبراطورية الرومانية وسقوطها** ، ج١ ، طبعة ثانية ، شيكاغو ، ١٩٩٠ ، ص١٠٢ — ١٠ ، وأيضا ويل دورانت ، **حقبة الإيمان** ، نيويورك ، ١٩٥٠ ، ص١٤٣ (بالانكليزية) .

أما حفيده فهو شابور الثاني (٣٠٩ — ٧٩) الذي عمّر طويلا واستتب له الملك . أما الأعظم شهرة عند العرب فهو كسرى أنوشروان (٥٣١ — ٧٩م) ، الذي ناصَر العلوم وشجع الكلية الطبية والبيمارستان في جندي سابور ، فازدهرت هاتان المؤسستان ، وكانت لغة العلم فيهما بالسريانية ، ولكن اليونانية كانت معروفة . انظر أيضاً القفطي ، **تاريخ** ، ١٥٨ — ٦٠ ، واصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٢٣ — ٣٤ ، وباومستراك A.Baumstrak ، **تاريخ الأدب السرياني** ، بون ، المانيا ، ١٩٢٢ ، ص٢٣١ .

ثم حلّ محلّه ابنه بختيشوع ، الذي قدم أيضاً إلى مدينة السلام ، بدعوة من الخليفة المهدي لمعالجة ولده الهادي ، فنال على يده الشفاء ، وبعد ذلك قفل راجعاً إلى مدينته ، حيث كان يعمل رئيساً للبيمارستان بعد أبيه(٧) .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد قدم إلى بغداد مرة أخرى بدعوة من الوزير القدير الواسع النفوذ جعفر بن يحيى البرمكي ، وحالفه التوفيق في المهمة التي أوكلت إليه ، فولاه الخليفة رئاسة أطباء قصره ، وظل يتولى هذه الرئاسة حتى وفاته سنة ١٨٥هـ/٨٠١م(٨) .

بعد ذلك تسلّم الحفيد جبريل (أو جبرائيل) رئاسة البيمارستان ، حتى استدعاه الخليفة الرشيد ، وولاه رئاسة أطباء قصره بعد أبيه ، كما ولاه إدارة شؤون البيمارستان الأول من نوعه في التاريخ العربي الإسلامي . كذلك عمل جبريل في خدمة الخليفة الأمين ثم في خدمة الخليفة المأمون حتى وفاته سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م(٩) .

أما ماسويه فقد وقع في هذه الأثناء سوء تفاهم بينه وبين الطبيب جبريل ، فطلب إعفاءه من العمل . ثم رحل هو وزوجته وولداه إلى بغداد ، مدينة السلام ، حيث كان جبريل قد ارتحل إليها من قبل . وقد جرت

(٧) شيخو ، **مجلة المشرق** ، ج٨ (١٩٠٥) ، ص١١٠٠ – ٢ ، **وعلماء النصرانية** ، ١٩٨٣ ، ص١١١ – ٢١ ، وابن النديم ، **الفهرست** ، ص٤١٣ .

(٨) أبو الفرج غريغوريوس الملطي ابن العبري ، **تاريخ مختصر الدول** ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨ ، ص١٢٤ ، ١٣٠ – ٦ ، والقفطي ، **تاريخ** ، ص ١٠٠ – ١٠٣ ، وأيضاً أبو العبّاس أحمد بن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، تحقيق إحسان عبّاس ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٢ ، ج١ : ٣٢٨ – ٤٦ .

(٩) ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٢٧ – ١٣٨ ، وماري بن سليمان ، **أخبار بطاركة كرسي المشرق** ، تحقيق H. Gismondi ، روما ، ١٨٩٩ ، ص٧٤ – ٨٠ .

محاولات لإصلاح ذات البين بينهما على غير طائل . ثم سعى إلى التقرب من الوزير الفضل بن الربيع ، ليتولى العمل في قصره . وكان من حسن طالعه أن خادماً للوزير كان مصاباً بعلة في عينيه ، فعالجه ماسويه بمهارة وحذق ، حتى شفي على يديه . وتناهى خبر ذلك إلى سمع الوزير ، فعينه كحالاً في قصره . وبعد وفاة الخليفة الرشيد سنة ٨٠٩م ظل ابن الربيع وزيراً واسع النفوذ في عهد الخليفة الأمين .

أما في عهد الخليفة المأمون ، فقد استعفى ابن الربيع من خدمة الخليفة ، وتوفي بعد ذلك سنة ٢٠٨هـ/٨٢٤م ، وتوفي ماسويه بعده بقليل(١٠) .

أما ميخائيل، وهو ابن **ماسويه الأصغر**، فقد درس صناعة الطب وتمرس فيها بالدربة والمران ، ثم التحق بخدمة الخليفة المأمون (٨١٣– ٨٣٣م) . وكان لا يستعمل الورد المربّى ومركب السكنجبين (مركب صيدلاني هاضم ، يُعمَل من مقدارين من العسل ، ومقدار من الخلّ ، وأربعة مقادير من الماء النقي) في المعالجة إلا ممزوجاً بالعسل ، وليس بالسكّر . وكان يسير في معالجاته كلها على نهج الاغريق القدماء ، ويسلك السبل المعروفة في كتبهم اليونانية ، أو المترجمة من اليونانية إلى السريانية في ما يتصل بالغذاء أو الدواء ، سواء أكان الدواء بسيطاً أم مركباً . وقد أغدق عليه الخليفة المأمون من أعطياته ، وجعله موضع ثقته ، فكان لا يشرب دواء ولا يتناول علاجاً إلا إذا كان من تركيبه . وقد جرى سائر الناس في مدينة السلام على منوال الخليفة المأمون ، فكان ابن ماسويه موضع تبجيلهم واحترامهم وإطرائهم ،

---

(١٠) فؤاد سزكين ، **تاريخ التراث العربي** (بالالمانية) ، ج٣ ، ليدن ، ١٩٧٠ ، ص٢٢٨ – ٩ ، وكمال السامرائي ، **مختصر تاريخ الطب العربي** ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٤ ص٣٨٣ – ٩٠ ، ٤١٤ – ٦ ، وبابو إسحق ، نصارى بغداد ، ص١٧٥ – ٧٩ .

ولكنه لم يترك بعده أثراً مخطوطاً ، على ما نعلم(١١) .

حياة يحيى بن ماسويه وفضله :

أما أبو زكريا يحيى (أو يوحَنّا) بن ماسويه ، فهو أعظم أفراد أسرة ماسويه وأكثرهم ابداعاً وأوسعهم شهرة ، كما أسلفنا . وقد ولد في جنديسابور حوالي سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م ، ونشأ فيها وترعرع ، ثم عكف على دراسة مهنة الطب في كليتها الأكثر عراقة في ذلك الزمان ، الواقعة بجوار البيمارستان الآنف ذكره . وحين رحل أبواه إلى بغداد رحل معهما هو وأخوه الأصغر ميخائيل ، لمتابعة دراسة صناعة الطب والمران فيها ومطالعة المفيد من كتبها . وقد قام ميخائيل على خدمة الخليفة المأمون باخلاص وتفوق ، كما أسلفنا(١٢) .

أما يحيى بن ماسويه فقد تميز باجتهاده وذكائه الوقاد ، وفاق أترابه علماً ومهارة في عهد الخليفة الرشيد والخليفة الأمين . ثم طار صيته ولمع نجمه في أواخر عهد الخليفة المأمون . وكان ابن ماسويه يلمّ بطرف من اليونانية والفارسية ، وكان يجيد السريانية لغة أمه ، كما كان معروفاً بإتقانه العربية ، فكانت تآليفه كلها بلغة الضاد . ولتضلعه من هذه اللغة فقد أجاد في شرح بعض مشتقاتها الطبية ، ومصطلحاتها في الأمراض والأدوية والأغذية . ولذلك عيّنه المأمون في إدارة مؤسسة بيت الحكمة للاستفادة

---

(١١) القفطي ، **تاريخ** ، ص٣٢٨ ، وأصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٨٣ – ٤ ، وشيخو ، **علماء** ، ص٢١٠ – ٣ ، وابن خلكان ، **وفيات** ، ٢ : ٢٩٤ – ٩ ، ٤ : ٣٧ – ٤٠ .

(١٢) فؤاد إفرام البُسْتاني ، **دائرة المعارف** ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ٤ : ١٣ ، وكارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ليدن ، بريل ، ١٩٣٧ ، ١٩٤٣ ، ج١ : ٢٦٦ ، وملحق ١ : ٤١٦ – ٧ .

من علمه ، ولا سيما في مجال المهن الصحية وفي النقل والترجمة والبحوث النافعة[١٣] .

ومن المعروف أنه كانت تنعقد بانتظام مجالس في قصر الخليفة ، وكذلك في قصور ذوي الشأن في الدولة ، يلتقي فيها العلماء والأطباء والفقهاء ، يدور الحديث والحوار فيها حول موضوعات متنوعة من البحوث ، وتنعقد فيها مناظرات رفيعة المستوى بحضور الخليفة وإشرافه ، بل ومشاركته ، في جو ودي مفتوح ، يتعاونون فيه جميعاً على معرفة الحقائق العلمية والأدبية ، ويهدفون فيه إلى التعلم أو الإرشاد وكثيراً ما دارت في هذه المجالس مناقشات حول عدد من المسائل ، وكانت هذه المناقشات سبباً في ظهور تآليف عديدة ، أو حافزاً لكتابة مقالات قيمة ، تقدم أجوبة تنير البصر والبصائر حول الكثير من هذه المسائل . وغاية ذلك كله النفع العميم ، وتنمية المعرفة ونشرها في الأوساط العلمية . وبذلك ارتفعت منارات العلم ، وعلا شأن العلماء ، واتسع نطاق الإبداع الفكري وسما ، في مجتمع متقدم علمياً وتقنياً وفنياً واقتصادياً وعمرانياً ، إلى أرقى مستوى[١٤] .

في ظل هذا الازدهار والتقدم العلمي ، ولا سيما في مجال العلوم

---

(١٣) أبو داود سليمان بن حسّان بن جلجل ، **طبقات الأطباء والحكماء** ، تحقيق فؤاد سيّد ، القاهرة ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥ ، ٦٤ ـ ٦٦ ، وعمر رضا كحّاله ، **معجم المؤلفين** ، ج١٣ ، دمشق ، ١٩٦٠ ص٢٦٣ ـ ٤ ، وخير الدين الزركلي ، **الأعلام** ، ج٩ ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ، ٢٧٩ ، وسعيد الديوهجي ، **بيت الحكمة** ، الموصل ، دار الكتب ، ١٩٧٢ ص٣١ ـ ٩ and M.G.Balty – guesdon, «Le Bayt al – Hikma de Baghdad » Arabica , 39 (1992) 50 – 131

(١٤) الملطي ، **تاريخ** ، ص١٢٨ ـ ٦٢ ، وفيليب حتي ، **تاريخ العرب** ، لندن ، مكملان ،١٩٦١ص٣٠٢ ـ١١(بالانكليزية) ،واليعقوبي **تاريخ** ، ج٢ : ٤٠٧ ـ ٩٢ .

الطبية ، كان لا بد من تطور مماثل في أساليب التعليم المهني والتدريس التخصصي في هذه العلوم . إننا نعلم من وثائق معاصرة أن الطبيب الحكم الدمشقي (المتوفى حوالي سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م) كان له تلاميذ وأتباع ، يتمرنون ويتدربون على يديه ، ويمارسون المعالجات الطبية اليدوية من فصدٍ ، وحجامة ، وجبر للعظام وغير ذلك من الاحتيالات الجراحية . غير أن هذه الاحتيالات وتلك المعالجات كلها كانت ، على ما يبدو ، مفتقرة إلى الدراسات الأكاديمية المنتظمة ، وخالية من التركيز على التعليم المنهجي(١٥) .

في هذه الأثناء قام ابن ماسويه بتأسيس كلية طبية خاصة ، كانت الأولى من نوعها في التاريخ العربي الإسلامي ، تولى التدريس فيها لعدد كبير من الطلبة ، والإشراف على تقدمهم العلمي والأكاديمي . وبذلك مهّد السبيل لنشوء كليات أخرى مماثلة بعدها ، في مراكز ومدن عربية وإسلامية عريقة ، من دمشق والقاهرة وقرطبة ، إلى الري وبخارى وسمرقند . ونذكر من الطلبة ، الذين أخذوا وتتلمذوا على ابن ماسويه ، طالبين اثنين ، لمع نجمهما ، وعلا شأنهما بعد ذلك(١٦) ، أولهما الطبيب الترجمان أبو زيد

---

(١٥) غورلت Ernst I. Gurlt ، **تاريخ الجراحة** ، ج١ ، برلين ، ١٨٩٨ ، ص٦١٨ – ٦٢٤ ، وسامي خلف حمارنة ، **تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين** ، عمان اربد ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص١٢١ – ٢ ، و« الطبيب عيسى بن الحكم الدمشقي ورسالته الهارونية » **بلاد الشام في العصر العباسي** ، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ، تحرير محمد عدنان البخيت ، عمان ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢ ، ج١ : ٥٤٠ – ٥٥٥ .

(١٦) « التثقيف الطبي في العصر الذهبي » ، الموسم الثقافي لعام ١٩٨٥/٦ ، تحرير ع . عطيات ، جامعة اليرموك ، أربد ، ١٩٨٨ ص٦٥ – ٧٨ ، وسامي حمارنة ، « مناهج العلوم الطبية » **القدس الشريف** ، العدد الستون ، ١٩٩٠ ، ص٦١ – ٧٤ . **وتاريخ تراث** ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص١٣٦ .

حنين بن إسحق العِبادي (المتوفى في بغداد سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م) ، الذي بدأ دراسة الطب على يد ابن ماسويه ، ولكنه استخف به في أول الأمر ، ونبذه من مجلسه في الكلية لالتباس في الفهم وقع بينهما . وعلى الأثر رحل ابن اسحق ، وتغرب في بلدان كثيرة ، سعياً إلى المزيد من العلم والخبرة ، وإلى إتقان لغة الإغريق ، واجتهد في ذلك حتى أجادها إجادة تامة . وفي أثناء رحلته زار المكتبات ، وقرأ المخطوطات الطبية بإمعان ، وجمع منها الكثير وأفاد ، حتى فاق طائفة المترجمين من أترابه مقدرة ومهارة ، فانتدبه الخلفاء لترجمتها ، والإشراف على نشرها ، فنقلها في أحسن أسلوب وأدق تعبير ، حتى صار يعدّ من أول واضعي المصطلحات الطبية العربية ، « وما زال أمره يقوى ، وعلمُه يتزايد ، وعجائبه في النقل والترجمة والتفاسير والتآليف تظهر ، حتى صار ينبوعاً للمعرفة ومعدناً للفضائل » ، متمسكاً بآداب المهنة ، رافعاً من شأنها . فهرع الأطباء وطلبة العلم يقبسون من ترجماته ، ويتلقفون تآليفه وعلومها ، حتى إن معلمه ابن ماسويه سارع إلى الاستفادة من حكمته ، واعتذر له عما بدا منه ، ودعاه بالابن الرشيد ، وسعى إلى الارتباط به برباط وثيق من المحبة الصادقة والنوايا الصافية[١٧] .

أما الطالب **الثاني** فكان إبراهيم بن عيسى (المتوفى في فسطاط مصر سنة ٢٦٠هـ/٨٧٢م) ، الذي غدا الطبيب الخاص للأمير أحمد بن طولون ، عندما كان قائداً للجيش في بلاد الشام ، وكذلك بعد تأسيس الدولة الطولونية ، التي كانت تضم قسماً كبيراً من بلاد الشام إلى جانب

---

(١٧) حمارنة ، **تاريخ تراث** ، المرجع أعلاه ، ١٩٨٦ ، ص١٦١ – ٥ ، **وفهرس المخطوطات** في المكتبة البريطانية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص٣٥ – ٤٠ ، ولوسيان لوكلير L.Leclerc ، **تاريخ الطب العربي** ، ج١ (طبعة الرباط ، ١٩٨٠) ، ص١٣٩ – ٥١ ، والقفطي ، **تاريخ** ، ص١٧١ – ٤ .

مصر أيضاً(١٨) .

لقد اجتمعت لدى يحيى بن ماسويه ، عبر دراساته الواسعة ، وخبرته العملية والموضوعية ، مهارة في العمل ، وفصاحة في البيان ، وحسن في المحاضرة ، وبلغ في ذلك كله شأواً بعيداً لم يبلغه أحد من معاصريه ، ولا سيما في مضمار نقل تراث الإغريق القدماء . لذلك كَثُر حساده ، وكَثُرت حملاتهم على آرائه وتعليمه . فانبرى الأطباء اللامعون من آل بختيشوع للدفاع عنه ، فأبرزوا إنجازاته المشرّفة ، وأقروا بافحامه خصومه بطلاوة حديثه ، وحسن معشره ، وحجته المقنعة في شؤون الطب والمنهج والأصول الصحية الناجعة(١٩) .

لقد نجح ابن ماسويه في ممارسة الطب ، فسلّمه الخليفة المأمون إدارة بيمارستان بغداد مدة من الزمن . لقد كان بيمارستان بغداد شيئاً عظيماً بالقياس إلى بيمارستان جنديسابور ، الذي لم يكن إلا نموذجاً غير متكامل ، والذي اقتصر في إدارته وعوّاده على فئة من المشرفين عليه والآوين إليه . أما بيمارستان مدينة السلام ، الذي تأسس في مطلع القرن التاسع الميلادي ، والذي قام بتنفيذ عربي ، وتخطيط إغريقي – سرياني ، وترويج فارسي – هندي(٢٠) ، فهو يعدّ بحق أول مصحّ من نوعه يماثل المشافي ودور الشفاء

(١٨) إبن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج٢ : ٨٣ ، وشيخو ، **علماء** ، ١٩٨٣ ، ص٣٩ ، ولوكلير ، **تاريخ** ، ١ : ١٨٢ ، وابن خلكان ، **وفيات** ، ج١ : ١٧٣ – ٤ .

(١٩) القفطي ، **تاريخ** ، ص٣٨٠ – ٨ ، وابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٧٥ – ٨٣ ، وابن صاعد الأندلسي الطليطلي ، **طبقات الأمم** ، ص٣٦ ، وجورج غراف G.Graf ، **تاريخ** ، ج٢ (الفاتيكان – روما ، ١٩٤٦) ، ١١٣ – ٤ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، ليدن ، الطبعة الثانية ، ج٣ : ٨٩٦ – ٧ .

(٢٠) حمارنة ، « البيمارستانات ، وأصول التعليم الطبي فيها » ، **الفكر العربي** ، السنة الثامنة ، العدد ٤٩ ، كانون الأول (ديسمبر ، ١٩٨٧) ، ١٢١ – ٣٤ ، and «Vistas» Hamdard Medicus, Vol.32, n03, p.12 – 15.

العصرية ، لاتصافه بالصفات الأساسية الثلاث ، التي تتصف بها المشافي الحديثة ، وهي :

أولاً : كونه مركز دار شفاء ، يعنى بالمرضى جسمانياً ونفسانياً ، وهدفه الأساسي إعادة المريض إلى صحته وعافيته ، بالوسائل العلمية والمهنية من عناية طبية ومعالجات ورعاية ناجحة .

ثانياً : كونه مركزاً يرحب بزواره من مختلف الفئات الاجتماعية ، بغض النظر عن الجنس أو المذهب أو الطبقة أو العنصر ، ويعاملهم جميعاً معاملة حسنة وعلى قدم المساواة ، فيكلؤهم بالرعاية الطبية الصحيحة دون تمييز ولا إجحاف .

ثالثاً : كونه مركزاً صحياً للتمرين الطبي والتعليم والتعلم ، تتوافر فيه وسائل نشر البحوث الطبية وتشجيعها ، ويقدم العون والرعاية المهنية للباحثين ، وتعقد فيه المحاضرات والندوات والمناقشات حول تطوير العلوم الطبية وتنشيطها ورفع مستواها ، ودفع الخدمات الصحية قدماً إلى الأمام ، علمياً وأخلاقياً وتقنياً وإدارياً ، وفي مختلف الحقول[٢١] .

وقد أفاد الطبيب والمحدّث أبو الحسن يوسف بن إبراهيم بن الداية عام ٢١٥هـ/٨٣٠م، أن هارون الرشيد (تولى الخلافة من ٧٨٦ – ٨٠٩) هو الذي أمر بإنشاء هذا البيمارستان . قال ابن الداية : « أمرني الرشيد باتخاذ بيمارستان ، فأحضرت دَهِشْتَكَ من بيمارستان جنديسابور لتقليده زمامه ، فامتنع عن ذلك » . فاستلمه آخرون . ثم إن ابن ماسويه ولي هذا البيمارستان أيضاً في عهد المأمون ، كما أسلفنا ، وبتشجيع من جبريل بن

---

(٢١) القفطي ، **تاريخ** ، ص٣٨٣ – ٤ ، وأصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٧١ – ٢ ، وحمارنة ، « تاريخ مهنة التمريض » ، العدد ٥٥ ، السنة الرابعة ، ١٩٨٩ ، ص٦٣ – ٩ .

بختيشوع ، وربما كان لماسويه الأب ضلع في هذا الأمر ، مع أنه فضل ، على ما يبدو ، البقاء في خدمة الوزير ابن الربيع(٢٢) .

ومن الأطباء الذين ناصروا ابن ماسويه سلمويه بن بنان (المتوفى سنة ٨٤٠م) ، الذي عمل طبيباً للمأمون ثم للمعتصم ، الذي كان الأكثر رعاية له . وكان سلمويه والعبادي يقدران كلاهما علم ابن ماسويه الغزير وخبرته واطلاعه الواسع على مآثر قدماء الإغريق وتزوده من مهاراتهم ومعارفهم وأساليب معالجاتهم . فقد أفاد منهم ، على سبيل المثال ، أن المريض المصاب بحمى وارتفاع في الحرارة الغريزية تجب معالجته بالأدوية والأغذية الباردة ، وبالعكس يعالج برود أطراف المريض بالمعالجات الحارة(٢٣) .

وفي العام ٢٢٣هـ/٨٣٨م أحرز جيش المعتصم انتصاراً حاسماً على جيوش البيزنطيين في بلاد الأناضول في آسيا الصغرى ، واحتل عمورية وأنقرة والمدن المجاورة . وقد نقل معظم المخطوطات اليونانية الموجودة في مكتباتها إلى العاصمة العباسية بغداد ، وأودعت في بيت الحكمة ، ليستفيد منها العلماء والأطباء ، ولكي تترجم إغناء للعلم والمعرفة . وقد عين ابن ماسويه أميناً على ترجمتها(٢٤) .

---

(٢٢) **المرجع أعلاه** ، رقم ٢١ ، وحمارنة ، « البيمارستانات » ، **مجلة الفكر العربي** ، ١٩٨٧ ، ص١٢٥ ؛ « والتثقيف الطبي » ، **الموسم الثقافي لعام ١٩٨٦** ، جامعة اليرموك ، اربد ، ١٩٨٨ ، ص٦٨ – ٦٩ .

(٢٣) القفطي ، **تاريخ** ، ٢٠٧ – ٨ ، ٣٨٣ – ٥ ، وشيخو ، **علماء** ، ١٧٠ – ٢ ، والراغب الاصفهاني ، **محاضرات الأدباء ومحاورة الشعراء** ، بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٤هـ ج١ : ٢٦٣ .

(٢٤) ابن جُلجل ، **طبقات** ، ص٦٥ – ٦ ، أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٦٧ – ٧٥ .

وقد جرى المعتصم على نهج أسلافه الرشيد والأمين والمأمون ، فجعل قصره ندوة يجتمع فيها الفقهاء والأطباء وأهل العلم ، فيتداولون في سبل الحكمة والسعي إلى الحقيقة ، ويتناقشون في شؤون الدين والعلم والأدب . وكان ابن ماسويه ذكياً ذا فكاهة ودعابة ،سواء في الجد أو في الهزل . وذات مرة كان يتحدث في مجلس العلماء في قصر الخليفة في شؤون الطب ، فأعلن أنه لا يجد مانعاً يمنعه من القيام « بتشريح جسم ابنه » ، الذي كان في طبعه ، خلافاً لأبيه ، بلادة وتخلف عقلي ، وذلك على نحو ما كان يفعل الطبيب الفيلسوف جالينوس (١٣٠ — ٢٠١م) ، الذي « كان يشرّح الناس والقرود » ، وليعرف بتشريحه أسباب بلادته ، فيريح الناس من سماجته ، ويكسب أهل صناعة الطب مما يتم اكتشافه « من تركيب بدنه ومجاري عروقه وأوردته وأعصابه علماً ، ولكن السلطان يمنع ذلك » .

ومما يروى من نوادره « أن رجلاً شكا إليه علّة كان شفاءه منها الفصد ، فأشار عليه به » ، فقال الرجل : « لم أعتد الفصد . فقال له يوحنا ولا أحسب أحداً اعتاده في بطن أمه ، وكذلك لم تعتد العلّة قبل أن تعتلّ ، وقد حدثت بك ، فاختر ما شئت »[٢٥] .

وقد ازداد نجم ابن ماسويه سطوعاً ولمعاناً في الأعوام الخمسة من حكم الخليفة الواثق (٨٤٢ — ٨٤٧م) ، الذي كان « مشغوفاً ضنيناً به » ، يغدق عليه المال ويرفع من شأنه ومكانته . وكان مجلس ابن ماسويه أعمر المجالس في العاصمة العباسية في زمانه ، سواء أكانت مجالس للأطباء ، أم لعلماء الكلام ، أم للفلاسفة . كان يجتمع في مجلسه أكثر أهل العلم فضلاً ورفعة . وكان خفيف الظل كثير الدعابة والطرافة ، وقد أقبلت الدنيا

---

(٢٥) القفطي ، **تاريخ** ، ص ٣٨١ — ٩١ ، وأصيبعة ، **عيون** ، ١٧٥ — ٦ .

عليه حتى صار نديم الخلفاء وسميرهم ، حتى غمرته السعادة ، فنال منها ما لم يبلغه أمله .

« وكان ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضرة ابن ماسويه . وكان يقف على رؤوسهم ومعه البَراني (الخزفية) بالجوارشنات (أو الجوارشات ، مركبات صيدلانية معاجين علاجية تحوي مواد عطرية تعجن مع العسل أو الشراب لتكون بشكل الحلويات ، وتعرف باللاتينية باسم electuaries) الهاضمة المسخّنة الطابخة المقوّية للحرارة الغريزية في الشتاء ، وفي الصيف الأشربة الباردة منها . وكان معظماً ببغداد ، جليل القدر. وله في الطب أسرار (ونوادر وفصول طبية) خلّدها الناس لنفعها ». وعرف الناس فضله لمهارته وحسن أدائه في التأليف والعلاج ، واعتبروه في مصاف الأطباء القدماء (الإغريق) النابهين ، كأبقراط وجالينوس[٢٦] .

وقد خدم ابن ماسويه في آخر أيامه ــ وكان قد طعن في السن ــ الخليفة المتوكل في سامراء ، وتوفي فيها في ٤ جمادى الآخرة سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م ، حسب ما ذكر ابن أبي أصيبعة . ويكون بذلك قد عاصر الرشيد والأمين في أول شبابه ، وتولى رئاسة الطب في قصور الخلفاء الأربعة ، من المأمون حتى المتوكل . ولم يحظ بمثل هذا الشرف أحد من قبل ، علاوة على أفضاله العلمية العظيمة ، مع أن بدايته كانت بسيطة ، ونسبه كان متواضعاً ، ولكنه باجتهاده المتواصل ، وذكائه الخارق ، ودعابته المرحة ، وتآليفه ذات النفع العميم ، خلّد ذكره ، وتعطرت سيرته ، وطبقت

(٢٦) وستنفيلد=F.Wüstefeld ، **تاريخ أطباء العرب** ، غوتنغن ، ١٨٤٠ ، ص٢٣ ، وسارتون G.Sarton ، **مقدمة في تاريخ العلم** ، طبعة دوبرت كريغر ، نيويورك ، ١٩٧٥ ، ج١ : ٥٧٤ .

سمعته الآفاق[٢٧] .

ولا يفوتنا ، استكمالاً للحديث عن سيرة ابن ماسويه وحياته ، أن نلفت النظر إلى التقارير والمخطوطات والوثائق ، التي كتب معظمها باللاتينية وبعضها بلغات غربية أخرى ، والتي تتحدث عمن يسمونه ابن ماسويه الثاني ، أو الأصغر (Mesuë The Younger) وابن ماسويه الثالث (Third Mesuë) من القرن الثاني عشر أو القرن الثالث عشر الميلادي ، في أرجح الظن . أما ماسويه المعروف بالأصغر فهو الماردين (من بلدة ماردين في الأناضول بآسيا الصغرى ، وهي مسقط رأسه) ، فقد عاش في مدينة السلام ، حيث ذاعت شهرته في صناعة الطب . ودخل بعد ذلك في خدمة الحاكم بأمر الله الفاطمي بالقاهرة ، حيث توفي سنة ١٠١٥م . على أننا لا نعرف له أي أثر مخطوط بالعربية ، وكل آثاره ، التي ذكرها علماء الغرب ، هي باللغة اللاتينية ، وربما كان بعضها مترجماً إلى العبرية أيضاً على يد الطبيب الكابوي صموئيل بن يعقوب (Capua, ca. ١٢٧٥) . وبعض هذه المؤلفات يقع تحت العناوين التالية باللاتينية (مع بعض الشرح) :

١) كتاب في الأدوية المسهلة والمقيئة = 1) De medicinis Laxatives

٢) كتاب الكافي في الطب مع المعالجات النافعة = 2) De consolatione medicinarum et correctione operationum earundem

٣) في أسباب الأمراض المألوفة وعلاجها = 3) De egritudinibus

---

(٢٧) أمين خير الله ، **أفضال العرب في الطب** ، بيروت ، ١٩٤٦ (بالانكليزية) ، ص١٠٣ – ٦ ، لوكلير ، **تاريخ** ، ١ : ١٠٥ – ١٠ ، وكامبل D.Campbell ، **تاريخ الطب العربي** ، لندن ، ١٩٢٦ ، ج١ : ٦٠ – ١ .

4) Antidotarium sive grabadin medicamenturum compositurum, Known as the (pharmacopoeorum evangelista) ascribed to its translation by Arnold of Villanova completed shortly after 1308 =

٤) كتاب في الأدوية البسيطة والمركبة ، المعروف باسم « الدستور الأساسي في تحضير العقاقير الطبية » ، نسبة إلى ترجمته التي قام بها الطبيب الكيميائي والمنجّم أرنولد الفيلانوفي ، وفيلانوفا بلدة تقع بالقرب من بولونيا بايطاليا ، مع أن هذا الطبيب المنجم مولود بالقرب من بلنسيه بالأندلس ، بعد استيلاء الاسبان عليها .

كما أن له كتابات حول تقطير النباتات الطبية العطرة ، وكتاباً **في التشريح والجراحة** باللغة اللاتينية أيضاً ، وإن كان بعضها قد ترجم إلى العبرية على أيدي فرج بن سالم ويعقوب بن يوسف اللاوي (أو الهاروني) ، في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي . غير أن هذه الكتابات كلها لا أثر لها في العربية ، ولا يوجد أي ذكر لها في أي مرجع يشير إلى أنها كتبت بلغة الضاد ، أو أن لها صلة مباشرة بالحضارة العربية الاسلامية الأصيلة ، لذلك نصرف النظر عنها ، لأنها لا تعتمد على أصول صحيحة ومعروفة(٢٨) .

آثار ابن ماسويه :

كل ما كتبه ابن ماسويه ، أو كل ما هو معروف مما كتبه ، يبحث في الطب ، وفي العلوم الصحية المساندة . فنشاطاته العلمية والمهنية كلها كانت مكرّسة لخدمة هذه الصناعة الشريفة . وكان ابن ماسويه من خيار

(٢٨) جورج سارتون ، **مقدمة** ، ج١ : ٥٧٤ ، ٧٢٧ ، ج٢ : ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٢ ـ ٤ ، ٢٣٧ ، ٣٤٣ ، ٥٢٢ ، ٨٥٤ ، ٨٩٣ ـ ٩ ، وغورلت ، **جراحة** ، ٢ : ٦٦٣ ـ ٩ ، ونيوبرغر Max Neuburger ، **تاريخ الطب** ، بالألمانية ، ج٢ (١٩١١) ص٢٢٦ ـ ٧ وشولان Ludwig Choulant ، **تاريخ علم التشريح** ، ليبزج ، ١٨٤١ ، ص٣٥٤ ـ ٨ .

الذين مثلوها في زمنه أفضل تمثيل ، سواء في قصور الخلفاء ، أو المراكز العلمية المعتبرة ، أو في البيمارستان والكلية ، أو بين العلماء والأطباء ، أو عند عامة الشعب . وإن هذا التخصص في المهارات الطبية ، والالتزام به التزاماً كاملاً ، لأمر يدعو إلى الاعتزاز والفخر . لقد ملأ ابن ماسويه بنشاطه فراغاً ، كان لا بد من ملئه ، في عصر كعصره متفتح للحق والنور ، وهو العصر الذهبي الذي عرفته الحضارة العربية الإسلامية العريقة ، وهي في أوج نهضتها وانطلاقها ، وبزّت فيه الحضارات المعاصرة لها في ذلك الزمان قاطبة . زد على ذلك أن عباقرة علماء العرب والمسلمين كالكندي والفارابي وابن سينا والبيروني ، على سبيل المثال ، لم يحصروا نشاطهم في حقل واحد كما فعل ابن ماسويه ، بل تعدّوه إلى حقول كثيرة ومتنوعة الجوانب : من طب وفلك ، إلى رياضيات وعلم اجتماع[٢٩] .

وها نحن نعرض باختصار أهم تصانيف ابن ماسويه المحققة ، أو التي لا تزال مخطوطة تنتظر الشرح والتحقيق ، أو المترجمة إلى لغات أخرى .

أ ـ كتاب في جواهر الطيب المفردة : حول العقاقير الطبية العطرة (العطرية) الرائحة ، وأسمائها ووصفها والتعريف بمنافعها وفوائدها الدوائية والتجميلية ، والأفاويه والتوابل ومنابتها . ومنها مخطوطات معروفة : مخطوطة في مكتبة برنستون في نيوجرزي بأمريكا ، في مجموعة قاربت تحت رقم

---

(٢٩) انظر **رسالة التنبيه على سبيل السعادة** ، لأبي نصر محمد الفارابي (المتوفى بدمشق حوالي ٩٥٠م) ، تحقيق سحبان خليفات ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٧ ، ص١٩ ـ ٥٠ ، وسارتون ، **مقدمة** ، ج١ : ٦٢٨ ـ ٩ ، وحمارنة ، **تاريخ تراث** ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص١٤٦ ـ ٥٥ ، **وفهرس المخطوطات في المكتبة البريطانية** ، ١٩٧٥ ، ص٤٠ ـ ٤٢ ، ٩٣ ـ ٩ ، **كتاب الجماهر مع معرفة الجماهر** ، مقدمة بالانكليزية ، همدرد ، ١٩٨٨ ، ص٣ ـ ٩ .

٢/٢١٥٤ ، تمّ نقـلـهـا عام ٥٩٠هـ/١١٩٤م ، ومخطوطة بدار الكتب بالقاهرة ، وأخرى في طهران ، ملك رقم ٦/١٥٦٩ ، في ست ورقات ، نقل القرن ١١هـ/القرن ١٧م[٣٠] .

قام بتحقيق هذا الكتاب بول سباط ، تحت عنوان بالفرنسية في مجلة معهد مصر = (Bullet. de L'Institut d' Egypte) ، ج١٩ ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٥ – ٢٧ . وكذلك Martin Levey, «I. Mäsawayh and his treatise on simple aromatic substances», Jour. Hist. of Med. and Allied Sciences, 16 (1961), 394 – 410 .

ب – كتاب ماء **الشعير** : مقالة صغيرة ، توجد مخطوطة منها بالقاهرة ، وأخرى بالجزائر تحت رقم ٢/١٧٤٦ق٧٦ – ١١٣ ، نقل القرن ١٠هـ/١٦م ، قام بول سباط بتحقيقها أيضاً ، وفي المجلة نفسها بالقاهرة ، ج٢١ (١٩٣٩) ، ص١٣ – ٢٤ . ومما يؤكد أصالة هذه المقالة أن الرازي أتى على ذكرها في كتاباته .

وقد سبق للغريق أن كتبوا في هذا الموضوع ، ضمن الكتابات الابقراطية ، كما أن جالينوس نوّه بفائدة هذا العلاج . وأول من أشار إلى هذا الموضـوع بدقـة واهتمام من الأطبـاء العرب ، طبيب معاصر لابن ماسويه ، ولكنه أكبر سنّاً منه ، هو أبو الحسن الدمشقي ، وذلك في **رسالته الهارونية** ، التي أنجزها حوالي عام ٨٠٧م في مدينة السلام ، قبل أكثر من ثلاثين عاماً من كتاب ابن ماسويه الموسّع ، والأكثر توضيحاً وشمولاً في

(٣٠) سزكين ، **تاريخ** ، ٣ : ٢٣٣ – ٤ ، أولمان Manfred Ullmann ، **الطب في الإسلام** ، ليدن ، بريل ، ١٩٧٠ ، ١١٢ – ٥ .

الوصف والعلاج[٣١] .

ج ـ **كتاب الأزمنة** : في علاقة الطب بعلم التنجيم ، المعروف منذ زمن البابليين وقدماء المصريين . وقد أشارت إلى ذلك الكتابات الأبقراطية الإغريقية ، في **كتاب الأهوية والمياه والأماكن** ، في ثلاث مقالات حول المياه والمناخ والأمزجة والفصول حسب الأمكنة طبياً وجغرافياً وتاريخياً ، وعلاقة ذلك بانتشار الأمراض ، وأثره في جسم الإنسان . توجد منه مخطوطة في القاهرة ، وبُرْصة في تركيا في مجموعة رقمها ١/٧٢٩ق١ ـ ١٧ ، نقل القرن ٥هـ/١١م. وقد ذكرها هلموت ريتر (H. Ritter) في **مجلة الشرق** (Oriens) ، ج٣ (١٩٥٠) ، ص١٠٣ ، وفي الاسكندرية بالمكتبة الأهلية ، رقم ٢/٣٣٢٨ في مجموعة متأخرة النقل ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م ، حققها بول سباط في **المجلة المصرية** ، ج١٥ (١٩٣٣) ، ص٢٣٥ ـ ٢٥٧ . كما ذكرها الرازي تحت عنوان **تدبير الأزمنة**[٣٢] .

د ـ **دَغَل العين** : فحص هذا الكتاب الصغير الحجم ، الحاوي على ٤٧ باباً مختصراً ، أ.د. نشأت الحمارنة ، وما يرهوف وآخرون ، فاعتبروه أقدم كتاب تعليمي مستقل في طب العيون جرى تصنيفه بلغة الضاد . أما باليونانية ، فقد نشر ديمو سثينيس فلاليثيس (Demosthenes Philalethes) في زمن دِيُسْقوريديس (Dioscorides) حوالي العام ٦٤م ، كتاباً هاماً في طب العيون ، ولكنه مفقود . لذلك يحق لنا اعتبار كتاب ابن

---

(٣١) « عيسى بن الحكم الدمشقي (المتوفى عام ٨٤١م) ، ورسالته الهارونية » **بلاد الشام** ، ص٥٧٧ ، وذكره ابن أبي اصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٨٣ .

(٣٢) ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٨٣ ، وسزكين ، **تاريخ** ، ٣ : ٢٣٤ .

ماسويه أقدم ما هو موجود ومحقق في هذا الموضوع في تاريخ طب العيون ، يليه كتاب **عشر مقالات في العين** لتلميذه أبي زيد حنين بن إسحاق العبادي (٨٠٩ – ٢٧٣) .

ويتميز أسلوب **دَغَل العين** بالأصالة والحيوية ، ومن مزاياه التعريف بأحوال المريض الصحية للتثبت من معالجته . وقد اعتمد المؤلف في اقتباس المصطلحات الطبية على الترجمة من اللغات السريانية واليونانية والفارسية ، وقد أحسن الترجمة ، وكذلك في تشريح العين وأمراضها ومعالجتها . وكان أول من وصف مثلاً مرض السبل المتكوّن من أوعية دموية تظهر على القرنية بسبب الحَثَر (أو الحفر ، أو الرمد الحبيبي ، وباليونانية التراخوم لخشونتها) .

ومن المعتقد أن الكتاب عرف في الغرب ، فقد ترجمه **قُسطَنطين** الأفريقي (المتوفى سنة ٤٨١هـ/١٠٨٧م ، في مونتي كاسينو بايطاليا) ، وعرّف به بتفصيل أكثر بروفر و مايرهوف (.C. prüfer and M Meyerhof,1916) في **مجلة الإسلام** الألمانية ، ج٦ ، ص٢١٧–٢٥٦ ، وكذلك باغل(,I. Pagel, Die angebliche chirurgie de I.Mesuë Berlin, Hirschwald,1893) . أما بالعربية فالكتاب نادر الوجود ، ذكره سباط في فهرسته (١ : ١٩ ، رقم ٩٧ بحلب) ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في القاهرة ، طب تيمور رقم ١٠٠ (ق١ – ٩) ، وفي مخطوط **الكنّاش المشجرّ الكبير** (الباب ٢٧) فصل حول أمراض العين ومعالجتها ، وسيأتي شرح ذلك[٣٣] .

(٣٣) نشأت الحمارنة ، **تاريخ أطباء العيون العرب** ، دمشق ، ص٤٤ – ٨ ، و« الكحالة في العصر العربي الأول » ، **مقالات حول العلم** ، تحقيق الحكيم محمد سعيد ، كراتشي ، ١٩٨٧ص ٧٥ – ١٠ .

هـ ـ محنة الكحالين : في تعريف أهمية المهنة ، وامتحان ممارسيها ممن هم أهل لتعاطيها باستحقاق ، وهو كتاب على شكل سؤال وجواب ، لتعريف طلابها بأفضل الأجوبة في وصف الأمراض وتحديد أسلوب العلاج ، مع كل ما في ذلك من تطويل لا مسوّغ له . وقد أتى على ذكر هذا الكتاب الرازي والقُمّري في القرن الرابع هـ/ ١٠م[٣٤] .

و ـ النوادر الطبية أوالفصول الحكميّة والنوادر الطبية : وهي أمثال في آداب المهن الصحية وممارستها ، وقواعد ذهبية فلسفية ، وأقوال سائرة مأثورة ، وبديهيات في التدابير الطبية ، في حوالي ١٣١ فصلاً ، مهداة من المؤلف إلى تلميذه سابقاً ، وزميله وصديقه الحميم لاحقاً حنين العبادي . ويخاطبه فيه كابنه الرشيد في مسالك الهدى وحبّ الخير ، وأنه

= **يعتقد** كاتب هذا المقال بأن يحيى بن ماسويه نَشَر كتاب دغل العين ، أولاً ، ثم بعد ذلك بزمن ليس بقليل ، أكمل كناشه المشجّر والحاوي في الباب ٢٧ شرحاً لأمراض العين وتشريحها ومعالجتها ، بعد أن زاد فكر المؤلف نضجاً ، وتبحر في العلم ، فأخذ يتجه نحو الواقعية في التفسير والدقة في التعبير وصار أجمل أسلوباً وأفضل أداءً . ويرجو الكاتب أن يخصص دراسة أعمق لتقويم هذا الكناش ، ولا سيا القسم المختص بالكحالة فيه .

أما كلمة دغل العين الفصيحة لغوياً فتدل على أن ابن ماسويه يملك ناصية التعبير بلغة الضاد والدغل يدل على ما يدخل صفاء العين ويشوب نقاءها ، فيفسد وضوح الرؤية ، ويضعف قوتها ورونقها ، فيصبح العلاج لازماً لتشفى العين وتسترد صحتها .

(٣٤) توجد من هذا الكتاب الصغير نسخة موجودة في مكتبة نور عثمانية تحت عنوان معرفة العين وطبقاتها وأسمائها ومجاريها وأصول تركيبها ومسائل في عللها وامتحان في كيفيتها وكيفية تركيبها رقم ٣٥٧٦ (٤) ق٢٨/ب ـ ١٤٩ب ، بخط نسخ $\frac{1}{2}$ ١٣ × ١٨سم ، كتبه علي آسطاي المتصوف عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م . انظر بروكلمن ، ملحق ١ : ٤١٦ ، وسزكين ، ٣ : ٢٣٣ ، والبرت ديتريش ، **الطب عند العرب** ، غوتنغن ، ١٩٦٦ ، ص١٧٠ ـ ١ . وهناك مخطوطة منه في القاهرة ، وأخرى في بطرسبرج في روسيا ، ولكني لم افحص أية نسخة منها بعد .

متمم الآمال بنيل النجاح وبلوغ المراد ، إذ وجده أهلاً للحكمة ، ومجتهداً في التخصص ، مستعداً لإكمال **كتاب حيلة البرء** للفاضل جالينوس ، ونقله من اليونانية إلى اللسان العربي(٣٥) .

قام بتحقيق هذا الكتاب أولا بول سباط بالقاهرة عام ١٩٣٤ ، ثم بتحقيق مفصّل مع ترجمة ومقدمة فرنسية وفهارس مفيدة (طبع جنيف – وباريس ، ١٩٨٠) . وأول من ترجمه إلى اللاتينية قُسْطَنْطين الافريقي السابق ذكره ، وقد طبعت الترجمة في إيطاليا عام ١٤٧٨م ، وفي بولونيا أيضاً عام ١٤٨٩ . وها نحن نقتبس منه بعض الأفكار الهامة :

١ – الحقيقة في الطب غاية لا تدرك ، والعلاج بنصوص الكتب دون عمل الحكيم الماهر خطر .

٢ – النفس المطبوعة تعين الصناعة الطبية والطبيعة المدبرة ، وبالعكس .

٣ – الاستكثار من قراءة كتب الحكماء والإشراف على أسرارهم نافع ، فان لكل حكيم نزعة عظيمة الخطر .

٤ – كما أن أخلاق النفس موروثة عن الآباء والأجداد ، كذلك الأمراض المزمنة موروثة عنهم ، لا سيما في الأعضاء الرئيسة .

٥ – إذا عالجْتَ فيما يقرُب من الاعتدال ، وتطيب رائحته ، وإذا أمكن أن

---

(٣٥) أهدى المؤلِّف ابن ماسويه هذا الكتاب لابنه حنين ومنه نسخ مخطوطة في : الاسكوريال والقاهرة (في مجموع في ٣٢ صفحة نقل ٩٩٣هـ) ، وبمكتبة رشيد في اسطنبول رقم ٣٧٧ (٢) ق٢٥ – ٣٤ ، نقل ١١١٩هـ ، وليدن تحت رقم شرقي ١٢٨ (٢) ١٤١ – ٦ ، بتاريخ ٧٢٤هـ ، وغوتنغن رقم ٩٩ق ١٧٠ – ١٧٦ ، وفي الرباط رقم ٤٠٤ د(٣) ق٣١ – ٦٤ وتاريخ النقل ٨٦٣هـ ، نقل الطبيب ناصر الدين محمد بن خضر ، وبمكتبة مدريد الوطنية ، رقم ٥٢٤٠ في ٩ق ، وبمكتبة الأزهر بالقاهرة في مجموع ١١٨٤ ، ق٦٧ – ٧٥ وتاريخ النقل ٧٤١هـ/١٣٤٠م .

يُغتذى به ، فذلك الغاية .

٦ – النفْس تابعة لمزاج البدن ، فمتى عَرَضَت علة ، لاسيما في الأعضاء الرئيسة ، لا تَدَع معالجة النفس بما يُشَمّ ويُنْظَر إليه ويُفرح به ويطيب سماعه ، فذلك باب عظيم في العلاج .

٧ – معالجة الضد بالضد يجب أن تكون على سبيل المنافرة ، لا على سبيل الامتزاج .

٨ – ينبغي للطبيب أن يوهِم المريض الصحة أبداً ويرجيه فيها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاح الجسم تابع لأخلاق النفس .

٩ – الأطباء الأميون والمقلّدون والأحداث ، ومن قلت عنايتهم وكَثُرت شهواتهم قتّالون جداً .

١٠ – ينبغي للطبيب ألا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علّته ، من داخل ، ومن خارج ، ثم يقضي بالأفضل .

١١ – إذا أسرع الطبيب بالمجاوبة في كل مسألة ، فَلْيُتّهم .

١٢ – ينبغي للأطباء أن يتعرفوا أخلاق العليل في حال صحته ، ومواضع آماله ، ثم يصورونها له ، ويرجونه فيها ، وينشطونه إليها .

١٣ – ينبغي للطبيب أن يتشبّه في علاجه بفعل الطبيعة ، وإن طال العلاج وعَسُر وبعد ، ولا يعالج بما يظهر منه نفع على غير تدبير الطبيعة ، لأنه خدعة كالكيمياء (تحويل المعادن الرخيصة إلى الفضة والذهب بواسطة الأكسير) .

١٤ – ينبغي للمريض أن يقتصر على طبيب واحد ممن يوثق بهم من الأطباء ، فخطؤه في جنب صوابه يسير جداً . ومن ساءل في مرضه كثيراً من الأطباء أوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم .

١٥ – مما ينبغي للأطباء ، إن أرادوا قرب الحقيقة ، أن يركبوا لكل علّة دواء

مستنبطاً على قدر حدسهم ومنتهى حذقهم .

١٦ – ليس شيء في الطب يسير المؤونة : فأسهل مرض ، عند البحث الحقيقي ، قد يكون أصعبَ مرضٍ وأغمضَه ، وأغمض مرض ، عند البحث الحقيقي ، قد يكون أسهل مرض وأهونه في العلاج .

١٧ – الأمراض المزمنة والضعف في الأعضاء موروثة من الآباء ، لكنها تنقص إذا كان أحد الآباء سالماً صحيحاً .

١٨ – إذا استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية ، فقد وافق السعادة(٣٦) .

ز – كتاب في إصلاح الأدوية المسهلة ، وتركيبها ، وخاصةِ كل واحد منها ومنفعته ، وفي ترتيب سقي هذه الأدوية بحسب الأزمنة والأمزجة ، وكيف ينبغي أن يسقى العليل ولمن غيره ، ومتى وكيف يعان إذا احتبس ، وكيف يمنع الإسهال إذا أفرط . وقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية تحت عنوان (De medicamentorum Purgantium delectu et castigatione) ، ولكننا لا نعرف لهذا الكتاب نسخة مخطوطة بالعربية(٣٧) .

---

(٣٦) كان الأب بول سباط الأسبق إلى القيام بهذا التحقيق عام ١٩٣٤ . وبعده ، في عام ١٩٨٠ ، قام بهذا التحقيق بالعربية والفرنسية= D. Iacguart and G. Trupeau انظر الصفحات : ٥ – ١٩ ، ١٠٦ – ١٨ ، ١٤٤ –٨ وقد ذكر **النوادر** أيضاً ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ص ١ : ١٨٣ .

(٣٧) ولكن الطبيب أبا بكر الرازي ذكره في كتاب الحاوي الكبير ٥٢ مرة في شرح الأمراض وسبل معالجتها ، كما نشر في ايطاليا (في فلورنسا) عام ١٨٧٦م ، وفي عام ١٨٩٣م ذكره المؤرخ موريتزشتاينشنايدر في طبقاته وتواريخه **Die hebr. übersetz.** في تراجم علماء العصر الوسيط ، رقم ٤٦٥ وص ، ٧١٨ ، وسزكين ، **تاريخ** ، ج٣ : ٢٣٣ .

ح ـ **الكُنّاش المشجَّر الكبير** : يُعَدّ هذا **الكُنّاش** (أو الدستور الطبي التعليمي للأمراض والمتعلق بالمعالجات الدوائية) من أكبر تآليف ابن ماسويه وأجلّها شأناً في بابه ، وهو مُشَجَّر لأنه يحوي جداول أو رسوماً بيانية مصورة تبين أسباب هذه الأمراض ، ودلائلها ، وتشخيصها ، والمعالجات المناسبة ، حسب أمزجة الجسم والأخلاط فيها . ومن هذا **الكُنّاش** توجد ثلاث مخطوطات معروفة :

١ ـ **مخطوطة بانكيبور بالهند** ، في المكتبة العامة الشرقية ، المجلد الرابع (١) رقم ٢١٦٧ في ١١٧ق٢ غير كاملة ، موجودة في خزانة خُدابَخْش ، في مدينة بتنه ـ بيهار ، وهي بخط نسخ معتاد واضح ، ترجع إلى القرن ٩هـ/١٥م ، في الصفحة ٢٢ سطراً ، والمقاس : $\frac{1}{2}$ ١٠سم × ١٥سم[٣٨].

٢ ـ **مخطوطة** تحت عنوان كُنّاش علل الأمراض ودلائلها وعلاجاتها (**المشجّر الكبير**) في مكتبة مولانا محمود البركات بتونك ، بخط نسخ جميل نفيس في ١٥٢ق ، المقاس ١٨ × ٢٤سم ، تمّ نقلها في ٩ جمادى الأولى عام ٥٩٧هـ/١٢٠١م على يد الطبيب أبي المظفّر بن علي بن أبي الفتوح القرشي ، المولود في مدينة حمص السورية ، والذي درس مهنة الطب في دمشق ، حيث واصل ممارسة المهنة بعد تخرجه ، كما عمل طبيباً في البيمارستان النوري الكبير ، وكان فضله في عمله معروفاً ومحموداً حتى وفاته سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م .

---

(٣٨) حصل كاتب هذه المقالة على نسخة من هذه المخطوطة مصورة بخط نَسْخ واضح مع الجداول ، وهو يقدم الشكر للمسؤولين في خزانة خدابخش في بتنه بالهند لإذنهم بفحصها وتقويمها . انظر الوصف في **فهرس المخطوطات المصورة** ، تحقيق إبراهيم شبّوح ، ج٣ (٢) طبع القاهرة ،معهد المخطوطات العربية التابع للجامعة ،١٩٥٩ ، ص١٧٣ ـ ٤ .

إن ما قمنا به من شرح وتعليق على هذا **الكُنّاش** يعتمد على نص هاتين المخطوطتين المذكورتين آنفاً لمولانا بركات أحمد وخليفُهُ ابن الصمد محمود البركات ، مصورتين في صورتين شمسيتين على (الميكروفلم) ليدرسهما كاتب هذا التحقيق . ونحن نسجل الشكر الجزيل للمسؤولين عن المكتبتين لما قدموه من مساعدة في الحصول عليهما .

وفي آخر نسخة مولانا بركات فصل نقله الناسخ عن الأصل يفيد بأن الكتاب قد ألفه ابن ماسويه باللغة السريانية ، واحتفظ به بين كتبه للاستفادة منه ، وربما كان يقوم بمراجعته وإكماله وتدقيقه ، فجاء متكامل المعاني جمّ الفوائد ، حتى لقد أثنى عليه كل من ابن جلجل والقاضي القفطي . وهذا الفصل يوضح أن المتطبب أبو عيسى دانيال بن يوحَنّا وجد هذا **الكُنّاش** بين كتب ابن ماسويه من دون ترجمته إلى العربية ، فلما حانت وفاته أراد أبو عيسى إخراجه لفائدة الطبيب الممارس وطالب الطب معاً ، لما فيه من منافع في علامات الأمراض وأسبابها ومعالجتها ، فأعلم بذلك منصور بن طلحة مولى أمير المؤمنين (الخليفة المتوكل ؟) – وكان أبو عيسى يعمل أيضاً في قصر الخليفة – فطلب إحضاره ، فلما رآه وأعجب به ، وفيه جداول التشجير ، أمر أبا عيسى ابنَ يوحَنّا بترجمته من السريانية إلى العربية لإجادته السريانية إجادة تامة . ولكنه شكا من أن بعض المصطلحات والمشتقات صعبة معقدة لمن ليست له معرفة أصيلة بالعربية ، فطلب مساعدة من القاضي غسان بن محمد من أهل الكوفة ، ومن عبد الله بن مصعب ، فأكمل الترجمة[٣٩] .

(٣٩) شتوح ، **فهرس** ، ج٣ (٢) ، ص١٥٨ – ٩ ، ونتقدم بالشكر للمسؤولين عن مكتبة مولانا للسماح لنا بدراسة هذه المخطوطة على الميكروفلم (صورة شمسية) ، وهي أكمل نسخة لهذا الكناش ، تمّ نقلها بواسطة المُتطبّب أبو المظفر بن علي بن الفتوح القرشي بدمشق عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠ زمن الايوبيين . انظر أيضاً أصيبعة ، **عيون** ، ج٢ : ٢٠١ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ـ **ومخطوطة** ثالثة في **خزانة رضا رامبور** (٤٩٤:١ رقم ٢٠٤ طب ، تقع في ١٥٦ق ، وتاريخ النقل في ١٠٨٦هـ/١٦٧٥م)[٤٠] .

وها نحن نشرح هذا **الكُنّاش** بأبوابه كلها ، ونقومه باختصار :

الأبواب الأربعة الأولى : **كُنّاش علل الأمراض ودلائلها وعلاجاتها ، المعروف بالمشجَّر الكبير** ، يبدأ الكُنّاش بداء الثعلب وأسبابه ، والاستدلال على أنواعه ومعالجتها ، ثم الحزاز ، والفصل بين داء الثعلب وداء الحيّة : في السبب والشكل والمكان في الجسم . فداء الحيّة يكون في جلد الجسد كله ، وداء الثعلب يكون في شعر الرأس والحاجب واللحية ، ثم البثور في جلدة الرأس ، وأنواع الخراجات والقروح وأنواعها وأسمائها ، وتسبب القمل في الرأس وفي البدن ، وعلاج ذلك .

الباب الخامس : في الصداع في الرأس نصفياً (الشقيقة) ، أو كلياً ، وما هو كائن من سوء المزاج ، أو من الورم ، أو من مشاركة من أعضاء أخرى في الجسم ، كالكبد أو المعدة أو الطحال أو الرجلين ، مع الحمى أو بدونها ، أو ما يعرض له من الخارج ، مثل ضربة (أو حرّ) الشمس ، أو شرب الخمور المسكرة ، وتشخيص أنواع الإصابة ، وأوصافها ، والأخلاط المشاركة ، وطرق المعالجات ، بما في ذلك الشقيقة **(migraine)** أو الصداع النصفي .

الأبواب من السادس حتى الثامن : في النسيان وأسبابه والتشخيص ، والسبات السَّهَري كعلّة مركبة **agrypno coma** (**فهي** سبات مع التيقظ

(٤٠) ظهرت كتابات يحيى بن ماسويه الطبية المتميزة كالنوادر وماء الشعير ، وجواهر الطب وآخرها **الكناش** قبل نظائرها من كتابات الرازي بأكثر من ٧٥ سنة ، والمجوسي بحوالي ١٤٠ سنة ، وقبل شهرة الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى ١٠٣٧م) بحوالي ١٨٠ سنة . انظر سزكين ، **تاريخ** ، ج٣ : ٢٣١ ـ ٣٦ .

والهذيان) والعلامات والأنواع والعلاج ، بما في ذلك العلاج الغذائي . وفي السدر ، وهو الحيرة وعدم المبالاة والزغلل في البصر ، والدُّوار (وهو شبه الدوران يأخذ بالرأس ، وعند العامة الدوخة=Vertigo) ، والأسباب والعلامات ، ومعالجته في وقت هيجانه وفي وقت سكونه . ومن الجدير بالذكر أن بعض الأمراض الجلدية وعلاج الصداع والسدر والدوار لها مقالات منفصلة في أهم المراجع العربية(٤١) .

الباب التاسع : في الوجع المسمى باليونانية قرانيطس ، وهو ورم حار يحدث في الدماغ نفسه ، أو في أغشيته (وهي الحُجُب التي تحيط بالدماغ) أو الرسام الحار ، وعلامته شدة الوجع في الرأس ، ونتوء العينين ، واحمرار الوجه ، وثقل في الرأس ، وسبات ، وقلق شديد ، وهذيان (أو اختلاط العقل ، أو التهاب السحايا=meningitis) .

الباب العاشر : في الوجع المسمى فلغموني ، أي الورم الحار الكائن في الدماغ ، مع ألم في الرأس بسبب تورم في الدماغ ، ومع الغثيان والقيء واحمرار الوجه وانتفاخه ، ترافقه حمى حادة . يعالج بالفصد ، مع تضميد الرأس بالأشياء المرطبة المحللة ، ويسقى المريض ماء الشعير والعنّاب والخبازي والبقلة اليمانية .

الباب الحادي عشر : في الحُمْرة في الدماغ مع الوجع الشديد في الرأس كله ، والالتهاب وبرد الوجه وصُفْرته ، ويُبْس الفم . ويعالج بالفصد ، ويسقى المريض ماء العنّاب والتمر الهندي والإجاص ، أو يسقى ماء الشعير

---

(٤١) في المراجع والهوامش ركزنا في البيبليوغرافيا على ما تمّ ذكره من كتب ابن ماسويه في كل من ابن جلجل وابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة وغيرهم من المؤلفين حتى زمننا . ونعتقد أن بعض هذه الكتب المنسوبة إلى ابن ماسويه مستقلة قد تكون قد اشتملت على هذا **الكناش** موزعاً حسب عناوين أبوابه الثمانين .

مع الرمان وماء عنب الثعلب مع الخيار شنبر وأكل البقلة اليمانية والقطف[٤٢] .

الأبواب من الثاني عشر حتى السادس عشر : في كثرة النوم العارض في الحمّيات تعترضها الأحلام الغريبة ، والفزع ، واسترخاء الجبين ، والرطوبة في الرأس ، والسبات ، والماليخوليا أو داء الوسواس ، وفساد الفكر وذهاب العقل بلا حمّى ، والمراقي النافخ واختلال العقل ، وولوع شديد وعبث ، ثم الهذيان وذهاب العقل .

الباب السابع عشر: في الصرع (باليونانية = scizure = epilepsy). وفي هذه العلة يلاحظ امتداد جميع الجسد ، مع امتناع الأفعال المدبرة حسياً وحركياً ، إما من الدماغ أو من المعدة أو بعض أعضاء الجسم كالرجلين. أما مقدماتها : فحزن بغير علة ، وتبلد العقل ، والنسيان ، ورديء الأحلام ، والصداع . ويقترح المؤلف العلاج حسب السن والحالة : ففي حالة الصبي الرضيع ، أو من هو أكبر سناً تكون « راسخة في الدماغ نفسه » ، وتكون في هذه الحالة أصعب مما لو كانت في وعائه . وأكثر ما تَعْرض للأطفال ، وبعدهم للصبيان ، ثم للمراهقين ، وقلّما تعرض للكهول والمشايخ .

وعلامة الصرع : « سقوط العليل ، وامتداد جسده ، وارتعاشه ، وصياحه ، وظهور الزبد من الفم » ، وأعراض أخرى تحدث أيضاً . أما

---

(٤٢) رجعنا في هذه المصطلحات والمعالجات لعدة مراجع منها : سعيد الخوري الشرتوني اللبناني ، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد ، ورمزي مفتاح ، **النباتات الطبية والمفردات العطارية** ، القاهرة ، البابي الحلبي ، ١٩٥٣ ، وابن القف الكركي ، **جامع الغرض** ، تحقيق حمارنة ، ومطبعة الجامعة الأردنية ، ١٩٨٩ ، ص ٥٠٠ ـ ٦٤٠ .

العلاجات ، ولا سيا الغذائية منها ، فيذكرها المؤلف بالتفصيل ، كما يقترح « امتحان من به الصرع وكشفه بهذه الأشياء »[٤٣] .

الأبواب من الثامن عشر حتى الحادي والعشرين : في الرعونة وفساد مؤخر الدماغ=cerebellum؟ أما القُطْرب فنوع من الماليخوليا ووسواس الرأس والهوس وفساد العقل مع شدة العطش . والكابوس ، وهو ما يحصل للانسان في نومه ، فيزعجه ويضايقه . ويرى المؤلف أن هذه العلة مقدمة لثلاث علل : الصرع والمانيا (الجنون) والسكتة بانقطاع الصوت والحركة وثقل في الرأس وانتباه من النوم بغتة ، والمعالجة بالدواء وقلة من الطعام . وأما العشق فيسبب كآبة صماء ، مع ألم نفسي وكثرة في الحركة ، وتكون العيون غائرة جافة ، وتذبل أعضاء الجسم كلها ، ويعي المريض عند ذكر مَن يحبّ أو سماع اسمه ، وعلاجه بإشغال المريض بالصناعات أو بالاستماع إلى الألحان الجميلة ، ومصادقة من يحبّ أو من يشبهه شخصاً وصورة وحسناً[٤٤] .

الأبواب من الثاني والعشرين حتى السادس والعشرين : في السكتة والفالج والاسترخاء في أحد الشقّين أو كليهما ، وفي مقدمة الدماغ أو في مؤخره ، وانقطاع الأفعال المدبّرة والحس والحركة في جميع الأعضاء . أما مقدمات

---

(٤٣) انظر أيضاً : الفرائد الدرية – عربي – انكليزي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٤ ، إبراهم مدكور وإبراهيم انيس ومن معهم ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، مطابع دار المعارف ، ١٩٧٣م ، ومهذب الدين أبو الحسن علي بن هبل البغدادي ، **كتاب المختارات** ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن بالهند ، ١٣٦٣هـ ، ج٢ (الجزء الثالث) .

(٤٤) ابن هُبَل البغدادي **المختارات** ، الجزء ٣ : ٢٠ – ٥٤ ، والياس انطون الياس ، **القاموس العصري** ، الطبعة الثامنة أو بعد ذلك ، القاهرة .

السكتة : فصداع شديد ، وانتفاخ الأوداج ، ودوار ، واختلاج ، وبرد الأطراف . وأكثر ما تَعْرض للمشايخ .

أما اللقوة فهي – كما يرى ابن ماسويه – استرخاء جانب الوجه ، وميلانه إلى الجانب الآخر الصحيح . وتعالج بربط الجانب المائل بعصابة . ومن الاسترخاء ما هو سهل المعالجة ، ومنه ما لا علاج له . أما التشنّج فيكون إما من الامتلاء وتوالي الرطوبة ، أو من الخلاء وتوالي اليبس . وأما الامتداد فيَعْرض إما في العصب وعضلات العنق أو في العضلات المقدمة والمؤخرة معاً . وينجم إما عن تعب ، أو نوم على الأرض ، أو عن حمل ثقيل ، أو سقطة ، أو من حرق النار ، أو ضربة . وأما علة الارتعاش فتكون من ضعف العصب ، وتعالج بالدواء والغذاء[٤٥] .

الباب السابع والعشرون : في أوجاع العين : كالورم الحار في العين ، وانقلاب الجفن وخشونته ، أو انتفاخه وتورمه ، والجسا ، والحكّة ، والناصور ، والشعر الزائد المنقلب ، وانتشار الأشفار ، وقرحة العين ، ونتوء العنبية ، واجتماع المدة في القرنية ، والظفرة ، وسرطان القرنية ، والقروح ، وضعف البصر ، والعشي (العشا) ، والحَوَل ، وفي طرق المعالجة[٤٦] .

---

(٤٥) البغدادي ، **المختارات** ، **المرجع أعلاه** ، ج٣ : ٦٠ – ٧٩ ، **ودورلاند في القاموس الطبي المصور** (بالانكليزية) ، الطبعة ٢٦ وما بعد ذلك ، مطبعة سوندرز ، فيلادلفيا ، ١٩٨١م .

(٤٦) البغدادي ، **المختارات** ، الجزء ٣ : ٨١ – ١٣٩ ، ونشأت الحمارنة ، **تاريخ أطباء العيون العرب** ، الجزء الأول والثاني ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ، و« المهذب في الكحل لابن النفيس » ، دمشق ، مطابع ألف باء ، ١٩٨٦ ، ص٣ – ١٢ ، والحمارنة ، « مقدمة حول طب العيون العربي » ، **مجلة التراث العربي** ، دمشق ، العدد ١٧ (١٩٨٤) ، ص١٥٣ – ٨٥ .

الأبواب من الثامن والعشرين حتى الثاني والثلاثين : في أوجاع الأذن وعللها وأنواعها : كالانسداد في الأذن ، والورم في المجرى ، أو تجمع القيح فيه ، أو دخولها (الأذن) شيء من خارج ، أو دمٌ يسيل من الأذن ، أو وسخ ، أو دود يتولد فيها ، وعلاج هذه العلل . ثم في أوجاع الأنف والمنخرين : كأن تنبت في المنخرين زوائد ، أو أن يسيل منهما الدم (الرعاف) ، أو أن تسيل إليهما رطوبة منتشرة من الرأس ، وسبل العلاج يلي ذلك ذكر أوجاع اللسان : كالأورام ، والقروح ، والتشنج ، ومعالجة ذلك . ثم يأتي ذكر البَخر ووجع الفم والأسنان وفسادها : ويكون من نوع الطعام والشراب ، أو مضغ الأشياء العلكة ، أو كسر أشياء صلبة ، ومعالجة هذه العلل . ثم تورم اللَّهاة (uvula) والحنك واللوزتين والخوانيق ، وما يَعْرض لها ، وعلاجها[٤٧] .

الأبواب من الثالث والثلاثين حتى الثامن والثلاثين : في النوازل ، والزكام ، والسعال وأسبابه وأنواعه ومعالجته ، وفي وجع التهاب ذات الرئة ، الذي يعرض فيها عقب النوازل ، أو الخوانيق الشديدة والبِرْسام ، ونفث الدم من الصدر والرئة ، أو من الحنك والحنجرة ، أو من المعدة والبطن ، أو من الرأس ، وعلاجه . وفي التقريح أو التقيح من الحجاب الحاجز ، أو من الصدر والرئة . وفي الخراجات (abscesses) الكثيرة ، سواء أكانت حادة ، أم سُنْخية ، وسواء أكانت باردة ، أم حارة ، أم قيحية (pyemic؟) . أما التهاب ذات الجنب ، أو البِرْسام (pleurisy) ، فيقول ابن ماسويه فيه : « إنه يعرض في الحجاب الحاجز ، أو الغشاء المحيط بالرئة (أو ذات

(٤٧) البغدادي ، **المختارات** ، الجزء ٣ : ١٤٢ ـ ٨٩ ، وأ.ل. كليرفيل وترجمة مرشد خاطر ومن معه وتحقيق حسني سبح ، معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات ، دمشق ، ١٩٨٣ (١٤٠٤هـ) .

الجنب) ، ومنه ذات الجنب الخالصة الحادة ، وغير الخالصة الحجابية ، وفي العضلات الحجابية = diaphragmatie[٤٨] .

الأبواب من التاسع والثلاثين حتى الحادي والأربعين : في أوجاع القلب : الغشي ، وسقوط القوة ، والخفقان . ثم أوجاع الثدي . أما تغير روائح العرق ، والصنّان في الإبطين وجميع الجسد ، والعقاقير والأطلية المزيلة للرائحة ، وأهم الأدوية الناجعة (deodorants) ، فالكلام فيها في هذه الأبواب مختصر .

الباب الثاني والأربعون : في أوجاع المعدة ، كالعطش ، والاحتراق ، والقيء ، والفُواق (الهَقّة أو الزُغطّة عند العامة=hiccup) ، والتهوّع ، والشهوة الكلبية=bulimia (البقرية) ، أو الشعور بالجوع شعوراً زائداً غير طبيعي ، أو ضد ذلك بذهاب هذه الشهوة ، وفي الأورام والقروح الحادثة فيها وأعراضها : كالذبول ، والغشي ، والنفخة ، والتشنج . ويرى ابن ماسويه أن وجع المعدة يمكن أن يسبب الهيضة (الكوليرا) ، كحركة مفرطة في البطن يسببها التخم ، وكثرة الرياح فيه ، والتمدد في الشراسيف[٤٩] .

الأبواب من الثالث والأربعين حتى الثامن والأربعين : في أوجاع الكبد : كضعف القوة ، والسُّدَد ، وسوء المزاج ، والورم الفلغموني الحار أو الصلب ، وأنواع هذه الأوجاع ، وعلاماتها ، وأعراضها العامة . ثم في

---

(٤٨) ابن هُبَل البغدادي ، **المختارات** ، الجزء ٣ : ١٩٢ – ٢١٦ ، والموسوعة الطبية=**The Mosby** تحقيق و.د.غلانز ومن معه ، المطبعة الاميركية الجديدة ، نيويورك ، ١٩٨٥ .

(٤٩) البغدادي ، **المختارات** ، ٣ : ٢٥١ – ٨٧ ، **وكتاب المعدة وأمراضها ومداواتها** ، لأبي جعفر أحمد ابن الجزّار القيرواني ، تحقيق سلمان قطاية ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ص ١٣ – ٢٠ ، ٧٣ – ٢٥٧ .

اليرقان ، محموداً كان أم رديئاً ، وعلاجه . وفي مرض الاستسقاء ، وتعريف مصطلحه العربي (الطوبل) ، ومنه الطَّبَلي ، والزقي ، واللحمي ، وهذا يمكن أن يعالج بمداخلة جراحية ، في رأي ابن ماسويه ، بقطع عرق الباسليق الأكحل ، ثم بالمعالجة الدوائية والغذائية بمنتهى الدقة وحسن التدبير . ثم في أوجاع الطحال والعلل العارضة من الأطعمة ، وهي متعددة . وتعالج بالأدوية الملطفة الناجعة . وفي الاختلاف في المنشأ : من المعدة ، أم من الكبد ، أم من الأمعاء ، والاستدلال على كلٍّ منها ، ومعالجته على حدة . ثم حول المغص (colic) وأنواعه : من الريح ، أو الكيموس ، أو خلط المرة الصفراء ، والاستدلال على كلٍّ منها ، وسبل المعالجة(٥٠) .

الأبواب من التاسع والأربعين حتى الحادي والخمسين : في القولنج ، منفرداً كان أم مشتركاً مع الكبد ، أو البطن ، أو الكلى وغيرها من الأعضاء ، وأنواعه ، وطرق معالجة كلٍّ منها . ويذكر أن مرضاً في المعاء (أو الأمعاء) الدقاق ، اسمه بالسريانية معناه « ربِّ ارحم » ، لا يغيِّر الدبل ، فيقي صاحبه من علة القولنج ، ومن هنا جاء اسمه .

ويرى ابن ماسويه أن علل الاجسام الطبيعية أربع : الفاعلة كالنجار والبناء ، والعنصرية كالخشب والحجارة ، والآلية كالمنشار والناس ، والتمامية كالباب والبيت . وهذه تتوافق مع تكوين الديدان في الحشا ، وهي : الديدان الطوال في الأمعاء الدقاق ، والعراض في الأمعاء الغلاظ ، والصغار التي تتكاثر في المعاء المستوي (وهو المستقيم) ، وهي الأقل ضرراً ، والسريعة الخروج من البدن كالطوال ، مع الاستدلال على الأعراض ،

---

(٥٠) البغدادي ، **المختارات** ، ٣ : ٣٤٧ – ٩٩ ، وج .ميكنز **J.C.Meakins** **ممارسة الطب** (بالانكليزية) ، الطبعة الثالثة ، موسبي ، سنت لويس ، ١٩٤٠ .

ARCHIVE http://archive.sakhrit.com

وتدابير خروجها ، والشفاء (أو الخلاص) منها[٥١] .

الأبواب من الثاني والخمسين حتى الستين : في أوجاع الكلى ، والأعراض الجامعة للقولنج ، ولمن به حصى الكلى ، أو حصى في المثانة ، واستدلالات ذلك . ثم في الورم الحار أو الدموي في الكلى ، أو نضجه واستحالته إلى القيح ، والمعالجة جراحياً ودوائياً وغذائياً . وفي تقطير البول وعُسْره واحتباسه ، والأنواع والعلاج . وفي وجع الديابيطس (الداء السكري diabetes mellitus) ، ومعناه باليونانية عبور البول وخروجه (مع العطش الشديد المفرط) . وبهذا يكون يحيى بن ماسويه رائداً بين الأطباء العرب ، إذ كرّس فصلاً كاملاً لهذه العلة . ثم باب في سيلان المني ومعالجة ذلك ، والأمراض التناسلية في الذكور ، ومنافع الجماع ومضاره ، وتجنب ذلك . وفي الأوجاع التي تعرض للذكر وفيه ، كالورم ، والقروح ، والخُرّاج الصلب ، والمعالجة[٥٢] .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأبواب من الحادي والستين حتى الرابع والستين : في الرحم ، من الناحيتين التشريحية والفيزلوجية (الوظائفية) ، وموانع الحبل من قِبَل الذكر أو الأنثى ، وعلامات الحبل وأعراضه : كوجع المراق والظهر ، والغثيان . ثم ما يعرض في الرحم من أمراض : كالورم ، ولا سيما السرطاني منه ، الذي ليس له بَرْء ، ولكن يُعمل في تسكين أوجاعه . ثم في احتباس الحيض أو

---

(٥١) البغدادي ، **المختارات** ، ٣٠٩ ـ ٤١ ، ومارشياستانهوب M.Stanhope **تدبير طب المجتمع في الممارسة الصحية** ، سنت لويس ، موزبي Mosby Co. ، ١٩٨٤ ، ص٢٨٠ ـ ٤ ، ٩٥٩ ، وميكيتز ، ممارسة الطب ، ١٩٤٠ ، ص٥٩١ ـ ٦٨٦ .

(٥٢) البغدادي ، **المختارات** ، ٣ : ٤٠٣ ـ ٣٩ ، وستاينغاس=F.Steingass قاموس فارسي ـ انكليزي ، لندن ، ١٩٦٣ ، وعبد اللطيف البغدادي ، **مقالتان** ، تحقيق بول غليونجي ومن معه ، التراث العربي ، ١٩٧٢ ، ص١٢٣ ـ ٥٧ .

اختناقه ، أوميلانه ، أو انقلابه ، والمعالجات في ذلك . وفي علامات الذكر والأنثى ، وعسر الولادة وعلاجها . وفي احتباس دم الحيض ، أو نزفه ، وسببه ، والمعالجة ، أما الباب الرابع والستون فهو باب في أوجاع المقعدة والبواسير وعلاجها(٥٣) .

الباب الخامس والستون : في النقرس ، ولا سيما الآلام الشديدة في إبهام القدم = Hllex . وفي عرق النسا ، وهو وجع يبتدئ في حقّ الورك وينتشر ، فباقي الكعب والخنصر ممتداً ، وسببه ، والاستدلالات ، والمعالجة جراحياً ودوائياً وتضميداً(٥٤) .

الأبواب من السادس والستين حتى الثاني والسبعين : في القوباء impetigo ، سواء في أعضاء البدن أو في اللحية (الذقن= mantagra) ، والاستدلالات ، والمعالجة . وفي البرص ، وهو مرض يحدث في الجسم كله قشراً أبيض مع الحكاك الشديد ، ويسمى الوَضَح ، لبياض لونه . ويبدأ العلاج بتأن ، ثم يتدرج بالدَّلْك الشديد ، فإذا احمرّ الجلد سريعاً كان العلاج هيناً ، وإذا احمرّ ببطء كانت العلة عسيرة الشفاء ، وإذا لم يحمرّ البتة كان البرص متقدماً جداً ، ولا يقبل العلاج . أما البَهَق = Vitiligo ، فمنه الأسود ، ومنه الأبيض ، ويعالج جراحياً ، وبالدواء والغذاء . ثم في الحمرة ، والاستدلال عليها بسرعة انتشارها ، أو

---

(٥٣) ابن هُبَل البغدادي ، المختارات ، الجزء ٤ : ٢ – ٧٩ ، **الطفل في الطب العربي** ، **أبحاث** ، جمع واعداد عبد الكريم أبو شويرب ، ج١ ، طرابلس ، جامعة الفاتح ، ١٩٨٢ ص١١١ – ٩ ، ٢٣٩ – ٤٠ ، ٣٢٧ – ٣٨ ، ٤٠٧ – ٢٧ .

(٥٤) البغدادي ، **المختارات** ، ٤ : ٨٤ – ١٢٣ ، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، « في وجع النقرس » ، **مجلة فاييس** ، فلورنسا ، ايطاليا ، ج٢٠ (١٩٧٨) ، ٣١ – ٤٨ .

انتفاخها ، أو ثباتها من غير انتشار ، والمعالجة . أما الخدر ، الذي يعرض للأصابع ، مِن برد شديد ، أو شقاق ، وأوجاع الأظفار ، فيكون علاجه بالأطلية والمراهم والأدهان الدوائية المناسبة .

وفي علة الجمار يقول ابن ماسويه : « أما علة الجمار فهي تنفيط ، كالذي يعرض من حرق النار ، فإن كانت في اللحم أبيضت سريعاً ، وإن كانت في الحجب والعصب طالت وألمت ما حولها ، وولّدت ورماً حاراً مع تقيح » ، ويعالج جراحياً ودوائياً .

أما علة الجذام فأسبابها قد تكون وراثية من الآباء ، أو يكون سببها خلل في سير استمراء الغذاء أو رداءته ، أو انسداد في الطحال ، أو عدم صــلاح مكــان الايواء لخلوه من الهواء النقي . ومن الجذام نوع يمكن علاجه ، « ونوع رديء ، يولّد قروحاً ، ويُسقط اللحم ، ويسرع بصاحبه إلى التلف » ، ويعالج كلاهما جراحياً ودوائياً . وبمناسبة الكلام في الجذام قيل في المراجع التاريخية عن كُنّاش ابن ماسويه إنه كتاب لم يسبقه أحد إلى مثله(٥٥) .

الأبواب من الثالث والسبعين حتى التاسع والسبعين : « في السَّبْحَج ، الذي يكون من الخفّ واللحم النابت في أصول الأظفار » ، ويعالج بحرق نعل الخفّ ، وبذرّ رماده عليه ، أو بذرّ مسحوق الأقاقيا **acacia** ، أو الصمغ العربي ، ويعالج اللحم النابت في الظفر بالمطبوخات واللطاخات الدوائية .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥٥) البغدادي ، **المختارات** ، ٤ : ١٣٣ ــ ٥٢ ، ابن القُفّ الكركي ، **جامع الغرض** ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٩ ، ص٥٣٢ ــ ٥٦٣ ، وابن جلجل ، **طبقات** ، ص٦٦ ، والقفطي ، **تاريخ** ، ٣٨١ (ويقول هنا عن الجذام أنه كتاب شريف) وذكر أيضاً ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٨٢ ــ ٣ (لم يسبقه أحد إلى مثله) .

أما المسامير ، التي تخرج في أصابع الرجل ، فتعالج جراحياً ودوائياً ، في حين أن داء الخنازير (scrofula) يعالج بالمراهم والأدوية « آكلة اللحم » . وأما داء الفيل (elephantiasis) ، فمرض يحدث منه غلظ كثيف في القدم والساق ، تتخلله عجر صغيرة ناتئة ، ويعالج جراحياً ودوائياً .

أما الباب السادس والسبعون ففي معالجات الحكّة والجرب. وفي وباء الجدري والحصبة ، والأعراض ، وطرق المعالجة ، ويليه الباب السابع والسبعون في الآكلة ، ومعالجتها بالأدوية والأدهان . وفي حرق النار والنورة (وهي خليط من أملاح وأحجار الكلس والزرنيخ والبورق) ، والمعالجة بالمراهم والأدهان . ثم الباب الثامن والسبعون في عض الكَلْب الكَلِب ، وعلامته أن الكلب المصاب يذهب عقله ، ولا يتصور الماء أو يشربه لأيام ، ويرعد ، ثم إنه يصرع صاحبه بدون معرفة ، ويُبَحّ صوته ، ويكون مفتوح الفم محمرّ العينين ، ويؤذي كثيراً من يعضّه . ثم الباب التاسع والسبعون في لدغ الحيّات والعقارب والزنابير والجرارات ، ومعالجة من أصيب بلدغها[٥٦] .

الباب الثمانون : وهو الباب الأخير في هذا الكُنّاش البالغ الأهمية ، وهو « في الحمّيات وأعراضها وعلاجها ، من عمل دانيال بن يوحنا من كتاب يحيى بن ماسويه ، قال : الحمّى هي حرارة خارجة من الطبيعة ، ترسل من القلب في العروق إلى سائر البدن ، فتضرّ بالأفعال الطبيعية . وهي ثلاثة أجناس : في الروح كالحمّى اليومية، أو في الأعضاء الأصلية الصلبة ، أو

(٥٦) البغدادي ، **المختارات** ، ٤ : ١٧٣ – ٦ ، ١٧٩ – ٩٧ ، ٢٠١ – ٤ ، وصَطِن R.L.Sutton **أمراض الجلد** (بالانكليزية) ، الطبعة العاشرة ، سنت لويس ، موزبي ، ١٩٣٩ .

الحمّى الكائنة من الكيموسات المسمى حمّى العَفَن » .

أما الحمّى اليومية فتكون إما في الروح النفسانية أو الحيوانية أو الطبيعية ، وخواصها تُحقّق بالبول أو نبض العروق وصعود الحرارة وانتشارها . وأما الحمى الكائنة في الأعضاء الصلبة فتؤثر في القلب ، حسب الأخلاط وأنواع الأمزجة . وأما حمى العفن والمطبقة فيستدل عليهما بالأشياء الطبيعية ، أو بالأشياء الخارجة من الطبيعة ، أو الأشياء التي ليست بالطبيعة . ويكون علاج الحميات بالدواء والغذاء بالمركبات المعروفة ، والمبردات كالسكنجبين ومياه الخُضَر والنباتات العطرية والبذور المطبوخة .

ولعل هذا الباب مأخوذ عن مخطوطات أخرى ، نقل عنها مع بعض التنقيح ، وفصل عنها ليكون مستقلاً[٥٧] .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولابن ماسويه آثار مخطوطة أخرى ، ذات صلة أكيدة **بالكُنّاش المشجر الكبير** ، أو هي متضمنة فيه ، وهي جديرة بالاشارة إليها ، منها : **كتاب** (أو مقالة ، أو باب) **الحمّيات** ، **والجذام** ، **والسموم وعلاجها** ، **والقولنج** ، **والمعدة** ، كتاب معروف **بالرجحان** ، **والماليخوليا** (أو داء الوسواس ، أو الاكتئاب ، أو مرض السوداء) **وأسبابها وعلاماتها وعلاجها** ، **وعلاج الصداع** (وعلله وأوجاعه ، ألفه لعبد الله بن طاهر) ،

---

(٥٧) وفي موضوع الحميات هناك نُسَخٌ مستقلة لا بد من درسها فما كتبه يحيى بن ماسويه في هذا الباب كان عظيم الأثر في الأطباء الذين جاؤوا بعده : من الرازي ، فإسحاق بن سليمان الاسرائيلي ، وكتابه : **الحميات** ، وأحمد الطبري ، وعلي المجوسي والزهراوي وابن سينا وابن بطلان وابن زهر وغيرهم . انظر **المسائل في الطب للمتعلمين** ، لأبي زيد حنين بن إسحاق العِبَادي ، تحقيق محمد أبو ريان ومن معه ، دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٨ ، ص١ – ١٧ ، ٢٠ – ٢٢ ، ٤٠ – ٩ ، ٦٧ – ٩ ، ٨٤ – ٨ ، ٢١٣ – ٦ ، ٢٢٥ – ٩ ، ٢٥٩ – ٦٥ ، ٢٨٠ – ٨ ، ٢٩٢ – ٩ .

والسدر والدوار(٥٨) .

ومن بين أصحاب التراجم في العصر العربي الذهبي ينفرد ابن أبي أصيبعة (المتوفى سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م) بذكر **كتاب الجنين** لابن ماسويه . كما نجد في الأبواب من الحادي والستين حتى الثالث والستين من **الكُنّاش المشجّر الكبير** موضوعات تقترب في مضمونها من موضوع **كتاب الجنين** ، وذلك تحت عنوان : الرحم وأوجاعه وعلاجاته ، وعلامات الذكر والأنثى ، وهل يمكن معرفة فيما إذا كان حَمْل المرأة هو ذكر أم هو أنثى ؟ وشرح عُسْر الولادة ، واحتباس دم الرحم ونزفه ، ومعالجة ذلك .

وفي مكتبة المتحف العراقي نسخة مخطوطة فريدة (رقم ٢٤٩ ق٢٤٢ ب – ٢٤٦أ ، تاريخ نقلها قرن ٩هـ/١٥م) ، تحت عنوان : **مقالة في الجنين وكونه أو تكوينه في الرحم** ، عرفها الأستاذ **فؤاد سزكين** ، وحصل على نسخة مصورة منها ، وقامت الدكتورة **أورسولا فايسر U.Weisser** بدراستها ، وتقويمها ، والتعليق عليها بالعربية والانكليزية . **وقد عاين هذا المجموع كاتب هذا المقال في زيارته لمكتبة المجمع في ٢٠ تموز/يوليو ١٩٦٤ ، ونأمل أن يكون بقي محفوظاً وسالماً حتى الآن**(٥٩) .

(٥٨) انظر **كتاب القولنج** ، لأبي محمد بن زكريا الرازي ، تحقيق صبحي حمامي ، جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربي ، ١٩٨٣ ، ص٧ – ١٧ ، و**كتاب المعدة** لابن الجزار تحقيق قطاية ، وفيه صفة أقراص الكوكب من **كتاب النجح** لابن ماسويه ، ص ١٨٧ ، **وفي الماليخوليا** ، لاسحاق بن عمران تحقيق سليم عمّار ، **الطب الإسلامي** ، ١٩٨١ ، ص١٧١ – ٩ ، وعن عبد الله بن طاهر بن الحسين (المتوفى عام ٢٣٠هـ/٨٤٤م) ابن خلكان ، **وفيات** ، ج١ : ٤٢١ –٢ ، ،وج٣ : ٨٣ – ٩ ، فكتاب علاج الصداع يكون قد تمّ قبل ذلك بسنين زمن المعتصم .

(٥٩) أ.فايسر ، « علم الأجنّة لدى يوحنا بن ماسويه » ، **مجلة تاريخ العلوم العربية** ، جامعة حلب ، ج٤ (١٩٨١) ، ص٩ – ٢٢ بالانكليزية ، ٩٤ – ١٠٠ بالعربية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليحيى بن ماسويه آثار مخطوطة أخرى ذكرها مؤرخو هذه الحقبة في أكثر من مرجع ، وهي : **البرهان** ، وهي كتاب في ثلاثين باباً ، **والكمال والتمام** ، **والبصيرة والفصد والحجامة** ، **والأغذية والأشربة** ، أو **إصلاح الأغذية ودفع مضارها** ، **والحمّام** (دخوله) **ومنافعه ومضاره** ، **والسواك والسنونات** ، **والتشريح** ، ألفه للمأمون ، **أوتركيب خلق الإنسان** وأجزائه وعدد أعضائه **وأسباب الأوجاع**(٦٠) .

وهناك كتب ورسائل منسوبة ليحيى بن ماسويه ، ولكننا غير واثقين بصحة هذه النسبة ، لعدم وجود ما يؤكدها ، ومنها **كتاب في غير ما شيء مما عجز عنه غيره** ، **والمنجح** أو **النجح** (في التداوي ، **في وصف الأمراض والشكاوي** . ذكره الرازي في الحاوي ، والبيروني في **كتاب**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦٠) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الجزّار في كتابه : **المعدة وأمراضها ومداواتها** ، تحقيق قطاية ويذكر يحيى بن ماسويه في عدة أماكن (ص٨٦ اقتباس من **كتاب التمام والكمال** ، ص ،٩٩) ان اشتراك الدماغ مع فم المعدة (الفؤاد) يعرض منه ايليسيميا ، وكذلك (ص١٠٠) عن الشهوة الكلبية واعتلال آلة الشهوة في فم المعدة وألمها وأيضاً (ص١١٤) صفة أقراص ألّفها ابن ماسويه لسوء مزاج المعدة المسبّب بالحرارة ، (وص١١٦) صفة شراب ألّفه ابن ماسويه ينفع في قمع الصفراء المتولدة في المعدة وسمّاه مطفئ الوهج . ويقول فيه ابن الجزار : « وقد اختبرناه فحمدناه » ، (ص١٢٢) ، وصفة جوارشن ألفه ابن ماسويه للرشيد (وربما المقصود المأمون) نافعا في فساد المعدة وبردها من البلغم ، (وص١٥٦ – ٧) صفة شراب ألّفه ابن ماسويه في إيقاظ شهوة الطعام عند انقطاعها أو ضعفها نافعاً من الحرّ المستحكم والوهج والغثي وهو مجرب ونافع ، (ص١٧١) صفة نقوع ألّفه ابن ماسويه ينفع من شدة العطش والحرارة ويبس الحلق والفم وهو مجرب ونافع ، وأخيراً (ص١٨٦) صفة حب ألّفها ابن ماسويه يستعمل على الريق نافع من النفخة في المعدة والريح المستحكمة فيها . هذه الاقتباسات إما ان تكون من كتابه **في المعدة** المسمّى **بالرجحان** ، أو في **الكُنّاش المشجر الكبير** ، أو من كليهما .

الصيدنة) . ومنه نسخة مخطوطة في القاهرة رقم ١٦ طب ، ومجسّة العروق(٦١) .

إن آثار يحيى بن ماسويه المخطوطة المعروفة والمحققة ، والمتوافرة بالعربية أو في ترجماتها إلى اللاتينية ، بوجه الخصوص ، تسمح لنا بأن نقول إنه قد ملأ فارغاً كبيراً في مجال تطوير المهن الصحية في عصره ، وهو عصر حاسم وخلاق ، بعث في العلوم الصحية روحاً مجدّدة ومبدعة ، وأعطى الطب العربي ، بفروعه المختلفة المعروفة آنذاك ، دفعة قوية إلى الأمام(٦٢) .

لقد منح ابن ماسويه بكتاباته حيوية وانطلاقاً لما يمكننا أن نطلق عليه اسم الطب العربي من ناحية ، وأسهم ، من جهة أخرى ، بقسط عظم في نقل التراث الطبي الغريقي ـ السرياني ، ولا سيا في الفترة الممتدة من العصور المسيحية ، إلى بزوغ فجر الإسلام ، وحتى نهاية القرن الثاني للهجرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما معاصرو ابن ماسويه المشهورون ، فمنهم : أسرة الدمشقي ، ولا سيا الحفيد أبو الحسن عيسى بن الحكم ، والثلاثة الأوائل من آل

---

(٦١) انظر ابن الجَزّار ، **في المعدة** ، تحقيق قطاية ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ ، ص١٨٧ ، يقتبس هنا صفة أقراص الكوكب ألفها يحيى بن ماسويه من **كتاب النجح** (أو **المنجح**) يصف بأنها تنفع من وجع المعدة ومن الريح وزيادة البلغم والمغص والحشاء ولشدّ البطن . انظر سزكين ، **تاريخ** ، ٣ : ٢٣٣ ـ ٥ ، يذكر **المرة السوداء أو الماليخوليا** ، مخطوط مشهد بايران ، رقم ٥٢٢٢ ، ومخطوط طهران ، بمجلس شوارى ، رقم ٥٢٨ في ١٤٣ق ، تاريخ النقل ٧١٥هـ/١٣١٥م ، حول **المنجح** لابن ماسويه .

(٦٢) سورينا وتروبو J.Sourina et Tropeau ، « ابن ماسويه » ، **Clio Medic.** ، ١٩٦٨ ، ج٣ : ١٠٩ ـ ١٧ ، وميلي **A.Mieli** ، « التشريح عند ابن ماسويه » ، **Archeion** ، ١٩٤٢ ، ج٢٤ : ٤٣٨ ـ ٤٢ ، **والعلم عند العرب** (في الفرنسية) ، ليدن ، بريل ، ١٩٦٦ ، ص٧١ ـ ٢ .

بختيشوع ، وسرابيون وولداه ، والكندي وصديقاه الحميان أبو الحسن علي بن سهل الطبري (المتوفى حوالي ٢٤٦هـ/٨٦١م) ، وأبو زيد حنين العبادي ، وأسرة الطيفوري . هؤلاء هم الرعيل الأول من واضعي أسس العلوم الطبية العربية بفروعها المختلفة . ومن حق ابن ماسويه علينا أن نذكر له فضله في هذا المضمار ، وأن ندرج اسمه في عداد هذا الرعيل الخالد[٦٣] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦٣) ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٢٠ - ٨٧ ، ولوكلير ، **تاريخ** ، طبعة الرباط ، ١٩٨٠ ، ج١ : ٩٩ - ١٤٢ ، **وتاريخ تراث** ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ج١ : ١٢١ - ٦٠ .

علم الأصوات عند العرب

الدكتور محمد حسان الطيان

علم الأصوات Phonétique علم جديد قديم : جديد لأنه واحد من فروع علم اللسانيات Linguistque الذي لا يعدو تأسيسهُ مطلعَ هذا القرن على يد اللغوي السويسري فردينان دوسوسّور (١٨٥٧-١٩١٣)[١] .

وقديمٌ لأنه واحد من العلوم التي تقوم عليها كل لغة ، فاللغة أصوات تتألف منها كلمات تنظم في جمل فتؤدي معاني شتّى ، أو هي على حد تعبير ابن جني : « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[٢] . والصوت كما قال الجاحظ : « هو آلة اللفظ ، والجوهرُ الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف ، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت . ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف»[٣] .

ولما كان الأمر كذلك فقد عُني أصحاب كلِّ لغة بأصواتها منذ أقدم

---

(١) مدخل إلى الألسنية ٣٠-٣١ ، وعلم الأصوات العام ١٠ ، ويلاحظ أن نسبة التأسيس إلى دوسوسور لا تعني أنه لم يسبق بدراسات مختلفة تنحو هذا النحو ، ولكنه عدَّ الرائد بكتابه « محاضرات في الألسنية العامة » انظر مقدمة الترجمة العربية لهذا الكتاب ص٣ .

(٢) الخصائص ٣٣/١ .

(٣) البيان والتبين ٧٩/١ .

العصور ، من ذلك ما أُثِر عن قدماء اليونان كأفلاطون وأرسطو من ملاحظات صوتية متناثرة ، وكذا ما ورد عن قدماء الرومان أمثال بريسكيان وترنتيانوس . أما الهنود فكانوا أكثر اتساعاً وأعمق أثراً في آرائهم الصوتية ، وهم أول من نظر إلى الدراسات الصوتية على أنها فرع مستقل من فروع علم اللغة ، واشتهر منهم بانيني بكتابه المسمى Ashtadhyayi[1] .

وجاء العرب المسلمون فخطَوا بهذه الدراسات الصوتية خطوات واسعة ، وضربوا فيها بسهم وافر ، شهد بذلك نَصَفَةُ الدارسين من الغربيين ، غير أولي الهوى والزيغ ، حتى قال قائلهم : « لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان العرب والهنود »[2] . وقال المستشرق الألماني شادِه عن الأصوات عند سيبويه : « فيستحق ما قد وصل إليه من غايات علم الأصوات أن نعتبره[3] كما أُجمع على تسميته كل من درسه من علماء الشرق والغرب مفخراً من أعظم مفاخر العرب »[4] .

ومع أن علم الأصوات لم يعرف بهذا الاسم عند العرب إلا في مرحلة لاحقة ، فإنه لم يغب عن مصنفات المتقدمين من علماء العربية (نحوها

---

(١) علم اللغة ٨٧–٨٨ ، والبحث اللغوي عند العرب ٣٤٢–٣٤٣ ، وفي صوتيات العربية ٤٥ . وبانيني نحوي هندي ، لعله الأقدم في العالم ، كما تقدر دائرة المعارف البريطانية ، إذ يعود إلى القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد . انظر (في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية) ٦٤ .

(٢) من كلمة للمستشرق الألماني برغشتراسر في كتابه التطور النحوي للغة العربية ، وقريب منها قول فيرث الإنكليزي : « إن علم الأصوات قد نما وشبّ في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية والعربية » . البحث اللغوي عند العرب ١٠١ .

(٣) كذا ، والصواب : نعده .

(٤) من محاضرة له بعنوان « علم الأصوات عند سيبويه وعندنا » نقلاً عن مقدمة كتاب ما ذكره الكوفيون عن الإدغام ٣٨ .

وصرفها وعروضها وبلاغتها وموسوعاتها الأدبية) والطب والحكمة والموسيقى والقراءة والتجويد ... ذلك أنه مازج هذه العلوم المختلفة وداخَلَها حتى لا تكاد تقع على كتاب فيها يخلو من كلام في علم الأصوات أو أثارةٍ منه . قال أبو نصر الفارابي : « وعلم قوانين الألفاظ المفردة يفحص أولاً في الحروف المعجمة عن عددها ومن أين خرج كل واحد منها في آلات التصويت وعن المصوت منها وغير المصوت وعما يتركب منها في اللسان وعما لا يتركّب »[١] .

ويمكن أن نصنّف العلوم التي أسهمت ولو على نحوٍ ما في علم الأصوات ، في زمرٍ ثلاث :

١ ـ علوم العربية : النحو والصرف والبلاغة والعروض ...
٢ ـ علوم الحكمة والفلسفة والطب والموسيقى .
٣ ـ علوم القراءة والتجويد والرسم والضبط .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ١ ـ

أما الزمرة الأولى فتبدأ بظهور أول معجم في العربية ، وهو كتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) والذي بُني على أساس صوتي ، وصدِّر بمقدمة صوتية تعد أول دراسة صوتية منظمة وصلت إلينا في تاريخ الفكر اللغوي عند العرب[٢] . ولا غروَ فصاحبها الخليل مفتاح العلوم ومصرفها ، وصاحب العروض ، ذو الباع الطويل بالموسيقى وغير ذلك مما له مساس بعلم الأصوات ، بل إن حمزة الأصفهاني ينسب إليه

---

(١) إحصاء العلوم ٤٧ ـ ٤٨ نقلاً عن التفكير اللساني في الحضارة العربية ٢٥٤ .

(٢) يراجع في هذا الباب كتاب التفكير الصوتي عند الخليل للدكتور حلمي خليل ، وفصل الأصوات اللغوية من كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي للدكتور مهدي المخزومي ٥٦ ـ ١٥٨ .

كتاباً مستقلاً في الأصوات اسمه « تراكيب الأصوات »[١]. وكان الخليل أسبق من ذاق الحروف ليتعرف مخارجها : « وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو : أَبْ ، أَتْ ، أَحْ ، أَعْ ، أَغْ ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق ، فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم »[٢] .

وتلاه كتاب سيبويه – حاوي علم الخليل – الذي تضمن دراسات صوتية أوفت على الغاية دقةً وأهميةً ، وتنوعت بتنوع مادتها ؛ فكان منها ما يتعلق باللهجات والمقايسة بينها والاستدلال لها[٣] ، ومنها ما يعرض للقراءات[٤] ، ومنها ما يتحدث عن ظواهر صوتية مختلفة كأحكام الهمز من تحقيق وتسهيل وهمزة بين بين[٥] ، والإمالة والفتح وما يتعلق بهما من أحكام[٦] .. والإعلال والإبدال والتعليل الصوتي لهما[٧] ... إلى غير ذلك من مباحث صوتية مبثوثة في طيّات الكتاب بأجزائه الأربعة . ويستأثر الجزء

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) التنبيه على حدوث التصحيف ١٢٠ ، ولم أقع على ذكرٍ لهذا الكتاب فيما رجعت إليه من تراجم الخليل ، على أن كتب التراجم تذكر له كتباً أخرى تنحو هذا النحو ككتاب النغم وكتاب الإيقاع . انظر معجم الأدباء ٧٤/١١ ، ووفيات الأعيان ٢٤٦/٢ ، والبغية ٥٦٠/١ .

(٢) العين ٤٧/١ .

(٣) انظر على سبيل المثال الكتاب ٥٧/١–٦٦ ، ٧١–٧٢ (٢٨/١–٣٣ ، ٣٦–٣٧ ط. بولاق) و٥٣٠/٣ (١٥٨/٢–١٥٩) .

(٤) انظر على سبيل المثال الكتاب ٥٨/١ ، ٥٩ ، ٧١ (٢٨/١ ، ٢٩ ، ٣٦) و٩١/٢ ، ١٠٨ (٢٦٢/١ ، ٢٧٠) .

(٥) الكتاب ٥٤١/٣–٥٥٦ (١٦٣/٢–١٧١) .

(٦) الكتاب ١١٧/٤–١٣٥ (٢٥٩/٢–٢٦٧) .

(٧) الكتاب ٣٣٤/٤–٤٣١ (٣٥٦/٢–٤٠٤) .

الرابع بأجلّ هذه المباحث وهو باب الإدغام[١] الذي استهله سيبويه بذكر عدد الحروف العربية ، ومخارجها ، ومهموسها ومجهورها ، وأصولها وفروعها ، وما إلى ذلك مما يدخل في تكوين النظام الصوتي العربي ليغدو أساساً ومرجعاً لكل من صنف في هذا الباب من النحاة واللغويين والقراء[٢] .

ثم تتابعت كتب النحو واللغة بعد سيبويه تنحو نحوه وتقفو أثره في تخصيص حيّز للدراسات الصوتية مرددةً تعبيراته ومصطلحاته في كل ما يتعلق بمخارج الحروف وصفاتها[٣] — وهو الباب الذي يعنينا هنا — وكان على رأسها ، مما وصلنا ، المقتضب[٤] للمبرد (٢٨٥هـ) والأصول في النحو لابن السراج (٣١٦هـ) ورسالة الاشتقاق[٥] له أيضاً ، والجمهرة[٦] لابن

(١) الكتاب ٤/٤٣١–٤٨٥ (٢/٤٠٤–٤٣٠) .

(٢) تناول كثير من اللسانيين المعاصرين مباحث الصوت في الكتاب بالدراسة والتتبع ، أذكر منهم الأستاذ شاده في بحثه علم الأصوات عند سيبويه وعندنا . والدكتور إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية ١١١– ١٣٥ . والدكتور أحمد مختار عمر في البحث اللغوي عند العرب ٩١–١٠٩ . والدكتور تمام حسان في اللغة العربية معناها ومبناها ٥٠–٦٣ . والدكتور حسام النعيمي في الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٥٧–٥٩ . والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في أطروحته : Linguistique Arabe et Linguistiqe general . ود. شاهين في أثر القراءات في الأصوات ١٨٢–٢١٩ ، والطيب بكوش في مقاله « النظريات الصوتية في كتاب سيبويه » حوليات الجامعة التونسية (١١) ١٩٧٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ١٠٥ ، والبحث اللغوي عند العرب ١٠٦ ، وأثر القراءات في الأصوات ١٩٨ .

(٤) المقتضب ١/١٩٢–١٩٦ . (باب مخارج الحروف) وهو المقصود من كل الإحالات التالية .

(٥) الأصول في النحو ٣/٣٩٩–٤٠٤ . ورسالة الاشتقاق ٣٤–٣٨ .

(٦) جمهرة اللغة ١/٦–٩ .

دريد (٣٢١هـ) والجمل[1] للزجاجي (٣٤٠هـ) والتهذيب[2] للأزهري (٣٧٠هـ) . ومما يدخل في هذا الباب شروح سيبويه المختلفة وفي مقدمتها شرح السيرافي[3][1] (٣٦٨هـ) والرماني[4] (٣٨٤هـ) والأعلم الشنتمري[5] (٤٧٦هـ) وشرح أبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) المسمى « تعليقة على كتاب سيبويه »[6][2] ، وغيرها من شروح الكتاب ، ولعل ما لم يصلنا منها أغزر

(١) الجمل في النحو ٤٠٩-٤١٣ .

(٢) تهذيب اللغة ٤٨/١-٥١ .

(٣) لم يطبع من شرحه سوى جزء جاء ضمن كتاب السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه للدكتور عبد المنعم فائز . على أن في آخر الشرح رسالتين في الإدغام نشرتا مؤخراً الأولى بعنوان ما ذكره الكوفيون من الإدغام تحقيق د. صبيح التميمي ، والثانية بعنوان إدغام القراء تحقيق د. محمد علي الرديني . وفي كلتيهما مادة صوتية صالحة . كما نشر د. رمضان عبد التواب مؤخراً جزءاً من شرح السيرافي خاصاً بالضرورة الشعرية ، لكن عنوانه لا يؤذن بكونه قطعة من شرح الكتاب لأنه اقتصر على : « ضرورة الشعر » لأبي سعيد السيرافي . دار النهضة ، بيروت ١٩٨٥ .

(1) ضرورة الشعر لأبي سعيد السيرافي الذي قام بطبعه الدكتور رمضان عبد التواب هو جزء من شرح السيرافي لكتاب سيبويه .

وقد قام الأستاذ الدكتور عوض القوزي بتحقيق هذا القسم من كتاب سيبويه والتعليق عليه ، وأصدره بعنوان : ما يحتمل الشعر من الضرورة (ط١/١٩٨٩م ، ط١٩٩١/٢م) . وقد طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع)/ش . ف .

(٤) مخطوط شرح الرماني ١٥٨/ب - ١٦٢/أ . وللرماني رسالة عنوانها النكت في إعجاز القرآن ضمَّنها أحكاماً صوتية في تنافر الحروف وتلاؤمها ٨٧-٨٩ .

(٥) في كتابه النكت في تفسير كتاب سيبويه ١٢٤٢/٢-١٢٤٨ .

(٦) منها نسخة خطية في مكتبة شهيد علي باسطنبول وقد عاينتها سنة ١٩٨١ مع الزميل الدكتور يحيى ميرعلم ، وجلبنا صورة عنها لأستاذنا العلامة أحمد راتب النفاخ رحمه الله .

(2) ويقوم الأستاذ الدكتور عوض القوزي بتحقيق كتاب التعليقة لأبي علي الفارسي وقد أصدر جزأين منها (الأول ١٩٩٠م ، والثاني ١٩٩٢م) ، وفقه الله لإتمامها / ش . ف .

مادة صوتية مما وصلنا فهي كثيرة أربت على الخمسين شرحاً[1] .

وتلا ذلك كله كتاب المفصل للزمخشري (٥٣٨هـ) الذي نسج على منوال سيبويه أيضاً فختم كتابه بباب الإدغام مستهلاً بذكر حروف العربية ومخارجها وصفاتها[2] ، وكان بهذا المادةَ الصوتية التي بنى عليها ابنُ يعيش (٦٤٣هـ) شرحَهُ الغنيَّ بالدراسة الصوتية[3] . ولا يكاد يدانيه في ذلك إلا الرضيُّ الأَسْتَراباذي (٦٨٦هـ) في شرحه للشافية حيث تداخل علم الصوت بعلم الصرف[4] .

ولا بد من الإشارة إلى أن ثمة كتباً تحمل اسم الأصوات أو ما يشاكلها لم تصل إلينا ، لكن المصادر حفظت أسماءها ، مثل كتاب الأصوات لقطرب النحوي[5] (٢٠٦هـ) تلميذ سيبويه ، والأصوات للأخفش[6] (٢١٥هـ) وليعقوب بن السكِّيت[7] (٢٤٦هـ) ولابن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) انظر المغني في تصريف الأفعال ٨ ، وتقديم كتاب سيبويه للأستاذ عبد السلام هارون ٣٥–٤١ .

(٢) جاء الإدغام في المفصل تحت عنوان « ومن أصناف المشترك الإدغام » . انظر المفصل ٣٩٣ – ٤٠٥ .

(٣) شرح المفصل ١٢٣/١٠ – ١٣١ حيث بسط ابن يعيش الكلام على مخارج الحروف وصفاتها ثم تابع الكلام على الإدغام حتى آخر الكتاب ١٣١/١٠– ١٥٥ . وانظر الأصوات اللغوية ١٢٨ – ١٣٥ حيث أثبت د. إبراهيم أنيس نص كلام الزمخشري وابن يعيش في جدول إلى جانب نصوص من الكتاب وسر الصناعة والنشر في مخارج الحروف وصفاتها تسهيلاً للموازنة بينها .

(٤) شرح الشافية ٢٢٠/٣–٢٦٤ ، والكلام هنا على مخارج الحروف وصفاتها ، أما ظواهر الإدغام والإعلال والإبدال والإمالة فلكلٍّ منها في الكتاب بابٌ مستقلٌّ وحديث متطاول .

(٥) الفهرست ٥٨ ، ومعجم الأدباء ٥٣/١٩ .

(٦) الفهرست ٥٨ ، وإنباه الرواة ٤٢/٢ .

(٧) الفهرست ٧٩ .

أبي الدنيا[١] (٢٨١هـ) . وكتاب الصوت والبَحّة ليحيى بن ماسويه[٢] . ومن ذلك أيضاً كتاب الصوت لجالينوس الذي نقله إلى العربية حنين بن إسحاق[٣] . ولعل من أعجب ما ذكر ابن النديم في هذا الباب كتاب آلة مصوتة تسمع على ستين ميلاً لمورطس[٤] .

على أن أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل ، ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته ابنُ جني (٣٩٢هـ) في كتابه سر صناعة الإعراب الذي بسط فيه الكلام على حروف العربية : مخارجها ، وصفاتها ، وأحوالها ، وما يعرض لها من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف ، والفرق بين الحرف والحركة ، والحروف الفروع المستحسنة والمستقبحة ، ومزج الحروف وتنافرها .. إلى غير ذلك من مباحث بوّأتْه المقامَ الأول في هذا الفن ، فعُدَّ بحقٍّ رائدَ الدراسات الصوتية ، وهو يعني ذلك إذ يقول : « وما علمتُ أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ، ولا أشبعه هذا الإشباع ، ومن وجد قولاً قاله ، والله يعين على الصواب بقدرته »[٥] .

ولا تقتصر جهود ابن جني الصوتية على ما في سر الصناعة وإنما

(١) الفهرست ٢٣٧ .

(٢) الفهرست ٣٥٤ .

(٣) الفهرست ٣٤٩ .

(٤) الفهرست ٣٢٩ .

(٥) سر صناعة الإعراب ٦٣/١ . وبعض الباحثين يعدّ ابن جني أول من استعمل مصطلح « علم الأصوات » وذلك بقوله في سرّ الصناعة للدلالة على هذا العلم ١٠/١ : « ولكن هذا القبيل من هذا العلم ، أعني علم الأصوات والحروف ، له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم » انظر البحث اللغوي عند العرب ٩٩ ولا يبعد هذا وإن لم نستطع القطع به لما تقدم من ذكر كتب الأصوات التي لم تصلنا .

تتعدّاه إلى كتبه الأخرى ، وفي مقدمتها الخصائص الذي تضمن مادة صوتيةً غنيةً جاء بعضها منثوراً في تضاعيف الكتاب[١] ، وأُفرد بعضها الآخر في أبواب مستقلة مثل باب في كمية الحركات ، وباب في مطل الحركات ، وباب في مطل الحروف[٢] .... الخ .

ويبدو أن موضوع طول الحركات والأصوات قد استبدّ بابن جني إلى حدٍّ جعله يفرده رسالةً ، لم تصلنا ، سماها « رسالة في مدّ الأصوات ومقادير المدات » ذكر ياقوت أنّه كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري وأنها في ست عشرة ورقة بخطّ ولده عال[٣] .

هذا وإن من وراء ما ذكرناه من كتب في علوم العربية كتباً أخرى حوت مادة صالحة في الصوت وما إليه ، نذكر منها : كتاب الجيم حيث عني أبو عمرو الشيباني (٢٠٦هـ) بلغات القبائل ولهجاتها المختلفة[٤] ، والبيانَ والتبيين حيث تكلم الجاحظ (٢٥٥هـ) على اللثغة ، والصوت ونسج الكلمة

---

(١) من مثل كلامه على حروف الهمس ١/٥٧–٥٩ ، وكلامه على جرس الحرف وأثره في الدلالة ١/٦٥– ٦٦ ، وكلامه على الإشمام وهمزة بين بين والروم ٢/١٤٤– ١٤٥ ... الخ .

(٢) الخصائص ٣/١٢٠– ١٣٣ .

(٣) معجم الأدباء ١٢/١١٣ . هذا وقد كتب الكثيرون عن جهود ابن جني الصوتية مثل هنري فليش : « التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني » مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء ٢٣ سنة ١٩٦٨ . والدكتور حسام النعيمي : « الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني » بغداد ١٩٨٠ . والدكتور محمد حسن باكلا : « ابن جني عالم الصوتيات » لندن ١٩٨٢ .

(٤) لا تكاد صفحة منه تخلو من لغات القبائل ولهجاتها الغريبة ، والمؤلف ينسب كلاً منها إلى أصلها بقوله : قال التميري .. وقال العبسيّ .. وقال الطائيّ .. الخ ، انظر على سبيل المثال : ١/٦٤–٦٥ . وانظر الدراسات اللهجية ٥٩– ٦٠ .

العربيـةوترددِالحروف فيها[١] ، والزينـةَ حيث تكلّـمأبو حاتم الرازي(٣٢٢هـ) على جرس حروف المدّ[٢] وقابـل بين العربيـة والفـارسيـة من حيث أصـواتُ كلٍّ منهما مما يدخل تحت علم اللغة التقابلي[٣] ، وإعجازَ القرآن حيث تكلم الباقلاني (٤٠٣هـ) على صفات الحروف وعلاقتها بفواتح السور[٤] ، وسرَّ الفصاحة حيث عقد الخفاجي (٤٦٦هـ) فصلاً مفرداً للأصوات تكلم فيه على ما هيتها وإدراكها ، وفصـلاً مفرداً للحروف تكلم فيه على حدِّها واختـلافهـا ومخارجهـا وصفـاتها ، ثم تناول موضـوع تأليف الحروف وتنـافرها[٥] ، والتفسيرَ الكبيرَ حيث تكلم الفخر الرازي (٦٠٦هـ) على الأصـوات وتولّدِها وأقسـامها وعلاقتها بعلم التشريح[٦] . والمباحثَ المشرقية في علم الإلهيات الطبيعيات . له أيضاً حيث تكلم على آلية التصويت كلاماً مُعجِباً يتوافق مع كثير مما جاء به علم الفيزياء الحديث[٧] .

---

(١) البيان والتبيين ١/١٤ ، ٢٢ ، ٣٤ ـ ٤٠ ، ٦٩ ـ ٧٤ ، ٧٩ . وانظر البحث اللغوي عند العرب ٩٧ ـ ٩٨ ، والمعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ٢٢ ـ ٢٣ .

(٢) الزينة ١/٦٤ و٢/٢٨ نقلاً عن دراسة في أصوات المد العربية ٨٣ ـ ٨٥ ، وانظر التصور اللغوي عند الإسماعيلية/ دراسة في كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي ٢٠٢ـ ٢١٧ .

(٣) أو Constrative Linguistique . انظر التصور اللغوي عند الإسماعيلية ٢٠٧ـ ٢٠٨ .

(٤) إعجاز القرآن ٤٤ ـ ٤٦ . وانظر البحث اللغوي عند العرب ٩٥ـ ٩٦ .

(٥) سر الفصاحة ٦ ـ ٢٤ ، ٥٣ ـ ٥٤ ، ٦٠ ـ ٦١ ، ٩١ ـ ٩٤ ، وانظر المعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ٢/١٣٢ـ ١٣٥ .

(٦) التفسير الكبير ١/١١ ، ١٥ ، ٢٩ ـ ٣١ ، ٤٧ ـ ٤٨ نقلاً عن دراسة في أصوات المد العربية ١٠٠ ـ ١٠٢ .

(٧) المباحث المشرقية للفخر الرازي ، الباب الرابع (في الكيفيات المسموعة) ١/٩١٤ (بيروت ١٩٩٠) .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

ولا نكاد نجد بعد هذا في كتب المتأخرين من النحاة واللغويين ما يمكن أن يتّسم بالأصالة في دراسة أصوات اللغة ، سوى تلك المحاولة التي جاءت في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي (٦٢٦هـ) من رسم بدائي لأعضاء النطق[١] .

– ٢ –

وأما الزمرة الثانية – زمرة الفلاسفة والأطباء والحكماء – فيقدُمُها فيلسوف العرب الكندي (٢٦٠هـ) الذي كانت له عناية متميزة بالأصوات ، تبدّت في أكثر من مصنّف ، وعلى رأس ذلك رسالته في استخراج المعمى حيث تكلم على تردّد حروف العربية ودورانها في الكلام معتمداً على إحصاء صنعه بنفسه ، وتقسيمها إلى مصوتة وخرس (صامتة) . وذكر قانوناً لغوياً عاماً يسري على كل اللغات وهو كونُ المصوتات أكثر الحروف تردداً . ونبّه على اشتمال المصوتة على المصوتات العظام ، وهي حروف المد ، والمصوتات الصغار ، وهي الحركات[٢] . Les Voyelles longues Les Voyelles breves ثم بسط الكلام على نسج الكلمة العربية باستفاضة إذ أورد ما يقرب من مئة قانون من قوانين ائتلاف الحروف واختلافها أو تنافرها[٣] .

---

(١) مفتاح العلوم ١٣ ، وانظر المدخل إلى علم اللغة ١٨ .

(٢) أحال الكندي عند تنبيه هذا على كتاب له سماه « في صناعة الشعر » وهو مظنّة التوسع في هذه القضايا . انظر علم التعمية واستخراج المعمى ١/٢٣٧ ، والفهرست ٣١٧ ، والمعجم العربي دراسة إحصائية ٢/٣٠ .

(٣) انظر بيان ذلك في رسالتي للماجستير « المعجم العربي دراسة إحصائية صوتية تحريرية ٢/٢٤ – ٤١ » وقد جمعتُ ثمة جملةً صالحة من النصوص المعنية بنسج الكلمة العربية . وانظر النص الكامل لرسالة الكندي في كتاب علم التعمية واستخراج المعمى ١/٢٠٤– ٢٥٩ .

وللكندي رسالة أخرى ذات مساس بالصوتيات بل بتطبيق دقيق من تطبيقاتها هو ما يدعى اليوم بأمراض النطق Troubles de la parole ، وهي رسالة اللثغة[1](3) ، وقد قدّم لها ببيانٍ وافٍ لآلية النطق ، وعلاقتها بالحروف ، وما تحتاجه كل لغة من اللغات السائدة آنذاك من الحروف ، ثم تكلم على أسباب اللثغة وما يعرض للسان من التشنج أو الاسترخاء ، ووصف مخارج حروف العربية وهيئات النطق بها وصفاً تشريحياً فيزيائياً على نحو يختلف عما عهدناه عند سيبويه وخالفيه . ثم حدّد حروف اللثغة ، وسمّى أعراضها وأنواعها وختم الكلام بعللها[2] .

ومخالفة نهج سيبويه في تتبع مخارج الحروف تفضي بنا إلى ملاحظة هامة تتعلق بطبيعة تناول هؤلاء الحكماء للصوت ، إذ هي تنزع نحو فيزيائية الصوت أو ما أطلق عليه بعض الباحثين اسم علم الصوتيات المَوْجي السمعي[3] Acoustique phonetique ولا غروَ فقد عرض حكماؤنا لمصدر الصوت ، وكيفية انتقاله في الهواء ، والمميزات الخاصة التي يتصف

---

(١) نشرتُها مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيقي في المجلد ٦٠ ج٣/ ٥١٥–٥٣٢ سنة ١٩٨٥ .

(3) وكان الأستاذ شلتناتو قد نشر الرسالة سنة ١٩٧٩م . انظر مجلة المجمع ، مج٦١ ، ج٢ ، ص ٤٣٠ – ٤٣١/ش. ف .

(٢) للكندي رسائل أخرى مظنة أن تنحو هذا النحو لمّا تجدْ طريقَها إلى النور ، منها رسالته في الأصوات الخمسة ، ورسالته في الإيقاع ، ورسالته في المدخل إلى صناعة الموسيقى . انظر الفهرست ٣١٦– ٣١٧ .

(٣) هو الدكتور يوسف الهليس ، انظر مقاله « علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء » في المجلة العربية للدراسات اللغوية المجلد الثالث العدد الثاني ١٩٨٥ ص١٠١– ١٢٣ . وقد تعقبه د . سعد مصلوح واقترح مصطلح « علم الأصوات الفيزيقي أو الفيزيائي » انظر العدد نفسه ١١٨ – ١٢٠ .

بها ، وكيفية وصوله إلى الأذن ، وإدراكه ، والتميز بين الأصوات اللغوية وغير اللغوية ، ووضع المعايير السمعية لتقسيم الأصوات اللغوية ، والنغمة الصوتية ، وشدة الصوت ... الخ[١] .

والفارابي (٣٣٩هـ) المعلم الثاني واحد ممن عُني بهذه الدراسات ، إذ انطوى كتابه الموسيقى الكبير على الكثير منها : من ذلك كلامه على حدوث الصوت والنغم ، وربطه بين المبدأ الطبيعي لحدوث الصوت وكيفية حدوث الكلام ، وعنايته بدرجة الصوت (حدّته وثقله) وإشارته إلى وجوب استعمال الآلات للقيام ببعض القياسات التي يصعب تحديدها بالسمع[٢] .

ومما ينحو هذا النحو رسالة الموسيقى[٣] لإخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) وقد اشتملت على عدة فصول أهمها فصل في كيفية إدراك القوة السامعة للأصوات فيه كلام على الأصوات ، وأنواعها ، ومصدرها ، وماهيتها ، ونغماتها[٤] ..

وجاء ابن سينا (٤٢٨هـ) فجمع هذا كله في رسالته الفذّة أسباب حدوث الحروف ، التي عالج فيها أصوات اللغة على نحو فريد لا نكاد نقع عليه عند أحد من المتقدمين ، وهو يتصل بما يسمى علم الأصوات النطقي phonetique articulatoir فقد جاء حديثه فيها حديثَ العالم الفيزيائي حين أشار إلى كنهِ الصوت وأسبابه ، وحديث الطبيب المشرح حين وصف

ARCHIVE http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

(١) علم الصوتيات الموجي والسمعي ١٠١ .

(٢) في مقال د. هليس السالف نصوص هذه المباحث والإحالات عليها انظر فيه الصفحات ١٠٢-١١٥ .

(٣) وهي الرسالة الخامسة من القسم الرياضي من رسائل إخوان الصفا ١/١٨٣-٢٤١ .

(٤) رسائل إخوان الصفا ١/١٨٨- ١٩٤ .

الحنجرة واللســـان ، وحديثَ اللغوي المجود حين عرض لوصف مخارج الحروف وصفاتها ، وحديثَ عالم الأصوات المقارنة حين تصدى لوصف أصوات ليست من العربية ، وحديثَ فقيهِ اللسان وأسرار الطبيعة حين ربط بين أصـوات الطبيعـة وأصـوات الحروف . وتميّز كلامُهُ في ذلك كله بمصطلحاتٍ لا تحسِب أحداً من علماء العربية يَشْرَكُهُ فيها . من أجل هذا سنخص رسالته بفضل بيان وتفصيل[1] .

قسم ابن سينا رسالته إلى ستة فصول :

– أولها في سبب حدوث الصوت[2] حيث ردَّ ذلك إلى القلع أو القرع اللذين يلزم عنهما تموّجٌ سريعٌ عنيفٌ في الهواء يُحدِث الصوتَ .

– وثانيهـا في سبب حدوث الحروف[3] حيث بيّن أن حـال المتموّج في نفسه من اتصال أجزائه أو تفرقها تفعل الحدة والثقل – وهما يمثلان شدة الصوت[4] pitch – وأن حاله من جهة الهيئات التي يستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه تفعل الحرف ، ثم يُعرِّف الحرفَ ، ويقسم الحروف إلى مفردة ومركبة موضحاً طبيعة كلٍّ منها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) كنت قد حققت هذه الرسالة بروايتيها مع الزميل الدكتور يحيى مير علم ، ونشرها مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣ .

(٢) أسباب حدوث الحروف ٥٦ـ ٥٨ .

(٣) أسباب حدوث الحروف ٥٩ـ ٦٣ .

(٤) من المعلوم في الصوتيات الفيزيائية اليوم أن الصوت الحاد أعلى تردداً من الصوت الثقيل ، فالتردد الأساسي لصوت المرأة ٣٥٠ـ ٥٠٠ هرتز (هزة بالثانية) في حين ينحصر التردد الأســاسي للرجل بين ١٠٠ـ ٢٥٠ هرتز ، ويمكن أن نمثل ما قاله ابن سينا هنا بصوت الطبل ، فكلما كان سطحه أملس وأجزاؤه متماسكة كان صوته حاداً ، وكلما كان سطحه متشظياً متشذباً غير متماسك كان صوته ثقيلاً .

– وثالثها في تشريح الحَنجرة واللسان[١] : حيث تبدَّت عبقريّة ابن سينـا الطبيّـة ، فشرَّح الحنجرة مبيّناً غضـاريفَهـا الثـلاثة (الدَّرَقي ، والطِّرْجهاري ، وعديم الاسم) وكيفيّةَ تركّبها وارتباطها بعضها ببعض عن طريق المفاصل والعضلات التي عدّدها وحدّدها تحديداً دقيقاً بعد أن قسمها إلى عضلاتٍ مضيقة للحجرة وأخرى موسّعة ، كما أشار إلى ارتباط بعضها بأنواع معيّنة من العظام (كالعظم الشبيه باللام) . ثم شرَّح اللسان مبيناً عضلاتِه الثماني وارتباطاتها المختلفة .

– ورابعها في الأسباب الجزئية لحرف حرف من حرف العربية[٢] وهو بيت القصيد من الرسالة إذ تناول فيه حروف العربية حرفاً حرفاً مبيّناً سببَ حدوثها وما يعتري كلاً منها من عمليّات عضوية تتبدّى في دفع الهواء ، وحبسـه ، وكيفية هذا الحبس ، والوسط الذي يتردّد فيه الهواء المدفوع من رطوبةٍ أو يبوسة أو ما إلى ذلك .

ولعلَّ من أهم ما في هذا الفصل تفريقَ ابنِ سينا بين الواو والياء الصامتتين ، والواو والياء المصوتتين ، ثم بيانه العلاقة بين المصوّتات الطويلة والمصوّتات القصيرة ومحاولته تحديد زمن حصول كل منها .

– وخامسهـا في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب[٣] ، حيث عرض لحروف أعجمية (فارسية ويونانية وتركية) تشبه بعض حروف العربية مثل G و V و P والزاء الظائية في مثل (يصدر) . واللام المطبقة في مثل (الصلاة) . وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعضَ هذه

---

(١) أسباب حدوث الحروف ٦٤ – ٧١ .

(٢) أسباب حدوث الحروف ٧٢ – ٨٥ .

(٣) أسباب حدوث الحروف ٨٦ – ٩٢ .

الحروف موجود في بعض اللهجات العربية والقديمة ، ومن ثمَّ فقد اشتملت عليه بعض القراءات القرآنية ، كما جاء في قراءة حمزة والكسائي (حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وأبونا شيخٌ كبيرٌ ﴾ [القصص : ٢٣] بإشمام الصاد صوت الزاي[١] وكما جاء في قراءة ورش ﴿ ويقيمونَ الصلاةَ ﴾ [البقرة : ٣] بتفخيم اللام[٢] .

- وسادسها في أن هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية[٣] . وهو فصل طريف يربط فيه ابن سينا بين أصوات اللغة والأصوات الطبيعية الأخرى محاولاً أن يتلمّس وجوه الشبه بينهما ، فالخاء عن حك جسم ليّن حكًّا كالقشر بجسم صلب ، والشين عن نشيش الرطوبات وعن نفوذ الرطوبات في خلل أجسام يابسة نفوذاً بقوة ، والطاء عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان بل ينحصر هناك هواء له دوي ، والتاء عن قرع الكف بإصبع قرعاً بقوة .. الخ .

ولا تخلو كتب ابن سينا الأخرى كالقانون والشفاء من إلماعات صوتية تدخل فيما نحن بسبيله[٤] . كما لا يعدم الباحث إسهامات مشابهة في هذا المجال عند خالفي ابن سينا كعبد اللطيف البغدادي (٦٢٩هـ) وهو واحد من فلاسفة الإسلام المكثرين من التصنيف في الحكمة وعلم النفس والطبّ ... ومن رسائله المتصلة بموضوعنا « مقالتان في الحواس » و« النفس

(١) انظر التيسير ٩٧ .

(٢) التيسير ٥٨ .

(٣) أسباب حدوث الحروف ٩٣-٩٧ .

(٤) انظر على سبيل المثال كلامه على تشريح الحنجرة واللسان في القانون ٦٤/١-٦٦ ، وكلامه على الصوت وآلته ومادته وباعثها ومؤدّيها في القانون ١١٤٥/٣- ١١٤٩ . وانظر كذلك كلامه على الحدة والثقل في الشفاء ١٠/٣ .

والصوت والكلام » و« اللغات وكيفية تولدها[١] » .

وأما الزمرة الثالثة – زمرة علماء القراءة والتجويد والرسم والضبط – فقد وُسِمَتْ مصنفاتُها بأنها أكثر الكتب احتفاءً بالمادة الصوتية ؛ وذلك لابتغائها الدقةَفي تأدية كلمات القرآن الكريم قراءةً وتدويناً إلى حدٍّ جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن هذه العلوم انفردت بالدرس الصوتي وأغنته[٢] ، على أنها أفادت من علم النحو عامة ومن كتاب سيبويه خاصة ، يقول برغشتراسر : « كان علم الأصوات في بدايته جزءاً من النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون ، وزادوا في تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم[٣] » .

والحق أن هذه العلوم تمثل الجانب التطبيقي الوظيفي لكل ماسبق ذكره من دراسات صوتية ، وقد ظهرت في مرحلة مبكرة من تاريخ حضارتنا العلمي صدعاً بالأمر الإلهي ﴿ ورتّلِ القرآنَ ترتيلاً ﴾ ووصولاً إلى الوجه الأمثل لهذه التلاوة ، ووصفاً لأوجه الأداء المختلفة التي تبدّت في القراءات القرآنية وانطوى عليها الرسم العثماني للمصحف . لكنها اقتصرت باديءَ الأمر على المشافهة والتلقين دون الكتابة والتدوين ، ثم ظهرت مصنّفات القراءات القرآنية التي عنيت ببيان وجوهِ الأداء المختلفة معزوةً إلى ناقليها : ووجوهُ الأداء هذه تشتمل على الكثير من الظواهر الصوتية ؛ كإدغام المتماثلين والمتقاربين وإظهارهما ، ونبر الهمز وتسهيله وإبداله وحذفه ، وإمالة الألف

---

(١) الأعلام ٦١/٤ وانظر مقال الدكتور الهليس السالف الذكر ص١٠٣ ، وبحث الدكتور عبد الكريم شحادة : « أضواء على الطبيب العربي والعالم الموسوعي عبد اللطيف البغدادي » ضمن أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ٦٩٣– ٧٧٤ .

(٢) الأصوات ووظائفها ٨٨ .

(٣) نقلاً عن كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ص١٤٩ .

والفتحة وفتحهما ... إلى غير ذلك مما يدخل تحت ما يدعى اليوم بعلم وظائف الأصوات Phonologie[(١)] .

ويعزو المؤرخون أول كتاب في القراءات إلى أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) الذي جعل القرّاء خمسة وعشرين قارئاً[(٢)] ، أما أول كتاب وصلنا في هذا الفن فهو كتاب السبعة لابن مجاهد (٣٢٤هـ) شيخ الصنعة وأول من سبّع السبعة ، وتواصلت بعده كتب القراءة تترى ، تقفو أثره ، وتنهل من منهله على اختلاف عدد القرّاء في كلٍّ منها[(٣)] .

أما فنُّ التجويد فأول من صنّف فيه موسى بن عبيد الله بن خاقان (٣٢٥) صاحب القصيدة الخاقانية في التجويد[(٤)] ، وهي تضم واحداً وخمسين بيتاً في حسن أداء القرآن الكريم[(٥)] ، وقد شرحها الإمام الداني (٤٤٤هـ) صاحب التصانيف العديدة في القراءات والتجويد ، ولعل من أهمها في هذا الباب رسالته « التحديد في الإتقان والتجويد[(٦)] » . التي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) علم اللغة العام ـ الأصوات ٢٨ـ ٢٩ ، وعلم الأصوات العام ٧ ، ١٧٦ .

(٢) النشر ٣٤/١ ، وكشف الظنون ١٣١٧/٢ .

(٣) يراجع فيها النشر ٣٤/١ ـ ٣٥ ، وكشف الظنون ١٣١٧/٢ ـ ١٣٢٢ ، وتاريخ التراث العربي ١٧/١ـ٣٦ .

(٤) كشف الظنون ٣٥٤/١ ، وأبجد العلوم ١٨٨/٢ .

(٥) حققها الدكتور علي حسين البواب مع مقتطفات من شرحها للداني في مجلة المورد العراقية مج ١٤ عدد١ سنة ١٩٨٥ . وانظر في نسخ هذه القصيدة ونسخ شرحها تاريخ الأدب العربي (المترجم) ٤/٥ وتاريخ التراث العربي ٢٩/١ـ٣٠ .

(٦) كذا ورد اسمها في المصادر ؛ كشف الظنون ٣٥٥/١ ، وغاية النهاية ٥٠٣/١ ، وغيرهما ، على أني أحتفظ بمصورة عنها أثبت عليها عنوان مغاير نصه : « كتاب تجويد التلاوة وتحقيق القراءة » وأصل هذه المصورة تحتفظ به مكتبة جار الله باصطنبول تحت رقم ٢٣ . هذا وقد أعلمني أستاذنا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنها نشرت مؤخراً .

ضمّنها باباً في ذكر مخارج الحروف وآخر في أصنافها وصفاتها ، ثم أتى على ذكر أحوال النون الساكنة والتنوين عند جميع حروف المعجم ، وأفرد باباً لذكر الحروف التي يلزم استعمال تجويدها وتعمّل بيانها وتخليصها لتنفصل بذلك من مشبهها على مخارجها[1] .

ومن أقدم ما وصلنا بعد القصيدة الخاقانية رسالة « التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي » لأبي الحسن علي بن جعفر السعيدي المقرئ (٤٦١هـ) وهي ذات موضوع طريف يتعلق بنطق الأصوات العربية ، ويكشف عن الانحرافات النطقية الخفية التي يمكن أن يقع فيها المتكلم لا سيما قارئ القرآن الكريم حيث يتطلب الأمر عناية خاصة بأداء الأصوات[2] .

ومما ينحو نحوها كتاب « بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء » لابن البناء (٤٧١هـ) وهو لا يقتصر على بيان الانحرافات النطقية في الأصوات والعجز عن أدائها وبيان كيفية علاجها ، إنما يتجاوز ذلك إلى معالجة موضوعات أخرى تتعلق بكيفيات الأداء ، وبيان العادات الذميمة المتعلقة بالهيئات والجوارح مع

(١) تجويد التلاوة للداني ورقة ٩٨/أ .

(٢) نشرت هذه الرسالة بتحقيق د. غانم قدوري حمد في مجلة المجمع العراقي سنة ١٩٨٥ م ج٣٦ ج٢/٢٤٠ – ٢٨٧ . والجدير بالذكر أن مؤلفها استخدم فيها مصطلحات صوتية تستأهل العناية والتتبع ، من ذلك ما جاء في قوله : « واللحن الخفي لا يعرفه إلا المقرئ المتقن الضابط الذي قد تلقّن من ألفاظ الأستاذين ، المؤدي عنهم ، المعطي كل حرف حقه غير زائد فيه ولا ناقص منه ، المتجنب عن الإفراط في الفتحات والضمات والكسرات والهمزات ، وتشديد المشددات وتخفيف المخففات ، وتسكين المسكنات ، وتطنين النونات ، وتفريط المدات وترعيدها ، وتغليظ الراءات وتكريرها ، وتسمين اللامات وتشريبها الغنة ، وتشديد الهمزات وتلكيزها .. » ص ٢٦٠ .

توضيح معايب النطق الخاصة ببعض الأصوات ، مما يدخل في بابي أمراض الكلام والأصول الواجب مراعاتها عند القراءة[1] .

على أن أوسع ما وصلنا في علم التجويد كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة[2] للإمام المقرئ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) صاحب التصانيف الجليلة في علوم القرآن والعربية وقد جمع فيه صاحبه فأوعى ، ثم زاد فأربى على كل من تقدمه ، وفي ذلك يقول : « وما علمت أن أحداً من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها ، ولا إلى ما أتبعت فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى ، والتنبيه على تجويد لفظه ، والتحفظ به عند تلاوته[3] » .

وحسبنا أن نشير ، تدليلاً على هذا ، أنه ذكر لحروف العربية أربعةً وأربعين لقباً ، بيّنها وشرحها ، « وكل واحد من هذه الألقاب يدل على معنى وفائدة في الحرف ليسا في غيره مما ليس له ذلك اللقب[4] » .

وتتابعت بعد ذلك رسائل التجويد تقفو أثر مال تقدم ، ولا نكاد نجد فيها جديداً يذكر . ولعل أبرزها ما وضعه الإمام ابن الجزري (٨٣٣هـ)

---

(١) عرّف الكتاب وحقق نصه د. غانم قدوري حمد في مجلة معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٨٧ . ج ٣١ ج١/٧–٥٨ . وتجدر الإشارة إلى أن ثمة مصنفات أخرى على هذه الشاكلة أشار إليها ابن البناء في كتابه وصرح بنقله عن واحدة منها لأبي الحسين المنادي (٣٣٦هـ) . انظر المرجع نفسه ٣٣ ، ٤٨ .

(٢) حققه د. أحمد حسن فرحات سنة ١٩٧٣ بدمشق ونشرته دار الكتب العربية ، ولأستاذنا المرحوم العلامة أحمد راتب النفاخ نقدات وملاحظ عليه ، كان قد أذن لي بنقلها إلى نسختي يرحمه الله .

(٣) الرعاية ٤٢ .

(٤) الرعاية ١١٣ . وانظر فيه باب صفات الحروف وألقابها وعللها ٩١–١١٨ .

المقرئ المشهور ، وله في هذا الباب أكثر من أثر ؛ من ذلك كتابه التمهيد في علم التجويد [١] وقد تناول فيه كل مسائل التجويد وضم إليها باباً في الوقف والابتداء ، وآخر في معرفة الظاء وتمييزها من الضاد [٢] . ومن ذلك أيضاً قصيدته المعروفة بالمقدمة الجزرية وهي أرجوزة في ثمانية ومئة بيت في التجويد والرسم والوقف والابتداء .. وقد تداولها خالفوه بشروح عديدة [٣] ، أذكر منها الحواشي المفهمة في شرح المقدمة لأحمد بن الجزري (٨٢٧هـ) ابن الناظم ، والدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية لزكريا بن محمد الأنصاري (٩٢٦هـ) [٤] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) حققه د. علي حسين البواب ، ونشرته مكتبة المعارف بالرياض ١٩٨٥ .

(٢) التمهيد في علم التجويد ١٦٥ ، ٢٠٩ .

(٣) ذكرها صاحب كشف الظنون ١٧٩٩/٢– ١٨٠٠ .

(٤) حققه د. نسب نشاوي ونشره بدمشق ١٩٨٠ .

ثبت المراجع

- أبجد العلوم ، صديق بن حسن القنوجي (١٣٠٧هـ) . أعده للطبع عبد الجبار زكار ، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، ١٩٨٨ .
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ .
- أسباب حدوث الحروف ، الحسين بن عبد الله بن سينا (٤٢٨هـ) ، تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- الاشتقاق ، ابن السرّاج (٣١٦هـ) ، تحقيق محمد علي درويش ومصطفى الحدري ، دار مجلة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٣م .
- الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ط٥ ، ١٩٧٥م .
- الأصوات ووظائفها ، محمد منصف القماطي ، منشورات جامعة الفاتح ١٩٨٦م .
- الأصول في النحو ، أبو بكر السراج (٣١٦هـ) ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- أضواء على الطبيب العربي والعالم الموسوعي عبد اللطيف البغدادي ، د. عبد الكريم شحادة ، أبحاث الندوة الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ، جامعة حلب ١٩٧٧م .
- إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ١٩٨١م .
- الأعلام ، خير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ ١٩٨٠م .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، علي بن يوسف القفطي (٦٤٦هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١ ١٦٣٩هـ - ١٩٥٠م .
- البحث اللغوي عند العرب ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٤ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

(٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

- بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء ، لابن البناء (٤٧١هـ) ، تحقيق د. غانم قدوري حمد ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج٣١/ج١ ، الكويت ، ١٩٨٧ .
- البيان والتبيين ، الجاحظ (٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٥ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة د. عبد الحليم النجار وزملائه ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ١٩٧٧م .
- تاريخ التراث العرب ، د. فؤاد سزكين ، ترجمة د. محمود حجازي و د. فهمي أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- تجويد التلاوة وتحقيق القراءة ، أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ) ، مصورة عن نسخة مكتبة جار الله باسطنبول رقم (٢٣) .
- التصور اللغوي عند الإسماعيلية - دراسة في كتاب الزينة للرازي (٣٢٢هـ) ، د. محمد رياض العشيري ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٥م .
- التفكير الصوتي عند الخليل ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط١ ١٩٨٨م .
- التفكير اللساني في الحضارة العربية ، د. عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ليبية - تونس ١٩٨١م .
- التمهيد في علم التجويد ، محمد بن الجزري (٨٣٣هـ) ، تحقيق د. علي حسين البواب ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- التنبيه على حدوث التصحيف ، حمزة الأصفهاني (٣٦٠هـ) ، تحقيق محمد أسعد طلس ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي ، لأبي الحسن علي بن جعفر السعيدي (٤٦١هـ) ، تحقيق د. غانم قدوري حمد ، مجلة المجمع العراقي ، مج٣٦/ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الازهري (٣٧٠هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون وزملائه ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ) ، بعناية أوتوبرتزل ، مصورة دار الكتاب العربي ببيروت ، ط٣ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .
- الجمل في النحو ، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (٣٣٧هـ) ، تحقيق علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ودار الأمل - إربد ، ط٢ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .
- جمهرة اللغة ، ابن دريد (٣٢١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، مصورة عن الطبعة الهندية ١٣٥١هـ .
- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ط٢ .
- الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٢ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د. حسام سعيد النعيمي ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٠م .
- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد ، زكريا بن محمد الأنصاري (٩٢٦هـ) ، تحقيق د. نسيب نشاوي ، دمشق ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، المجلد الأول - القسم الرياضي ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٥هـ .
- رسالة يعقوب الكندي في اللثغة ، تحقيق محمد حسان الطيان ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٦٠/ج٣ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) ، تحقيق د. أحمد حسن فرحات ، دار الكتب العربية ، دمشق ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- سر الفصاحة ، عبد الله بن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) ، تحقيق علي فوده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .
- سر صناعة الإعراب ، عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، الجزء الأول ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط١ ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م . نسخة ثانية دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي ، تحقيق محمد نور الحسن والزفزاف وعبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

– شرح كتاب سيبويه ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ) ، مصورة عن نسخة مكتبة فيض الله باصطنبول رقم (١٩٨٧) .
– شرح المفصل ، ابن يعيش النحوي (٦٤٣هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
– علم الأصوات العام – أصوات اللغة العربية ، د. بسام بركة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ١٩٨٨م .
– علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ، د. محمد مراياتي ، محمد حسان الطيان ، يحيى مير علم ، مطبوعات مجموع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
– علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء ، د. يوسف الخليس ، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، مج٣/العدد٢ ، الخرطوم ، ١٩٨٥ .
– علم اللغة العام – الأصوات ، د. كمال محمد بشر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥م .
– علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، دار النهضة العربية ، بيروت .
– غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري (٨٣٣هـ) ، بعناية ج ، برجستراسر ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
– الفهرست ، ابن النديم (٣٨٥هـ) ، تحقيق رضا تجدّد ، طهران ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١ .
– في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية ، د. غالب فاضل المطلبي ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٤م .
– في صوتيات العربية ، د. محيي الدين رمضان ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ١٩٧٩م .
– القانون في الطب ، الحسين بن سينا (٤٢٨هـ) ، تحقيق د. إدوار القش ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
– كتاب الجيم ، أبو عمرو الشيباني (٢١٣هـ) ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، مجمع اللغة العربية ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .
– كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م .
– كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي – د. إبراهيم السامرائي ، دار الهجرة ، إيران – قم ، ط١ ١٤٠٥هـ .
– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله الرومي المعروف

بحاجي خليفة (١٠١٧هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان . الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ط٢ ١٩٧٩م .
- ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، أبو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ) ، تحقيق د. صبيح التميمي ، دار الشهاب - باتنة - الجزائر .
- محاضرات في الألسنية العامة ، فردينان ده سوسُر ، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر ، دار نعمان للثقافة ، لبنان ، ١٩٨٤م .
- مدخل إلى الألسنية ، د. يوسف غازي ، منشورات العالم العربية الجامعية ، دمشق ، ط١ ١٩٨٥م .
- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- المعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ، محمد حسان الطيان ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق - ١٩٨٤م .
- المغني في تصريف الأفعال ، د. عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، ط٣ ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .
- مفتاح العلوم ، يوسف بن محمد السكاكي (٦٢٦هـ) ، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- المفصل في علم العربية ، الزمخشري (٥٣٨هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ .
- المقتضب ، أبو العباس المبرد (٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، مصورة عن نسخة القاهرة ١٩٦٣ .
- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري (٨٣٣هـ) ، تصحيح علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- النكت في إعجاز القرآن ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ) ، تحقيق محمد خلف الله أحمد - د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦م .
- النكت في تفسير كتاب سيبويه ، الأعلم الشنتمري (٤٧٦هـ) ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، ط١ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- وفيات الأعيان ، ابن خلكان (٦٨١هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(التعريف والنقد)

من كلام العرب قولهم

« أمّا أنت منطلقاً انطلقت »

وجولة مع الدكتور رمضان عبد التواب فيه

الدكتور محمد أحمد الدالي

« أمّا أنت منطلقاً انطلقت » من عبارات العربية التي كثر دورها على ألسنتهم ، واجترؤوا عليها بالحذف طلباً للخفّة ، وهم ممّا يفعلون ذلك فيما كثر استعمالهم إياه[1].

قال سيبويه[2] في « باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره في غير الأمر والنهي » : « ومن ذلك قول العرب : **أمّا أنت منطلقاً انطلقتُ معك** ، وأمّا زيدٌ ذاهباً ذهبتُ معه ، وقال الشاعر (العباس بن مرداس) :

أبا خُرَاشَـةَ أمّا أنت ذا نَفَرٍ فـإنَّ قوميَ لم تـأكلهم الضَّبُعُ

فإنما هي « أنْ » ضُمَّت إليها « ما » ، وهي « ما » التوكيد ، ولزمت كراهية أن يجحفوا بها ، لتكون عوضاً عن ذهاب الفعل .... **حتى صار كأنهم قالوا : إذْ صرتَ منطلقاً فأنا أنطلق معك** ، لأنها في معنى

---

(١) من ذلك قولهم « هل لك في كذا وكذا » . وقد بسطنا الكلام على هذه العبارة في مقالة أفردناها لها نشرتها مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٦٢ جـ٢/٣٧٦ – ٣٨٣ .

(٢) في الكتاب ١/١٤٧ – ١٤٨ .

« إذْ » في هذا الموضع ، و« إذْ » في معناها أيضاً في ذا الموضع ، إلا أنَّ « إذْ » لا يحذف معها الفعل ، و« أمَّا » **لا يذكر بعدها الفعل لأنه من المضمر المتروك إظهاره** حتى صار ساقطاً ...... فإن أظهرت الفعل قلت : إمّا كنت منطلقاً انطلقت ، إنما تريد ، إن كنت منطلقاً انطلقت . فَحَذْفُ الفعل لا يجوز ههنا كما لم يجز ثَمَّ إظهاره ، **لأنَّ « أمَّا » كثرت في كلامهم** واستعملت حتى صارت كالمثل المستعمل ...... » اهـ . وقال في موضع آخر[٣] : « .... وكما قلت : أمَّا أنت منطلقاً انطلقتُ معك ، حين لم يجز أن تبتدئ الكلام بعد « أمَّا » فاضطررت في هذا الموضع إلى أن تحمل الكلام على الفعل » اهـ . وقال في موضع آخر[٤] قبل هذا الكلام : « وسألتُه[٥] عن قوله : أمَّا أنت منطلقاً أنطلقُ معك ، فرفع ، وهو قول أبي عمرو ، وحدثنا به يونس . وذلك لأنه لا يجازى بـ « أنْ » ، **كأنه قال : لأن صرتَ منطلقاً أنطلقُ معك** » اهـ .

وقال أبو سعيد السيرافي في « شرح كتاب سيبويه » ، فيما نقله منه ملخصاً مَن وقف على طبعة بولاق من كتاب سيبويه[٦] ، عند قول سيبويه : « ومن ذلك قول العرب : أمّا أنت منطلقاً انطلقت معك .... إلخ » = قال : « اتفق الكوفيون والبصريون على وجوب حذف الفعل في هذا ونحوه ، واختلفوا في المعنى : فالكوفيون يقولون : هو بمعنى « أنْ » ، وإنَّ « أن » المفتوحة فيها معنى « إن » التي للمجازاة ، ويحملون قوله تعالى ﴿ أن

(٣) الكتاب ٤٧٤/١ .
(٤) الكتاب ٤٥٣/١ . وانظر المسائل المنثورة ١٥٨ ، وارتشاف الضرب ٩٩/٢ - ١٠٠ .
(٥) يعني شيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي .
(٦) حاشية الكتاب ١٤٨/١ .

تضل إحداهما ﴾ الآية [سورة البقرة : ٢٨٢] عليه . والبصريون يقولون : إنه على معنى التعليل ، أي لأن كنت منطلقاً أنطلق معك ، وشبهوها بـ « إذْ » ؛ ولأجل أنَّ الثاني استحق بالأول جاز دخول الفاء في الجواب » اهـ .

فقول العرب « أمَّا أنت منطلقاً انطلقت » وما كان على مثاله قد رواه البصريون والكوفيون ، و« أمَّا » مفتوحة الهمزة عند الفريقين ، والفعل « كان » أو « صار » بعدها محذوف عندهما جميعاً للتعويض عنه بـ « ما » ، وأصلها « أنْ ما » . ثم اختلفوا في جهة تفسيرها : فأهل الكوفة يجعلون « أنْ » بمعنى « إن » الشرطية ، وذهبوا في قول الشاعر :

أبا خراشة أمَّا أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

إلى أنّ الفاء في « فإنَّ » هي فاء الجزاء . وذهب البصريون إلى أن التقدير : « لأنْ كنت » فحذف الفعل وحذفت اللام ، وحذفُها قبل « أنْ » قياس(٧) .

وأما قولهم « أمَّا أنت منطلقاً أنطلقُ معك » فالذي رواه الخليل وأبو عمرو ويونس عن العرب أنهم يرفعون « أنطلقُ » لأنه لا يجازى بـ « أنْ » . وحكى الجرميّ(٨) المجازاة بـ « أمَّا » هذه ، وهو مذهب الكوفيين في جواز المجازاة بـ « أن » .

وقولُ الشاعر :

أبا خراشة أمَّا أنت ذا نفر فإنّ قومي لم تأكلهم الضبع

---

(٧) انظر مقالتنا « عبارة هل لك في كذا وكذا » ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٦٢ جـ٣٨٢/٢ – ٣٨٣ .

(٨) انظر المسائل المنثورة ١٥٨ ، وارتشاف الضرب ٩٩/٢ – ١٠٠ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذي استُشهد به في هذه المسألة عزي في مطبوعة الكتاب ١٤٨/١ (بولاق) إلى العباس بن مرداس السُّلَمي ، وليست النسبة من سيبويه نفسه . وإلى العباس عزي في شرح اللمع لابن برهان ٢٤٣ ، وأمالي ابن الشجري ٣٤/١ ، ٣٥٣ و٣٥٠/٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٩٩/٢ ، وشذور الذهب ٢٤٢ ، وتخليص الشواهد ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، والمقاصد النحوية ٥٥/٢ ، والخزانة ٨٠/٢ و٤٢١/٤ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ١٧٣/١ . ولم يرد في أصل ديوانه فزاده ناشره فيه ص١٢٨ .

ونسب إلى بعض هذيل في المفصل ٧٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٩٨/٢ ، والانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب ص٥٨ .

ونسب إلى مالك بن ربيعة العامري في اللسان (ض ب ع) .

وعزي ضلة إلى خفاف بن ندبة السلمي ، انظر ديوانه ص ١٣٢ .

وهو بلا نسبة في الخصائص ٣٨١/٢ ، والمنصف ١١٦/٣ ، والفصول لابن الدهان ٤٢ ، والإفصاح للفارقي ٢٨٨ ، وشرح المفصل ١٣٢/٨ ، وسفر السعادة ٧١٩ ، والإنصاف ٧١ ، ورصف المباني ٩٩ ، ٢٠١ ، وأمالي ابن الحاجب ١٢٣/٢ ، ١٤٥ ، وشرح الكافية ٢٥٣/١ ، والأزهية ١٤٧ ، والجنى الداني ٥٢٨ ، وأوضح المسالك ١٦٥/١ ، وشرح التصريح ١٩٥/١ ، وحاشية الخضري على ابن عقيل ١١٨/١ ، وحاشية الصبان على الأشموني ٢٤٤/١ و٢٤٩/٤ ، وهمع الهوامع ١٠٦/٢ ، وغيرها .

وقد روي « إمَّا كنتَ ذا نفر » ، وعلى هذه الرواية لا شاهد في البيت على المسألة .

ولمّا وقف الدكتور رمضان عبد التواب على هذه الرواية « إمّا كنت

ذا نفر » علق عليها بقوله في كتابه « بحوث ومقالات في اللغة »[٩] في الفصل الثاني منه « حاجة تراثنا اللغوي إلى التهذيب والتنقية » : « إنه ليلاحظ في هذا التراث النحوي أنّ فيه متابعة تكاد تكون كاملة ، لكثير مما جاء به سيبويه في كتابه ، دون تمحيص أو تدقيق ، على ما في بعض مسائله أحياناً من الخطأ المبني على تحريف في الرواية أو تغيير في الشواهد العربية . وهذا مثال واحد ، من أمثلة كثيرة ، يدل على صدق ما نذهب إليه .

يرى النحاة العرب ، منذ أيام سيبويه ، أنّ (كان) الناسخة تحذف وحدها أحياناً ، وذلك بعد أن المصدرية ، في مثل قولك : « أمّا أنت منطلقاً انطلقت » ...... ويستشهدون على ذلك بقول العباس بن مرداس السلمي :

أبا خراشة أمّا أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقول الشاعر :

أما[١٠] أقمت وأما أنت مرتحلاً فالله يكلأ ما تأتي وما تذر

ويبدو أن هذه المسألة مبنية على تحريف وقع في بيت العباس بن مرداس السلمي ، وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة ، بين شاهدَي هذه المسألة ، لأن البيت الثاني يروى بلا نسبة ، كما أنه يحتوي على عبارات إسلامية ظاهرة ، مما يدل على أنه مصنوع بعد وضع القاعدة وعلى ضوئها .

وهذا يعني أن المسألة لا وجود لها في اللغة العربية أصلاً ، وأنّ النحاة

---

(٩) ص١٥٥ – ١٥٧ منه .

(١٠) كذا وقع ، وصوابه « إمّا أقمت وأمّا » الأولى منهما مكسورة ، والبيت في تهذيب اللغة ٣٢١/٦ و٦٢٩/١٥ ، وشرح أبيات المغني ١٧٩/١ ، وأمالي ابن الحاجب ١٢٣/٢ ، ١٢٤ ، وارتشاف الضرب ٩٩/٢ ، وشرح المفصل ٩٨/٢ .

وعلى رأسهم سيبويه أو شيوخه ، قد وقعوا في التحريف في بيت العباس بن مرداس ، وقاسوا عليه أمثلتهم الأخرى ، وأنّ صواب رواية البيت :

أبا خراشة إمّا كنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

هكذا : « إمّا كنت » بدلاً من « أما أنت » التي يزعم النحاة منذ أيام سيبويه أن البيت يروى بها . و« إمّا » هذه هي « إن » الشرطية المؤكدة بما الزائدة ......

ولعل الدليل على صحة ما نقول ، أن بيت العباس بن مرداس ، يروى كثيراً في غير كتب النحو (التي ينقل بعضها عن بعض) ، بالرواية الصحيحة ، وهي « إما كنت » . ويكفي أن تراجع ذلك في كتاب العين للخليل بن أحمد ٣٣١/١ وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١١٠/٢ ، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت ٢٦ وحماسة الخالديين ٨٩/١ . وجمهرة اللغة لابن دريد ٣٠٢/١ ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٣/١ ، ولسان العرب (خرش) ١٤٣/٨ ، والاشتقاق لابن دريد ٣١٣ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٤١/١ ، وشرح ديوان جرير لمحمد بن حبيب ٣٤٩/١ ، والحيوان للجاحظ ٢٤/٥ ؛ ٤٤٦/٦ وغير ذلك » اهـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا كلامه . وفيما يأتي تعقيب على مواضع من كلامه :

١ ـ قوله « ويبدو أن هذه المسألة مبنية على تحريف وقع في بيت العباس بن مرداس السلمي ، وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة ، بين شاهدَي هذه المسألة » فيه أنّ المسألة مبنية على هذين البيتين ، وليس الأمر كذلك . بل المسألة مبنية على ما أطبق أئمة البصريين والكوفيين على روايته عن العرب في كلامهم نحو « أما أنت منطلقاً انطلقت معك » . والبيتان مما يستشهد به من الشعر على المسألة ، ولم تبنَ المسألة عليهما .

وفيه أيضاً القطع بأن روايته « أما أنت » تحريف وأن من رواها كذلك محرِّف للرواية . والدكتور لم يذكر ما دعاه إلى اتهام هذه الرواية لا من جهة روايتها ولا من معناها . وهذا منه تحكّم واطمئنان إلى رأي رآه بغير دليل .

وفيه أيضاً أن البيت الذي اختلف في نسبته لا يستشهد به !! وهذا شيء غريب لا يقوله من كان له عناية بشواهد العربية ومعرفة بقواعد الاحتجاج بها . وشواهد العربية التي هي دلائل على مسائلها : القرآن الكريم وقراءاته ، والحديث الشريف المروي عن النبي عليه السلام بلفظه أو بلفظ من يحتج به ، وكلام من يحتج به شعراً ونثراً .

وقوله في بيت العباس : « وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة » غير صحيح ، فقد عزي البيت إلى غيره ، وليس ذلك بضارِّه شيئاً .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ – وقوله : « لأن البيت الثاني يروى بلا نسبة ، كما أنه يحتوي على عبارات إسلامية ظاهرة ، مما يدل على أنه مصنوع بعد وضع القاعدة وعلى ضوئها » غريب من كل وجه . فالعباس بن مرداس شاعر إسلامي ، وهو محتج بكلامه المشتمل على معان إسلامية والخالي منها . وقد أطبق العلماء على الاحتجاج بشعر أهل الجاهلية وأهل الإسلام إلى نحو سنة ١٥٠هـ . ولو ذهب ذاهب مع الدكتور فأسقط ما كان فيه عبارات إسلامية أو كان قائله إسلامياً لأسقط قدراً عظيماً مما يحتج به في كل علم من العلوم .

وقد استشهد سيبويه(١١) وغيره بشعر الشعراء الإسلاميين ، وآخرهم إبراهيم بن هرمة ، ومنهم جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، والحطيئة ، والراعي ، ورؤبة ، والعجاج ، وابن قيس الرقيات ، والعباس بن مرداس ،

(١١) انظر « شواهد الشعر في كتاب سيبويه » ٢٦٨ – ٣٠٣ (شعراء سيبويه) .

وحسان بن ثابت ، وابنه عبد الرحمن ، وهدبة بن خشرم العذري ، والطرماح ، وغيرهم .

٣ – وقوله « وهذا يعني أن المسألة لا وجود لها في اللغة العربية أصلاً ، وأن النحاة وعلى رأسهم سيبويه أو شيوخه ، قد وقعوا في التحريف في بيت العباس بن مرداس وقاسوا عليه أمثلتهم الأخرى ، وأنّ .... » دعوى بغير دليل ، وطعن صريح في جلة من علماء العربية الذين رووا ما سمعوا من العرب ومنهم الخليل وأبو عمرو ويونس وسيبويه وأهل الكوفة ، وما منهم إلا ثقة ثبت إمام ، أدّوا ما سمعوه من العرب ، واختلفوا في تفسير أشياء منه .

وقوله « لا وجود لها في اللغة أصلاً » أغرب ما في كلامه ولا يكاد يقضى منه العجب . فمن مضى من الأئمة الأثبات جميعاً حكوا أن العرب يقولون « أمَّا أنت منطلقاً انطلقت » ونحوه ، وهم قد علموا ذلك وفسروه ، والدكتور رمضان يقول : « لا وجود لها في اللغة العربية أصلاً » !! وأنى له أن يدعي هذا ؟! وللدكتور – بلا ريب – أن يوافقهم أو يخالفهم في تفسير ما رووه عن العرب .

ومدار الأمر وملاكُه في شواهد العربية – وإن عرف قائلوها أو جهلوا أو تعدّدت الرواية فيها أو اختلف في نسبتها – على مخارج روايتها وصدق رواتها والثقة بهم(١٢) . قال أبو سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه(١٣) ، في إنكار أبي العباس المبرد « لولاي » وخطأ الشعر الوارد فيه ، وهو قول يزيد بن الحكم الثقفي :

وكم موطنٍ لولاي طِحْتَ كما هوى ... بأجْرامِه من قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي

(١٢) انظر كلام ابن جني في الخصائص ٣/٣٠٩ – ٣١٣ في الباب الذي عقده لصدق النقلة وثقة الرواة والحملة .

(١٣) انظر حاشية الكتاب ١/٣٨٨ .

« ما كان لأبي العباس أن يسقط الاستشهاد بشعر رجل من العرب قد روى قصيدته النحويون وغيرهم ولا أن ينكر ما أجمع الجماعة على روايته عن العرب ... » اهـ . وقال ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه[١٤] : « فلا ينبغي أن يذهب إنسان له علم وتحصيل إلى أن سيبويه غلط في الإنشاد ، وإن وقع شيء مما استشهد به في الدواوين على خلاف ما ذكر = فإنما ذلك سمع إنشاده ممن يستشهد بقوله على وجه ، فأنشد ما سمع ، لأن الذي رواه قوله حجة ، فصار بمنزلة شعر يروى على وجهين » اهـ . وقال[١٥] أيضاً : « واعلم أن اختلاف الإنشاد إذا وقع في مثل ذا الموقع لا ينبغي أن ينسبه أحد إلى اضطراب سيبويه ، وإنما الرواية تختلف في الإنشاد ، ويسمعه سيبويه ينشد على بعض الروايات التي له فيها حجة ، فينشده على ما سمعه ، ويرويه راو آخر على وجه آخر لا حجة فيه ، والرواة المختلفون إنما أخذوه من أفواه العرب الذين يحفظون الأشعار ، فالتغيير واقع من جهتهم . والشواهد في كل رواية صحيحة لأن العربي الذي غيَّر الشعر وأنشده على وجه دون وجه قولُه حجة ، ولو كان الشعر له لكان يحتج به . ألا ترى أن الحطيئة راوية زهير وكثيِّراً راوية جميل ، والراوي والمروي عنه كلاهما حجة » اهـ . وهذا كلام نفيس في بابه جامع بيِّن .

هذا كلام ابن السيرافي في موضعين من كتابه « شرح أبيات سيبويه » ، وقد كان تحقيقه موضوع رسالة دكتوراه بإشراف الدكتور رمضان .

فقول العرب إذاً « أمَّا أنت منطلقاً انطلقت » ونحوه من الأمثلة التي

---

(١٤) شرح أبيات سيبويه ٣٠٣/١ .

(١٥) المصدر نفسه ١١٨/٢ . وانظر الشعر والروايات المتعددة في « شواهد الشعر في كتاب سيبويه » ٣٠٧ – ٣٨٨ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقفنا عليها في الشعر والنثر والتي لم نقف عليها مما كثر في كلامهم . وأصله : لأنْ كنت منطلقاً ، والمصدر المؤول من أن وما بعدها في محل جرّ باللام المتعلقة بالعامل المؤخر « انطلقت » ؛ فحذفت اللام قبل أن ، وحذفها في ذا الموضع حسن كثير ، فصار : أن كنت منطلقاً ، ثم حذفت « كان » فانفصل الضمير ، وعوضوا بـ « ما » عن كان المحذوفة وأدغمت النون من أن في ما ، فصار « أمّا أنت منطلقاً » .(١٦)

والفعل المحذوف بعد « أن » المصدرية والمعوض عنه بـ « ما » من الأفعال المضمرة المتروك إظهارها عند جمهور البصريين ، وأجاز المبرد إظهاره ، وعنده هو ومن وافقه أن « ما » زائدة لا عوض . وذهب جماعة من البصريين منهم أبو علي الفارسي وابن جني(١٧) إلى أن « ما » المعوض بها عن « كان » هي العاملة في الاسم والخبر لا « كان » .

وعند الكوفيين ومن وافقهم(١٨) أنّ « أنْ » في ذا الموضع شرطية بمعنى « إنْ » . والفاء التي في نحو قوله :

أبا خراشة أمّا أنت ذا نفر فإنّ قومي لم تأكلهم الضبع

عندهم فاء الجزاء ، وهي زائدة عند البصريين .

والكوفيون يقولون « أمّا أنت منطلقاً أنطلقْ معك » بالجزم ، ويجوزون رفعه لكون الشرط محذوفاً حذفاً لازماً ، والبصريون يرفعونه ولا يجيزون جزمه .

---

(١٦) انظر تعليق محقق المقتضب ٣٤/٤ ح٤ ، والأزهية ١٤٨ ، وشرح الكافية ٢٥٣/١ ، وحاشية الخضري على ابن عقيل ١١٨/١ ، وهمع الهوامع ١٠٦/٢ .

(١٧) انظر الخصائص ٣٨١/٢ ، والمغني ٥٧٢ .

(١٨) منهم ابن هشام في بعض كلامه ، انظر المغني ٥٤ . وقال الرضي في شرح الكافية ٢٥٣/١ : « ولا أرى قولهم بعيداً من الصواب » .

المصادر والمراجع

ارتشاف الضرب ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الدكتور مصطفى النحاس ، مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٨٩ .

الأزهية في علم الحروف ، للهروي ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢ .

الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ، للفارقي ، تحقيق سعيد الأفغاني ، جامعة بنغازي ، ط٢ ، ١٩٧٤ .

أمالي ابن الحاجب (الأمالي النحوية ، لابن الحاجب) تحقيق هادي حمودي ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب بيروت ١٩٨٥ .

الأمالي الشجرية ، لابن الشجري ، حيدر آباد ١٣٤٩هـ .

الإنصاف في مسائل الخلاف ، لأبي البركات بن الأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بمصر ، ط٤ ، ١٩٦١ .

الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب ، لابن عدلان ، تحقيق الدكتور حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٨ .

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، ط٥ ، ١٩٦٧ .

بحوث ومقالات في اللغة ، للدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ، ١٩٨٢ .

تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ، لابن هشام ، تحقيق الدكتور عباس الصالحي ، دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٨٦ .

تهذيب اللغة ، للأزهري ، تحقيق عبد السلام هارون ومحمد علي النجار وآخرين . الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ – ١٩٦٧ .

الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية بحلب ١٩٧٣ .

حاشية الخضري على ابن عقيل ، دار إحياء الكتب العربية بمصر .
حاشية الصبان على الأشموني ، دار إحياء الكتب العربية بمصر .
خزانة الأدب ، للبغدادي ، بولاق ١٢٩٩هـ .
الخصائص ، لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢ .
ديوان العباس بن مرداس ، جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري ، دار الجمهورية ببغداد ١٩٦٨ .
رصف المباني في شرح حروف المعاني ، للمالقي ، تحقيق أحمد الخراط ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥ .
سفر السعادة وسفير الإفادة ، للسخاوي ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣ .
شرح أبيات سيبويه ، لابن السيرافي ، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٣ .
شرح أبيات مغني اللبيب ، للبغدادي ، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث بدمشق ١٩٧٣ .
شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد الأزهري ، دار إحياء الكتب العربية .
شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، رتبه وعلق عليه عبد الغني الدقر ، دار الكتب العربية بدمشق ودار الكتاب .
شرح الكافية ، لرضي الدين الأستراباذي ، الشركة الصحافية العثمانية ١٣١٠هـ .
شرح اللمع ، لابن برهان ، تحقيق الدكتور فائز فارس ، الكويت ١٩٨٤ .
شرح المفصل ، لابن يعيش ، المطبعة المنيرية .
شواهد الشعر في كتاب سيبويه ، للدكتور خالد عبد الكريم جمعة ، مكتبة دار العروبة بالكويت ١٩٨٠ .
الفصول في العربية ، لابن الدهان ، تحقيق الدكتور فائز فارس ، مؤسسة الرسالة ودار الأمل ، بيروت ١٩٨٨ .
الكتاب ، لسيبويه ، بولاق ١٢٩٩هـ .
لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر بيروت .
مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٦٢ جـ٢ .
المسائل المنثورة ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق مصطفى الحدري ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦ .

مغني اللبيب ، لابن هشام ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر بيروت ، ط٥ ، ١٩٧٩ .

المفصل ، للزمخشري (مع شرح شواهده للنعساني الحلبي) ، طبعة مصورة ، دار الجيل بيروت .

المقاصد النحوية ، للعيني ، (بهامش خزانة الأدب ـ ط بولاق) .

المقتضب ، للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ١٩٦٣ .

المنصف ، لابن جني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤ .

همع الهوامع ، للسيوطي ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٩٧٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(آراء وأنباء)

مؤتة للبحوث والدراسات

مأمون الصاغرجي

وصل إلى خزانة المجمع مؤخراً مجلة « مؤتة للبحوث والدراسات » من سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة مؤتة –الأردن ، (المجلد الثامن/ العدد الثاني/ أيلول ١٩٩٣) وكان موضوع هذا العدد اللغة العربية .

افتتح العدد بمقال عنوانه « عوف بن محلم الخزاعي » حياته وشعره ، كتبه رشدي حسن (ص ١١ – ٦٧) . استهل الكاتب مقاله بمقدمة بيَّن فيها الأسباب الداعية إلى كتابته ، ولخص فيها مضمون بحثه ، ثم تناول بالتفصيل حياة الشاعر وعلاقاته الاجتماعية ، وألمَّ بالأغراض الشعرية التي تناولها في شعره ، وتكلم في الخصائص الفنية التي تميز بها ، ثم ذكر المصادر التي استخرجه منها والمنهج الذي اتبعه في جمع شعره ، وكان قد جعله في قسمين : الأول ما صحت نسبته إلى الشاعر ، والثاني ما ينسب إليه وإلى غيره من الشعراء .

وقام الكاتب بضبط النص وتخريجه من المصادر ، وأثبت اختلافات الروايات ، وشرح ما احتاج إلى شرح ، وهو جهد يشكر له ، ولكن يبدو أن الأخطاء الطباعية شوَّهته وأحالت ألفاظه ومعانيه إلى الالتواء ، فمثلاً في البيت الثالث من المقطّعة الأولى ص٣٠ جاء ضبطه هكذا « وأبصِر ما يُرِيُّهُـمُ » والصـواب « وأبصِرْ ما يَرِيبُهُـمُ » وفي البيت الثالث من المقطعة١٢ ص٤٦ : « نوح حملة » والصواب « نوح حمامة » . وفي البيت

الخامس من المقطعة ١٣ ص٥١ : «أمالكِ رحمةً» والصواب «رحمةٌ» بالرفع .

ولو رحنا نستعرض جميع الأخطاء لما خلت منها مقطعة أو بيت .

وثمة ملاحظات تؤخذ على الكاتب في عمله ، ففي المقطعة الثامنة ص٣٨ في البيت الأول :

أنشـــدني رَوْحٌ مـــديحـــاً له فقلت : شعرٌ ؟ قال لي : فائِش

ثم علق الكاتب على البيت بقوله : فيش : لعلها منحوتة من « فأي شيء هو » وفي معاجم اللغة : فاش الرجل فيشاً : افتخر وتكبر ورأى ما ليس عنده ، فايشه مفايشةً : فاخره . وفايش الرجل : أكثر الوعيد في القتال ثم لم يفعل . (انظر تاج العروس ج١٧ ص٣١٩ وما بعدها ، مادة فيش) والمعنى الأول هو المقصود اهـ .

قلت : الصواب أنها منحوتة من قولهم : « أي شيء هو » كما جاء في معجم متن اللغة (أيش) ، والفاء للاستئناف ، إذ لا صلة للفظ (الشيء) بمادة (فيش) ، وربما أوقع الكاتبَ في اللَّبْس ضرورة الوزن التي ألجأت الشاعر إلى تحويل همزة القطع من قوله « فأيش » إلى جعلها همزة وصل « فايش » ليستقم وزن البيت من السريع .

وضبط الكاتب البيت الخامس من المقطعة التاسعة ص٣٩ هكذا :

ركبتُ بـه الأهوال حتى تركتـه بمنزِلِ ضنكٍ لا يكدّ ولا يَمضي

والصـواب أن يكون « بمنزلِ » على أنه مضـاف إلى « ضنكٍ » ليستقيم وزن البيت من الطويل .

وجاء في المقطعة (١١) البيت الخامس ص٤١ هكذا :

وقـاربت مـني خُطىً لم تكنْ مقـاربـاتٍ وثنت من عنـانْ

فخطىً جمع خطوة ، والصواب في كتابتها هكذا « خُطاً » لأن أصلها واوي .

ومن مقالات هذا العدد « الغربة في شعر أسامة بن منقذ (٤٨٨هـ/١٠٩٥م - ٥٨٤هـ/١١٨٨م) (ص٦٩- ١١٨) كتبه حلمي إبراهيم عبد الفتاح الكيلاني ، بدأه بمقدمة بيَّن فيها مفهوم الغربة والاغتراب في اللغة وعلم النفس ، وأشار إلى هدف دراسته هذه أنها التحدث عن الغربة المكانية أو غربة النفي قهراً في حياة أسامة وشعره . وأتبع المقدمة بمدخل تمهيداً لفهم الحياة السياسية في عصر أسامة وأسرته والاضطرابات التي عاشتها في زمن الاحتلال الصليبي ، وما تعرضتْ له من اضطهاد وتغريب ، ثم تحدث بشيء من التفصيل عن غربته واغترابه عن موطنه ، فكانت غربته الأولى من سنة ٥٢٥ - ٥٣٢هـ من جراء تخوف عمه سلطان بن علي حاكم شيزر منه ، إذ كان دائم الافتخار ببطولته وشجاعته ، وربما كان ولعه باصطياد الأسود وجز رؤوسها ما نفر قلب عمه منه ، وأدى إلى تخوفه على سلطانه ، ففي منتصف إحدى الليالي يأمره عمه بالخروج معه إلى موقع سماه خارج شيزر ، وفيه صارحه ببغضه ، وأبدى له تخوفه منه على سلطانه ، وطلب إليه ألا يساكنه شيزر ؛ فامتثل لأمره وودَّعه .

وينتظم أسامة في جيوش عماد الدين زنكي ، ولا يني في الفخر بشجاعته وبلائه في المعارك التي خاضها معه ضد الصليبيين ، ويجد في عمله هذا عزاءً عن فقد أهله ووطنه .

وحين يهاجم الروم والفرنج قلعة شيزر يهبُّ للدفاع عنها ناسياً ما كان بينه وبين عمه سلطان ، آملاً أن يستقرَّ في وطنه من جديد ، إلا أن عمه لم يستطع التخلص من حقده ، فنفاه مرةً ثانية مع أسرته وأخوته سنة ٥٣٢ ، فذهب بهم إلى دمشق ، ثم انتقل منها إلى مصر سنة ٥٤٠ ومكث بها إلى سنة ٥٤٩ حيث عاد إلى دمشق ، وبقي فيها إلى أن حدث زلزال مروِّع في

شيزر عام ٥٥٢ . ثم ينتقل بعد ذلك مع ولده سنة٥٥٨ إلى حصن كيفا – جنوب شرق تركيا قرب حدودها مع العراق اليوم – إلى أن استدعاه صلاح الدين الأيوبي الذي أعجب به وبنظمه إلى دمشق ، وكان قد جاوز الثمانين من عمره .

ويصور لنا الكاتب شدة وطء الزمن على أسامة ، وتقلبه في البلاد غريباً يحن إلى وطنه وأهله حتى يقول فيما يقول :

أهكذا أنا باقي العمر مغترب   ناء عن الأهل والأوطان والسكن
لا تستقرُّ جيادي في معرَّسها   حتى أروعها بالشدّ والظعن

وقد عاش أسامة عمراً مديداً مئة وتسعين عاماً كان له تجارب طويلة مع الحياة والناس أنطقته بالحكمة من مثل قوله :

ARCHIVE

الق الخطوب إذا طرقـ   ـن بقلب محتسب صبور
فسينقضي زمن الهمو   م كما انقضى زمن السرور
فمن المحال دوام حا   ل في مدى العمر القصير

ثم يتناول الكاتب مظاهر الغربة في شعره ، منها الشعور بالوحدة والحنين إلى الأهل والأوطان وفقد الأحبة ، ومنها أيضاً تأكيد ذاته بما يحمله بين جنبيه من ماض مجيد في الشجاعة والفروسية ، وفي آخر المطاف بعد عمره الطويل يجد الملجأ والملاذ في الزهد بالدنيا وما فيها من مغريات .

ويختم الكاتب بحثه بنتائج توصل إليها من دراسته شعر أسامة بيَّن فيها أسباب الأغراض التي تناولها وأثر الأحداث في حياته وشعره .

وقد بذل الكاتب جهداً مشكوراً في تبيان هذا الجانب من شعر أسامة فأحسن وأجاد ، وعمله مع ذلك لم يكن يخلو من هنات ، من ذلك مثلاً قول أسامة ص٩٠ :

اذا عنَّ ذكراكم عرتني سكرة   كأني سقاني البابليَّة خمَّارُ(٩٠)

وعلّق الكاتب على البيت بقوله ص١١٤ حاشية ٩٠ : الحَمّار : بقية السُّكر . اهـ .

وما شرحه الكاتب هو (الخُمَار) - بضم الخاء المعجمة وتخفيف الميم المفتوحة - وليس مراداً ، والمراد حسَبَ ضبطه لـ (خمّار) - بفتح الخاء المعجمة وتشديد الميم المفتوحة - في البيت فهو : بائع الخمر .

وجاء في ص٨٦ قوله :

انظر بعيشك هل ترى أحداً يدوم على المودّة
لترى أخلاء الرّخا ء عدا إذا نابتك شدّة

ففيه أولاً : القافية هي الدّال ، والهاء للوصل ، فتكتب من غير نقط هكذا « المودّهْ ... شدَّهْ » .

ثانياً : قوله (عدا) بمعنى الأعداء ، الصواب أن يكتب « عِدَى » بالياء وإن كان واويًّا لكسرة أوله ، انظر التاج (عدو) وشرح شافية ابن الحاجب ١٢٣/٢ .

وجاء في الصفحة نفسها(٨٦) قوله :

وقد ساءني أن الليالي غيّرت أخلاي حتى ما يدومُ خليلُ

والصواب في تقطيعه ، أن تكون كلمة « أخلاي » في أول الشطر الثاني ليستقيم الوزن .

يضاف إلى ذلك الأخطاء الطباعية التي شوهت جمال شعر أسامة ، من ذلك قوله ص٧٥ .

أطاع ما قله الواشي وما هرقا فعاد ينكر منا كل ما عرفا

والصواب : « ما قاله... وما هرفا »

وقوله ص٨٩ :

مـــا أنت أول أرض مسّ ترابهـــا جسمي ولا فيك أوطاني وأوطاري

فالشطر الأول مختل الوزن ، ويستقيم بقوله « تربتها » .

ومن المقالات التي ضمها هذا العدد « شعر الرثاء في حروب الردة : دراسة موضوعية وفنية » (ص١١٩ –١١٦) كتبه علي ارشيد المحاسنة ، تناول فيه شعر الرثاء الذي قيل في حروب الردة ، وقسم فيه بحثه إلى قسمين :

الأول تحدث فيه عن القضايا الموضوعية في شعر رثاء المسلمين ، منهم رسل أبي بكر ودعاته الذين حاولوا ردع المرتدين وإرجاعهم إلى الصواب ودين الحق ، فقتلوهم لموقفهم هذا ، كعبد الله بن يزيد بن قيس السكوني ؛ ومنهم شهداء سقطوا في المعارك التي خاضها المسلمون كعبد الله بن المنذر التميمي ونافع بن غيلان وغيرهما .

وتعرض الكاتب أيضاً للشعر الذي قيل في رثاء المرتدين وعلى رأسهم مالك بن نويرة الذي كان لشعر متمم أخيه النصيب الأوفى من البحث ، إذ تنوعت فيه المراثي بين ندب وتأبين وتعزية .

أما القسم الثاني من البحث فتناول فيه الكاتب قضايا فنية متعددة ، منها شكل القصيدة والعاطفة والموسيقى ، بيد أنه لاحظ أن المقطعات خاصة تكاد تخلو من هذه الجوانب الفنية ، فهي أقرب إلى التاريخ منها إلى الفن ، وقد ارتبطت موضوعاتها بأحداث التاريخ . لذا ركز الدراسة الفنية في هذا القسم على شعر متمم دون سواه لشموله على قضايا التي دار البحث حولها في هذا القسم .

وفي هذاالمقال ما في سالفيه من أخطاء طباعية وعروضية كنا نتمنى لو خلا العدد منها .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ١٩٩٤م

أ ـ الكتب العربية

خير الله الشريف

آثار محمد البشير الإبراهيمي /الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩٨٧ (ج٣) ـ ١٩٨٥ (ج٤) .

آلاف السنين من الطاقة /تأليف : فلاديمير كارتسيف ، بيوتر خازانوفسكي ؛ ترجمة : محمد غياث الزيات .ـ الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤ .ـ (سلسلة : عالم المعرفة رقم ١٨٧) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو العيناء : دراسة في حياته وشعره ونثره /د. أنور أبو سويلم .ـ ط١ .ـ عمان : دار عمار ، ١٩٩٠ .

الاتجاه القومي في الرواية /د. مصطفى عبد الغني .ـ ط١ .ـ الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤ .ـ (سلسلة : عالم المعرفة رقم ١٨٨) .

إدارة أنظمة المعلومات الحكومية /دائرة التعاون الفني للتنمية بالأمم المتحدة .ـ نيويورك : المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، ١٩٨٩ .

استخدام النباتات الطبية كعقاقير علاجية : المؤتمر العربي الأول /وزارة التعليم العالي .ـ دمشق : وزارة التعليم العالي ، ١٩٩٤ .

الاشتقاق اللغوي /د. عبد المنعم عبد الله حسن .ـ ط١ .ـ القاهرة : المؤلف ، ١٩٩٣ .

أصول الإيقاعات الشرقية /عمر عبد الرحمن الحمصي .ـ دمشق : [د .ن] ، ١٩٩٢

أضواء وظلال /سعد صائب .ـ دمشق : الإدارة السياسية ، ١٩٩٢ .

أعلام الفكر في دمشق بين القرنين الأول والثاني عشر للهجرة/إحسان بنت سعيد خلوصي .ـ دمشق : دار يعرب ، ١٩٩٤ .

ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب الجاحظ /د. رشيدة اللقاني .ـ الرياض : جامعة الملك سعود ـ عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

أمام ألسنة اللهب /تأليف : غرغري أورفلي ، ترجمة : هنري مطر .ـ عمان : مركز الكتب الأردني ، ١٩٨٩ .

الأندلس الذاهبة /تأليف : ضيا باشا ؛ تعريب : عبد الرحمن ارشيدات ؛ راجعه وحققه : صلاح ارشيدات .ـ ط١ .ـ عمان : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٩ .ـ ٣ج .

بحوث ودراسات مهداة إلى عبد الكريم غرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين /تحرير : ناظم كلاس .ـ عمان : [د.ن] ، ١٩٨٩ .

الببليوغرافيا الجزائرية /المكتبة الوطنية الجزائرية .ـ الجزائر : المكتبة الوطنية ، ١٩٩٣ .

التخطيط والرقابة المالية /نضال رشيد صبري .ـ عمان : المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، ١٩٩٤ .

التدريس من أجل الكفاية /تأليف : هوارد سلفان ، نورمان هجنز ؛ ترجمة : محمد عيد ديراني ، د. مصطفى محمد متولي .ـ الرياض : جامعة الملك سعود ـ عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

تشعيع الغذاء /ترجمة : د.نجم الدين شرابي .ـ دمشق : هيئة الطاقة الذرية ، ١٩٩٢ .

التصوير الضوئي في التعليم والتدريب /د. مصطفى بن محمد عيسى فلاتة .ـ الرياض : جامعة الملك سعود ـ عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

التعريفات /الجرجاني ، ضبطه وفهرسه : محمد القاضي .ـ ط١ .ـ القاهرة : دار الكتاب المصري ؛ بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٩١ .

تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات : شرح شواهد الكشاف /تأليف : محب الدين أفندي ؛ أخرجه وقدم له : عبد الله بن محمد بن خميس .ـ الرياض : دار الخضرمة ، ١٩٩٤ .

حادي الأظعان النجدية إلى البلاد الشامية /تأليف : محب الدين الحموي ؛ تحقيق محمد عدنان البخيت .ـ عمان : جامعة مؤتة ، ١٩٩٣ .

الحركة العياشية /عبد اللطيف الشاذلي .ـ الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة ، ١٩٨٢ .

حقائق حول تشعيع الغذاء /ترجمة : د. نزار حمد .ـ دمشق : هيئة الطاقة الذرية ، ١٩٩٤ .

حياة الأمير عبد القادر /تأليف : شارل هنري تشرشل ؛ ترجمة : د. أبو القاسم سعد الله .ـ الجزائر : الشركة الوطنية ، ١٩٨٢ .ـ (سلسلة : أعلام المغرب) .

دائرة المخطوطات والوثائق /وزارة التراث القومي والثقافة .ـ سلطنة عمان : مطبعة مزون ، ١٩٩٤ .

دراسات طبية ميسرة /د. صبيحة الدباغ .- بغداد : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٦ .- (سلسلة : الموسوعة الصغيرة ١٩٩) .

دور التعريب في تطوير اللغة العربية : ترقية العربية في تونس /ملتقى ابن منظور .- ط١ .- تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ .

الدولة الصنهاجية /تأليف : الهادي روجي إدريس ؛ ترجمة : حمادي الساحلي .- ط١ .- بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٢ .- ٢ج .

ديوان ابن الأبار /تعليق : د. عبد السلام الهراس .- تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٥ .

ديوان امرئ القيس بشرح الحضرمي /تحقيق : د. أنور أبو سويلم ، د. علي الهروط ، د. علي الشوملي .- ط١ .- عمان : دار عمار ، ١٩٩١ .- (سلسلة : مشكل إعراب أشعار الستة الجاهلية ١) .

ديوان الجزائر /سليمان العيسى .- الجزائر : المركز الوطني لتوثيق الصحافة والإعلام ، ١٩٩٣ .

ديوان الخنساء بشرح ثعلب /تحقيق : د. أنور أبو سويلم .- ط١ .- عمان : دار عمار ، ١٩٨٨ .

ديوان النابغة الذبياني بشرح الحضرمي/تحقيق : د. علي الهروط .- ط١ .- الكرك : جامعة مؤتة ، ١٩٩٢ .- (سلسلة : مشكل إعراب أشعار الستة الجاهلية ٣) .

رجل الصناعتين/عبد الله بن سليم الرشيد .- الرياض : مكتبة التوبة ، ١٩٩٤ .

الروض المعطار في خبر الأقطار : معجم جغرافي /تأليف : الحميري ؛ تحقيق : د. إحسان عباس .- بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ .

زمن الترهات في ثلاث مسرحيات /د. محمد رشاد الحمزاوي .– تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٨ .

شرح مقامات جلال الدين السيوطي /تحقيق : سمير محمود الدروبي .– ط١ .– بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩ .– ٢ ج .

شعر ابن جبير /تحقيق : فوزي الخطبا .– ط١ .– عمان : دار الينابيع ، ١٩٩١ .

علم النفس الاجتماعي التجريبي /تأليف : أ. أنسكو ، ج .سكوبلر ؛ ترجمة : د. عبد الحميد صفوت إبراهيم .– الرياض : جامعة الملك سعود – عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

فارس الأحلام القديمة /د. وليد قصاب .– الدوحة : دار الثقافة ، ١٩٩٠ .

فن الإملاء في العربية /د. عبد الفتاح الحموز .– ط١ .– عمان : دار عمار ، ١٩٩٣ .– ٢ ج .

قاموس حتي الطبي : انكليزي عربي /د. يوسف حتي .– ط٤ .– بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٠ .

قضية البنيوية : دراسة ونماذج /د. عبد السلام المسدي .– ط١ .– تونس : دار أمية ، ١٩٩١ .

قوانين ومبادئ المقاطعة العربية لإسرائيل /د. محمد عبد الحميد أبو زيد عبد الغني .– الرياض : جامعة الملك سعود – عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة /د. رشاد عبد الله الشامي .– ط١ .– الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤ .– (سلسلة : عالم المعرفة ١٨٦) .

كان شاعراً/ د. أمجد الطرابلسي .ـ ط١ .ـ الرباط : المجلس القومي للثقافة العربية ، ١٩٩٣ .ـ (سلسلة : إبداع 7) .

الكتابات في المساجد العمانية القديمة / إعداد : إيروس بلديسيرا . ـ ط ١ .ـ سلطنة عمان : دار جريدة عمان ، ١٩٩٤ .

الكليات/ تأليف : الكفوي ؛ قابله : د. عدنان درويش ، محمد المصري . ـ ط١ .ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٢ .

مأساة كشمير المسلمة/ د. إحسان حقي . ـ ط١ .ـ دمشق : إبراهيم حقي ، ١٩٩٤ .

المجمع المغربي في القرن التاسع عشر/ أحمد التوفيق . ـ الدار البيضاء : دار النشر المغربية ، ١٩٧٨ .ـ ج١ .

مسند الإمام أحمد بن حنبل/ المشرف العام : د. عبد الله عبد المحسن التركي ؛ تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين .ـ ط١ .ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣ . ـ ج١ ـ ٥ .ـ (سلسلة : الموسوعة الحديثية ١) .

المصطلحات وأساليب التعبير في الرياضة البدنية قديماً وحديثاً/ عبد الحميد سلامة .ـ تونس : المؤلف ، ١٩٩١ .

المصطلح الصوتي/ د. عبد القادر مرعي خليل . ـ ط١ .ـ عمان : جامعة مؤتة ، ١٩٩٣ .

معاني القرآن/ تأليف : الفراء ؛ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . ـ بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٠ .ـ ٣ج .

معجم إسباني عربي وعربي إسباني/ فرناندو بلديراما مرتينيث . ـ مدريد : المعهد الإسباني العربي للثقافة ، ١٩٨٠ .

المعجم الموحد/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ـ تونس :

المنظمة ، ١٩٨٩ - ١٩٩٣ .- ج١ - ٨ .

المعجم الوافي في النحو العربي/ د. علي توفيق الحمد ، يوسف جميل الزعبي . - عمان : دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٨٤ .

من أعلام الحضارة الإسلامية/ حمد بن ناصر الدخيل . - الرياض : المؤلف ، ١٩٩٣ .

من سلة الأخبار العلمية/ د. صلاح يحياوي . - ط١ .- بيروت : دار النفائس ، ١٩٨٥ .

من لا يحضره الطبيب/ تأليف : الرازي ؛ تحقيق : د. محمود الحاج قاسم محمد . - بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩١ .

منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر/ طاهر الأخضر حمروني . - تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ .

نثر الدر/ تأليف : الآبي ؛ تحقيق : د. عثمان بوغانمي . - تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٣ .

ندوة النحو والصرف/ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . - دمشق : المجلس ١٩٩٤ .

نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة/ تأليف : د. أمجد الطرابلسي ؛ ترجمة : إدريس بلمليح . - ط١ - الدار البيضاء : دار توبقال ، ١٩٩٣ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب ـ المجلات العربية المهداة

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٧٧ – ٧٨	١٩٩٤	سورية
الأسبوع الأدبي	٤١١ ، من ٤١٤ – ٤٢٥	١٩٩٤	سورية
التراث العربي	٥٥ – ٥٦	١٩٩٤	سورية
الثقافة	أيار ، حزيران ، تموز	١٩٩٤	سورية
الحياة التشكيلية	٥١ – ٥٢	١٩٩٣	سورية
الحياة الموسيقية	٥	١٩٩٤	سورية
صوت فلسطين	من ٣١٧ – ٣١٩	١٩٩٤	سورية
الضاد	من ٢ – ٧	١٩٩٤	سورية
عالم الذرة	٢٩ ، ٣٠	١٩٩٤	سورية
مجلة بحوث جامعة حلب	١٦ (إنسانية)	١٩٨٩	سورية
	١٩ (إنسانية)	١٩٩٠	سورية
	٢٣ (إنسانية)	١٩٩٣	سورية
	١٤ (اقتصادية)	١٩٩١	سورية
المجلة البطريركية	١٣٥ – ١٣٦	١٩٩٤	سورية
مجلة جامعة البعث	١٢	١٩٩٣	سورية
مجلة جامعة دمشق	٢٩ – ٣٠ (مجلد ٨/ أساسية)	١٩٩٢	سورية
	٢٩ – ٣٠ (مجلد ٨/ إنسانية)	١٩٩٢	
المعرفة	من ٣٠٩ – ٣٧١	١٩٩٤	سورية
الموقف الأدبي	٢٧٦ ، ٢٧٧	١٩٩٤	سورية
الأنباء	٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٤	١٩٩٤	الأردن
الجديد في عالم الكتب والمكتبات	١	١٩٩٤	الأردن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
دراسات	٥ (مجلد ٢٠/سلسلة ب)	١٩٩٣	الأردن
	١، ٢، ٣ (مجلد ٢١/ سلسلة ب)	١٩٩٤	
راية مؤتة	٢ (مجلد ٢)	١٩٩٣	الأردن
مؤتة للبحوث والدراسات	٥، ٦ (مجلد ٨/ سلسلة أ)	١٩٩٣	الأردن
	٤، ٥، ٦ (مجلد ٨/ سلسلة ب)	١٩٩٣	
مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية	٨	١٩٩٤	الإمارات المتحدة
الكراسات التونسية	١٥٩ ـ ١٦٠	١٩٩٢	تونس
الثقافة	٨٧	١٩٨٥	الجزائر
الدارة	٢	١٤١٥هـ	السعودية
عالم الكتب	٣	١٩٩٤	السعودية
القافلة	١ ـ ١٢ (مجلد ٤١)	١٤١٣هـ	السعودية
	١ ـ ١٢ (مجلد ٤٢)	١٤١٤هـ	
حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية	١٦	١٩٩٣	قطر
أخبار التراث الإسلامي	٣٣، ٣٤	١٩٩٣	الكويت
الثقافة العالمية	٦٤، ٦٥	١٩٩٤	الكويت
حديث الدار	نشرة دورية	١٩٩٣	الكويت
علوم وتكنولوجيا	١١، ١٢	١٩٩٤	الكويت
الأبحاث	ـ	١٩٩٣	لبنان
الدراسات الفلسطينية	١٧، ١٨	١٩٩٤	لبنان
الشراع	٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣٢، من ٦٣٥ ـ ٦٤١	١٩٩٤	لبنان
الفكر العربي	٧٧	١٩٩٤	لبنان
أخبار التراث العربي	٥٥ ـ ٥٩	١٩٩١ـ١٩٩٢	مصر
اللسان العربي	٣٧	١٩٩٣	المغرب (المنظمة العربية)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الوحدة	١٠٣ – ١٠٤	١٩٩٣	المغرب
عالم الطباعة	٩	١٩٩٤	انكلترة
الثقافة الإسلامية	٥٤	١٩٩٤	إيران
الدراسات الإسلامية	٢	١٩٩٣	باكستان
النشرة الإخبارية لمنظمة المؤتمر الإسلامي	٣٣	١٩٩٤	تركيا
جمهورية كوريا الديمقراطية	٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣	١٩٩٤	كوريا
صوت الأمة	٨	١٩٩٤	الهند

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com